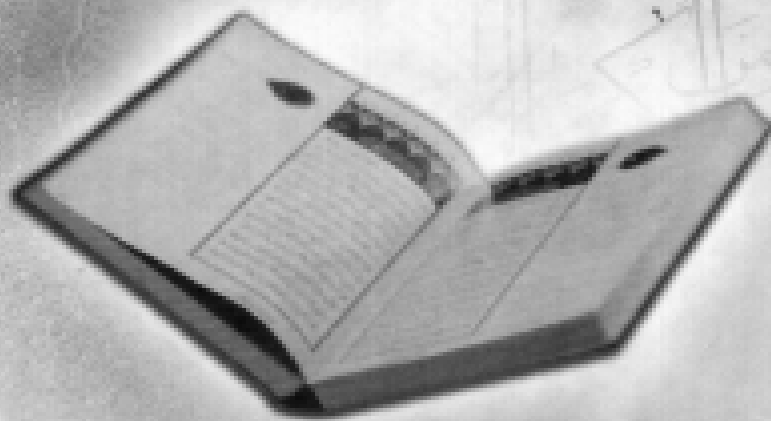


مراجعات قرآنية

اسئلة شبهات و ردود



✍

السيد رياض الحكيم

دار البصائر



مراجعات قرآنية

مراجعات قرآنية

أسئلة شجعات و ردود

✍

السيد رياض الحكيم

دار الهدى

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

اسم الكتاب مراجعات قرآنية / أسئلة، شبهات وردود
المؤلف السيد رياض الحكيم
المطبعة ستاره
العدد ٣٠٠٠ نسخة
الناشر دار الهلال

ISBN: 964-8276-29-3

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

شغل القرآن الكريم مساحة واسعة من بحوث ودراسات الباحثين
على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والثقافية، ومن ناحية أخرى يشكل
المحور الرئيسي لاهتمام المسلمين باعتباره الثقل الأكبر الذي خلفه لهم
نبيهم المصطفى ﷺ قبل رحيله، فعكفوا على دراسته والتمعن فيه،
كما تصدى علماء المسلمين ومفسر وهم للإجابة على ما أثير حول آياته من
تساؤلات وشبهات في مجالات شتى.

وبموازاة اهتمام الطبقات المثقفة بالقرآن الكريم وإقبالهم عليه - تزامناً
مع الصحوة الإسلامية التي يشهدها العالم المعاصر - تزايد تكالب أعداء
الإسلام على الطعن في كتاب الإسلام الخالد ومعجزته الكبرى من خلال
تشكيك المسلمين بكتابهم وإثارة الشبهات حول آياته.

ومن هنا ارتأيت القيام بمراجعة متأنية وشاملة للقرآن الكريم، وجمع
التساؤلات والشبهات التي أثيرت أو قد تثار لدى القارئ المثقف، والإجابة
عنها بما يتيسر لي من خلال مراجعة النصوص أو المصادر التفسيرية أو ما

ترجح في ذهني، مشيراً إلى الوجوه والدلائل الترجيحية - من دون أن أدعي أنها تمثل الحقيقة القرآنية، بل إن أصبت فذلك من فضل ربي وإن أخطأت فمن نفسي - متجنباً في كل ذلك البحوث المعمّقة والتفصيلية، وما أبتغيه هو المساهمة في نشر وتعميم الثقافة القرآنية على نطاق واسع بين الأفاضل في الحوزة العلمية والمبّلغين الدينيين، وكذلك الأوساط الجامعية المهتمة بالشأن القرآني. سائلاً الباري تعالى أن يغفر لي الهفوات وأن يتقبل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن، إنه سميع مجيب.

رياض الحكيم

١٤٢٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

س ١ - يترد في كلام كثير من المسلمين أن القرآن دستور الإسلام، مع أن المعروف أن يقتصر الدستور على القوانين الرئيسية العامة ويخلو من التكرار والإعادة بينما نجد القرآن يتضمن بعض الأحكام الفرعية والقضايا الجزئية ويشتمل على تكرار الموضوعات والقصص، مما لا يتسجم مع طبيعة الدساتير، فما هو الدور والمهمة التي يؤديها القرآن الكريم؟

ج - القرآن الكريم كتاب إلهي تميّز بمجموعة من الخصائص والأدوار، لعل أهمها هي ..

١ - إنه أحد المرجعين الرئيسيين للمسلمين، في معرفة أصول دينهم وتعاليمه إلى جانب الرسول ﷺ كما قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ وقد جعله الرسول ﷺ أحد الثقلين اللذين خلفهما لأمة بعد رحيله ﷺ، كما أكده حديث الثقلين المعروف: «إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تحلفوني فيها فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

(١) يراجع المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ٣/ ١٠٩، وأخرجه الذهبي، واعترف كلاهما بصحته على شرط الشيخين.

٢ - إنه معجزة النبي ﷺ والإسلام الخالدة التي تحدى بها البشرية وغيرها على مرّ العصور: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١) بل تطور التحدي إلى الإتيان بسورة مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢) (٣).

٣ - تثبيت المؤمنين وتوثيق ارتباطهم برسالة السماء من خلال ارتباطهم الروحي والنفسي بهذا الكتاب الذي تحوّل الى الرمز الأبرز للإسلام، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٤). فان شعور المسلم بوجود كتاب ربه بين يديه يقوّي ارتباطه برّبه ويعقيدته وتعاليم دينه، ولذلك نلاحظ المكانة المتميّزة للقرآن الكريم في نفوس المسلمين في كل عصر.

وقد ساهم حجم القرآن الكريم ولغته التي تنسجم مع كل المستويات في اهتمام كل المسلمين به قراءةً وتدبراً وتفهماً وتقديساً، ومن هنا نعرف الحكمة من عدم جمعه لكل التفاصيل الفقهية والتعاليم الإسلامية الأخرى، لأنه بذلك يتحوّل الى كتاب موسّع بمجلدات كثيرة فيقتصر حضوره على رفوف المكتبات الخاصة للعلماء والباحثين، ويفقد بذلك

(١) سورة الإسراء: ٨٨.

(٢) سورة يونس: ٣٨.

(٣) لمعرفة جوانب من وجوه الإعجاز القرآني يراجع كتاب «علوم القرآن - دروس منهجية» للمؤلف: ص ١٤.

(٤) سورة النحل: ١٠٢.

رمزيته ومساحته ويُعده الشعبي العام.

٤ - إنه معلّم شامخ لثقافة الإسلام وتعاليمه وأحكامه بحول دون مسخ وتحريف الهوية الإسلامية الأصيلة، وذلك إن المبادئ والأديان تتأثر بثقافات الأمم والنظريات المخالفة ولا تصمد عادة أمام أعاصير الزمن وتحولاته، ولذلك نلاحظ المدى الواسع للتشويه والمسخ الذي عانت منه الأديان السابقة بسبب انعدام النسخة الأصلية المعتمدة لكتبها السماوية، حتى شمل أهم ركن فيها وهي عقيدة التوحيد.

وهنا نعرف أهمية اشتغال القرآن على بعض الأحكام الفقهية والفرعية والتعاليم والجزئيات الثقافية المتنوعة وعدم اقتصره على أسس العقيدة والقوانين الرئيسية، لأن وجود نص قرآني واضح يتناول تلك المقدرات والجزئيات في المجالات المختلفة يكون داعماً قوياً لما تضمنته النصوص الحاكية عن الشئنة المشتملة على باقي التفاصيل، وما نعا من تحرّصات وآراء وتحليلات متأثرة بثقافات أجنبية، تمس الكيان الثقافي الإسلامي وتمسخ محتواه.

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنها ستكون فتن. قلت: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه خبر ما قبلكم وما بعدكم، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيف به الأهواء..^(١).

٤ - إن القرآن الكريم لا يقتصر على سرد القوانين والتعاليم الإسلامية ضمن قوالب قانونية جافة، بل يؤدي دور وسيلة الإعلام المؤثرة التي تتناغم مع مشاعر الناس وعواطفهم من خلال أسلوبه المتميز في الفصاحة والبلاغة والتأثير، ولعلّه لذلك ورد الحث على الإكثار من حفظه

(١) المختصر النافع: ١٧، وقريب منه في سنن الدارمي: ٤٣٥ / ٢.

وقراءته، وقد أشار إلى هذا الدور قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١) وهنا تبرز أهمية التكرار وتنوع الأساليب القرآنية وحيويتها، للتكيف مع مخاطبة مختلف المستويات وضمان الفاعلية والتأثير في كل الظروف.

٥ - إن القرآن الكريم - بالإضافة إلى كونه كتاباً دينياً - كتاب علمي دقيق يصلح مرجعاً للعلماء والباحثين على مرّ العصور، ولذلك لا نستغرب من اشتغاله على كم ضخم من المفاهيم والبحوث العلمية الدقيقة والمعتمة، في مجالات علمية متنوعة، قد لا يكون بعضها دينياً بالمعنى الضيق. ولذلك ورد التأكيد على التدبر والتعمق في أغواره باعتباره مرجعاً للعلماء والباحثين. ففي الحديث عن النبي ﷺ وهو يتحدث عن القرآن: «... وله ظهر وبطن، فظاهره حكمة وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعروف لمن عرف النصفة، فليرعَ رجل بصره...»^(٢).

وهناك بحوث مفصلة حول أهمية القرآن الكريم ودوره نوكلها إلى فرصة أخرى ان شاء الله تعالى.

(١) الحشر: ٢١.

(٢) مقدمة الميزان: ١ / ١٢.

سورة الفاتحة

س ٢ - لماذا تسمى هذه السورة بالفاتحة وبأم الكتاب وبالمثاني؟

ج: - ذكرت عدة وجوه لتسمية السورة بالفاتحة:

منها: أن الفاتحة بمعنى الأولى، وهذه السورة أول سورة كاملة نزلت.
ومنها: أنها تفتح بها القراءة في الصلاة.

ومنها: أنها تفتح بها المصاحف. وعلى هذا الوجه تكون هذه التسمية من الشواهد على أن جمع القرآن في مصحف كان في عصر النبي ﷺ وأنها كانت بداية ذلك المصحف المجموع في عصره، بناء على ما روي عنه ﷺ من التسمية المذكورة، ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: قَسَمْتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، فَتَنَصَّفَهَا لِي وَتَنَصَّفَهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ...»^(١).

٢ - وأما التسمية بأم الكتاب فإما باعتبار أنها مقدمة على سائر السور. والعرب تسمي كل أمر جامع أو متقدم لما يتبعه «أُمًّا» أو باعتبار أن هذه السورة أصل القرآن ولبه، لأن نصفها مرتبط بالله تعالى وتحميده وتمجيده، ونصفها متعرض لشأن العبودية له تعالى، كما أشارت إليه الرواية المتقدمة.

(١) الميزان: ١ / ٣٩، نقلًا عن عبون أخبار الرضا.

٣ - وأما التسمية بالمثاني فباعتبار أنها تنشئ في كل صلاة، وقيل: لأنها نزلت على النبي ﷺ مرتين.

وقد تسمى هذه السورة السبع المثاني باعتبار أن آياتها سبع.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١).

س ٣ - ما معنى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ؟

ج - هناك وجهان في تفسير البسملة:

الأول: أن المقصود الاستعانة بالله تعالى، والمعنى أستعين بالله -

واضيف لفظ «الاسم» باعتبار اتحاد الاسم والمسمى كما قال ليبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن بيك حولاً كاملاً فقد اعتذر^(١)

«وفي الحديث عن الإمام العسكري عليه السلام: «بسم الله» أي استعين

على أموري كلها بالله...»^(٢).

الوجه الثاني: أنه تبرك بالابتداء بذكر الله تعالى واسمه، والتقدير

ابتدئ باسم الله، ويشهد لهذا ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام - في قوله

لعبد الله بن يحيى - : «أما علمت أن رسول الله ﷺ حدثني عن الله جلّ

وعزّ: كل أمر ذي بال لم يذكر فيه «بسم الله» فهو ابتر^(٣). وكذلك الحديث

عنه عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: قال الله عزّ وجلّ: ... إذا قال العبد

«بسم الله الرحمن الرحيم» قال الله جلّ جلاله: بدأ عبدي باسمي وحقّ عليّ

أن أتمم له أموره وأبارك له في أحواله»^(٤).

(١) مجمع البيان: ٩٣ / ١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٣٢ / ٩٢.

(٣) المصدر: ٢٤٢ / ٩٢.

(٤) المصدر: ٢٢٦ / ٩٢.

ويمكن رجوع كلا الوجهين للآخر.

س ٤ - ما الفرق بين الرحمن والرحيم؟

ج - جاء في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «الرحمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة»^(١) والمقصود أن «الرحمن» اسم خاص لله تعالى لا ينسب لغيره، وهو يتضمن رحمته تعالى العامة لجميع خلقه المؤمن منهم والكافر، بينما الرحيم صفة عامة يمكن أن يوصف بها غير الله تعالى، ويراد منها رحمته لخصوص المؤمنين. والله العالم.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥)

س ٥ - لماذا لم يقل «نعبدك ونستعينك» مع أن

الكلام البليغ ينبغي مراعاة الإيجاز فيه؟

ج - لأن تقديم المنصوب على الفعل يفيد الحصر، أي حصر العبادة والاستعانة بالله تعالى دون غيره. بعكس ما لو قال: «نعبدك ونستعينك» فإنه لا يناق في مشاركة غيره تعالى في العبادة والاستعانة.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦)

س ٦ - المؤمن مهتدٍ للصراط المستقيم، فما معنى

دعائه بالهداية؟

ج - المقصود طلب الهداية في المراحل اللاحقة لإيمانه، حيث يتعرض الإنسان للفتن في مختلف مراحل حياته والظروف التي تمرّ به.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ﴾ (٧)

س ٧ - كل ضال مغضوب عليه فلماذا فرّق بينهما؟

ج - كأن المنظور من المغضوب عليهم الذين تعرّضوا لغضب الله تعالى وعذابه في الحياة الدنيا أيضاً، في مقابل الضالين الذين أرجأ الله عذابهم للأخرة فحسب . وقد تضمنت بعض النصوص تطبيق ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ على اليهود - ولعله باعتبار الانتقام من كثير منهم في الدنيا قبل الأخرة - وتطبيق ﴿الضَّالِّينَ﴾ على النصارى الذين أصرّوا على الكفر.

سورة البقرة

﴿الم﴾ (١).

س ٨ - ما معنى الحروف المقطعة؟

ج - اختلف المفسرون فيها على أقوال، فمنهم من جعلها تعبيراً عن التحدي القرآني للبشر، فإن القرآن رغم تأليفه من الحروف العربية المألوفة إلا أن البشر يعجزون عنه . ومنهم من قال إنها رموز لأسماء أو معاني سامية لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم، ويشهد لهذا الرأي مجموعة من النصوص والأدعية والأذكار التي تتضمن التكريم و التوسل بمقام أو مضمون هذه الحروف المقطعة.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

س ٩ - لماذا أشار للكتاب بلفظ الإشارة

للبعيد «ذلك» مع أن الآية الكريمة من ضمن

الكتاب فهو حاضر وقريب فيفترض الإشارة

إليه بـ «هذا»؟

ج - إن في الإشارة إليه بلفظ البعيد تنويهاً بمقامه الشامخ، وأن

مضامينه بعيدة عن التناول، وأن أغوار معانيه لا يدركها إلا ذو حظٍ عظيم.

س ١٠ - بما أن هذه الآية لست آخر الآيات القرآنية فلا يمكن أن يكون المقصود من الكتاب كل القرآن، وإذا كان المقصود منه بعض القرآن وهو النازل لحين هذه الآية، فلا يكون فيه دلالة على نفي الريب عن كل القرآن - كما يستشهد بها العلماء والمفسرون - فما هو المقصود منه؟

ج - يمكن أن يكون المقصود منه كل القرآن، حيث لا يشترط عند الإشارة إلى المتدرج وجوده بتمام أجزائه بالفعل، كما تقول - قبل إكمال البناء - «هذه العمارة محكمة» إذا علمت أن العمال سيكملونها كذلك.

وهناك رأي أن المقصود منه القرآن الكريم في اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالى «وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ»، والقرآن بوجوده المذكور موجود قبل تفصيل آياته ونزولها بالتدرج.

س ١١ - كيف ينفي الريب عن القرآن مع أن كثيراً من الناس قد ارتابوا فيه ولم يؤمنوا به؟

ج - كأن المقصود أنه ليس محلاً للريب، وليس من شأنه ذلك، كما جاء في الحديث «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه» فإنه بصدده بيان شأن المسلم والسلوك الذي ينبغي أن يكون عليه، لا أن من لم يسلم منه المسلمون كافر وليس بمسلم.

س ١٢ - كيف يكون القرآن هدياً للمتقين مع أن المتقين مهتدون؟

ج - باعتبار أن القرآن هو السبب في هداية المتقين، أو أنه منارهم

في حياتهم أمام الفتن والشبهات التي يواجهونها، نظير ما جاء عن الإمام علي عليه السلام - في حديث له عن القرآن -: « جعله الله رياً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومخارج لطرق الصلحاء، و دواء ليس بعده داء، ونوراً ليس بعده ظلمة»^(١).

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣)

س ١٣ - لماذا قال ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ ولم يقل (يصلون)؟

ج - باعتبار أن لصحة الصلاة ولقبولها أجزاء وشروطاً عديدة قد لا يحققها المصلي، فلا تقبل صلاته رغم الإتيان بها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦).

س ١٤ - إذا كان إنذار الكافرين غير مؤثر فيهم فلماذا بعث الله الرسول ﷺ على أننا نجد أن كثيراً منهم قد نفعهم الإنذار فأمنوا بالرسول؟

ج - يكفي في فائدة بعث الرسول ﷺ إقامة الحجج على الناس أو تأكيدها كما قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾، والمقصود من هؤلاء المذكورين في الآية الكريمة هم خصوص المعاندين

لِلرَّسُولِ ﷺ رَغْمَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، لَا كَلَّ الْكَافِرِينَ، وَ لَعَلَّ التَّعْبِيرَ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي يُشِيرُ إِلَى حَدُوثِ كُفْرِهِمْ عِنْدَ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ لَهُمْ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ لِيَكُونَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْكُفْرِ هُنَا رَفْضُ نِدَاءِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَشْمَلُ الَّذِينَ لَمْ يَصِلْهُمْ بَعْدُ هَذَا النِّدَاءِ، وَاسْتَجَابُوا لَهُ عِنْدَمَا وَصَلْهُمْ فِيهَا بَعْدَ.

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٧).

س ١٥ - إذا كان الله قد ختم على قلوبهم فكيف يذمهم ويعذبهم على كفرهم؟

ج - إنَّ الختم لم يكن ابتدائياً، وإنما جاء بعد جحودهم وكفرهم رغم قيام الحجّة عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١١). حيث احتجوا بأن عدم إيمانهم بسبب رفض قلوبهم وعقولهم وعدم استجابتها للإيمان. فردّ عليهم بأن لعنة الله تعالى عليهم وسلب توفيقهم بسبب كفرهم - باختيارهم - ورفضهم الخضوع للحق والإيمان به.

س ١٦ - إذا كانوا قد كفروا فيها هو أثر الختم على قلوبهم؟ وإذا افترضنا أن أثره استمرار كفرهم فيكون ذلك مفروضاً عليهم، فيطرح هذا السؤال، كيف يمنع الله عباده من الإيمان؟ وكيف يعذبهم على ذلك؟

ج - يمكن الإجابة على ذلك بجوابين:

أ - أنّ الختم عقوبة الجحود والكفر، فيكون الإيمان فرصة - شأن كل الفرص - تفوت الإنسان عندما لا يستثمرها في حينها، وبذلك يتضح الجواب عن الشق الثاني من السؤال، لأن الكافر هو الذي حرم نفسه من فرصة الهداية بكفره فيستحق العقوبة عليه، كما لو اقترف جريمة القتل فحكم القاضي بقتله قصاصاً، فإنه يحاسب يوم القيامة على كفره، مع أنه كان يمكن - نظرياً - أن يؤمن ويهتدي لو لم ينفذ فيه حكم القصاص.

ب - أنّ المقصود من الختم على القلوب عدم وعيها للحقيقة، وهو النتيجة الطبيعية لعدم الاستجابة لنداء الحق، فمن يجحد ويعاند تنمو في أعماقه حالة الإصرار والمكابرة على طوال الخط، وتكون نسبة ذلك لله تعالى باعتبارها القاضي والمحيط بكل شيء على غرار قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١) مع أن الرمي صدر من الرسول ﷺ.

ومما يشهد بأن هذا الحرمان هو النتيجة الطبيعية لموقف الكافر وعمله قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. وفي حديث زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

ومما يؤيد الجواب الثاني أن الغشاوة على البصر لم تُسند لله تعالى. فالختم

(١) الأنفال: ١٧.

(٢) اصول الكافي ٢ / ٢٧٣ باب الذنوب.

على القلوب والأسماع نتيجة الغشاوة وإعراضهم عن الحق. والله العالم.
 س ١٧ - يفهم من هذه الآية وغيرها من الآيات
 أنّ القلب هو مصدر الوعي في الإنسان مع أنّ
 العلم الحديث أثبت أنه مجرد مضخة لتحريك
 الدم وتوزيعه في الجسم؟

ج - يتضح عند مراجعة المصادر اللغوية أنّ لفظ القلب يراد به مصدر
 الوعي، قال ابن منظور: «القلب تحويل الشيء عن وجهه... وقلبه: حوله
 ظهره لبطن.. وقلب الأمور: يَحْثُهَا، ونظر في عواقبها..»^(١)، إلا أنّ القدماء
 طبقوه على هذا العضو الخاص في الجسم - المضخة - فغلبت عليه التسمية،
 ولا دليل على أنّ (القلب) في الاستعمال القرآني يراد منه هذا التطبيق، بل
 معناه اللغوي وهو مصدر الوعي.

على أنّ المصادر اللغوية ذكرت أنّ من معاني القلب العقل. قال ابن
 منظور: «وقد يعبر بالقلب عن العقل، قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِن فِي ذَلِكَ
 لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي عقل. قال الفراء: «وجائز في العربية أن تقول
 : مالك قلب، وما قلبك معك: تقول: ما عقلك معك، وأين ذهب قلبك؟
 أي أين ذهب عقلك؟ وقال غيره: لمن كان له قلبٌ أي تفهّم وتدبّر»^(٢).

وفي الموارد القليلة التي يظهر من بعض الآيات والروايات تطبيق
 قوّة الوعي على العضو الخاص فإنها هو من باب الجري على العرف العام،
 كما نلاحظ ذلك في كلمات الكتاب والشعراء المعاصرين مع وضوح عدم
 ارتباط العضو الخاص - علمياً - بالوعي والإدراك في العصر الحديث.

(١) لسان العرب ١ / ٦٨٥ مادة قلب.

(٢) لسان العرب ١ / ٦٨٧ مادة قلب.

س ١٨ - بما أن الحواس مجرد آلات لنقل المعلومات فيكفي في انعدام الوعي الختم على القلب، فلماذا ذكر السمع وغشاوة البصر؟

ج - كأن الختم على القلب إشارة إلى أنهم لا يستثمرون عقولهم للتفكير والوصول إلى الحقيقة، والختم على السمع إشارة إلى أنهم لا يستوعبون كلام الرسول ﷺ ونحوه من المسموعات، وغشاوة البصر إشارة إلى عدم وعيهم للآيات والشواهد التي يرونها بأبصارهم، فكلّ منها إشارة إلى صنف خاص من المعلومات وجوانب من الحقيقة أعرضوا عنها.

س ١٩ - لماذا جاءت: ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ و﴿أَبْصَارِهِمْ﴾ بصيغة الجمع، و﴿سَمِعِهِمْ﴾ بصيغة المفرد؟

ج - باعتبار أن المقصود بالأوليين آلة التفكير والبصر، بينما المقصود من السمع قوة السمع لا آله، لأن استخدام السمع بمعنى آلة السمع (الأذن) غير شائع، نعم في الموارد التي أريد التعبير عن آلة السمع أي الأذن، جيء بصيغة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ أُغْنِيَّ يُنصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾^(١).

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (١٢)

س ٢٠ - كيف حصر الفساد فيهم - المنافقين - مع أنّ الفساد لا ينحصر بهم إذ قد يكون غيرهم مفسداً أيضاً؟

(١) سورة الأعراف : ١٩٥ .

ج- الحصر هنا نسبي في مقابل نسبة الأفساد للمؤمنين، لأن قولهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ - كما أشارت إليه الآية السابقة - يتضمن بالدلالة الالتزامية نسبة الإفساد للمؤمنين، فجاء الرد عليهم بأنهم هم المفسدون دون المؤمنين. ويشهد على ذلك الآية اللاحقة حيث نسبوا السفاهة للمؤمنين صراحة: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ الشُّفَهَاءُ﴾ فجاء الرد عليهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الشُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ الشُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الشُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ ﴿ (١٣ و ١٤).

س ٢١ - كيف ينسجم إعلانهم الإصرار على الكفر واستهزاؤهم بالمؤمنين بقولهم: ﴿أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ الشُّفَهَاءُ﴾ رداً على المؤمنين الذين يحثونهم على الإيمان مع ما يحكيه من قولهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾؟

ج - الذين يعرفون حقيقة المنافقين ويصارحهم هؤلاء هم الذين تربطهم بهم علاقات اجتماعية وثيقة مثل أقاربهم وأصدقائهم عندما يطالبونهم بالإيمان، بينما الذين يتظاهر المنافقون أمامهم بالإيمان هم المسلمون عامة، لأن النفاق ليس من الخصال الظاهرة التي يطلع عليها كل شخص ويتجاهر بها صاحبها.

ويحتمل أن يكون إصرارهم على الكفر واستهزاؤهم بالمؤمنين في أحاديثهم فيما بينهم عندما يسمعون دعوة النبي ﷺ لهم بالإيمان، بينما يتظاهرون أمام المؤمنين بالإيمان.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٥).

س ٢٢ - يبدو من بعض الآيات الأخرى ان الله سبحانه يريد الهداية لعباده ولا يرغب في انحرافهم مثل قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).
فمن يتحسر على جماعة كيف يستهزئ بهم؟

ج - بما أن الله سبحانه منزّه عن الصفات والانفعالات النفسية - كما ثبت في الفلسفة وعلم الكلام - فلا بد أن يكون كل ذلك كناية عن معانٍ أخرى، مثل أن يكون المقصود من استهزاء الله تعالى أنه يجازيهم ويفعل ما يفعله المستهزئ بهم، من دون حدوث صفة نفسية فيه تعالى.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧).

س ٢٣ - ما هو وجه الشبه بين المنافق و﴿الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾؟

ج - حيث ان ﴿الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ - المشبه به - يجد النار التي تضيء

(١) سورة يس : ٣٠ .

ما حوله ولا يتنفع بها ويعيش حالة الخوف والحيرة والضيق والتخبط في الظلمة الحالكة، فكذلك المنافق يشاهد نور الإيمان الذي يحيط بها حوله - المجتمع الذي يعيش في وسطه - ولكنه لا يتنفع به، بل يعيش ظلام الكفر وحالة الخوف والحيرة والتوجس الدائم بسبب نفاقه.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢١)

س ٢٤ - لماذا رتب ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ على عبادة الله، مع أن معنى (لعل) مجرد الترجي والاحتمال فلا تكون عبادته موجبة لضمان اتقاء العذاب والأمن منه؟

ج - الآية الكريمة تشير إلى أن السبيل الوحيد الذي يمكن معه اتقاء العذاب وعقوبة الله تعالى والخطوة الأولى بهذا الاتجاه هو عبادة الله والإيمان به، وأما ضمان الأمن من العذاب فيرتبط بسلوك الإنسان والتزامه بالحكم الشرعي، والآية ليست بصدد بيانه.

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٢)

س ٢٥ - كيف فرض المشركين عالمين بنفي النذ والشريك لله تعالى مع أن كثيراً منهم لا يعلمون؟

ج - أن المشركين جميعاً يدركون - بفطرتهم وعقولهم - أن الأنداد المزعومين مثل الأصنام وغيرها لا يصدر منهم هذا الخلق العجيب والمتنظم. ولذلك استنكر المشركون - في قضية تحطيم أصنامهم - على

نبي الله إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾^(١).

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتَوَاهِ مِثْسَابِهَا وَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٥).

س ٢٦ - لماذا قال ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ مع أن النهر يجري في الجنة لا تحتها؟

ج- كأن فيه إشارة إلى عمق هذه الأنهار وجريانها تحت الأشجار المتشابكة فإن الجنة: البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالشفاف أغصانه.

س ٢٧ - ما معنى ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتَوَاهِ مِثْسَابِهَا﴾؟

ج- ذكر المفسرون عدّة وجوه للتفسير، والأقرب إلى دلالة الآية أن ثمار الجنة وإن بدت متشابهة، إلا أنّ لكل منها طعماً ونكهة تختلف عن الأخرى، مما يوجب دهشة أهل الجنة وحيرتهم ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتَوَاهِ مِثْسَابِهَا﴾، وبما أن الإنسان - بطبيعته - يرغب في التنوع فيكون في هذا التفاوت والجدّة - رغم التشابه - زيادة في النعمة الإلهية والدلالة على قدرته ومعجائب صنعه.

وقد فسره بعضهم بالتشابه بين ثمار الجنة وما رزقهم الله من ثمار في الدنيا، لكنه بعيد، لأنّ جَلّ المؤمنين لم يطعموا في الدنيا إلا ثماراً محدودة خاصة الفقراء، فلا ينطبق معنى الإطلاق المستفاد من لفظة (كلّمًا).

(١) سورة الانبياء: ٦٣.

س ٢٨ - ما معنى ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾؟

ج - أي هنّ مطهرات من دنس الدماء والإفرازات المبتلاة بها نساء أهل الدنيا، مثل دم الحيض ودم الاستحاضة والصفرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢٦-٢٧).

س ٢٩ - إذا كانت الهداية والإضلال من الله

تعالى فلا يستحق أصحابها مدحاً ولا ذمماً ولا ثواباً ولا عقاباً؟

ج - الله تعالى لا يجبر الإنسان على الهداية أو الضلال، ولذلك صح أمر العباد بالطاعة ونهيهم عن المعصية، وإنما نسبت الآية الهداية والإضلال لله، باعتبار أنه تعالى يوجد الموضوع - كمثّل البعوضة فيما فوقها الذي أشارت إليه الآية - الذي يهتدي به المؤمن ويخطأ في فهمه الفاسق فيضلّ، كما قال موسى عليه السلام - بعد أن طلب خيار قومه رؤية الله وصُعبوا - ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ مع أنّ الله لم يجبرهم على موقفهم الذي أدّى إلى عقوبتهم.

س ٣٠ - كيف يصف الفاسقين بأنهم الذين
ينقضون عهد الله وغير ذلك مع أن هذه
الأوصاف لا تعم كل الفاسقين؟

ج - الأوصاف المذكورة تعم كل الفاسقين، لأن العهد الذي نقضوه
هو عهد الإيمان والطاعة المأخوذ على البشرية جمعاء - على اختلاف بين
العلماء والمفسرين في تحديده، حيث قد يحمل على الإشارة إلى نعمة العقل
القادر على تمييز الحقيقة عن الباطل - كما أشارت إليه مجموعة من الآيات
والنصوص: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ
هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١).

وكذلك قطع ما أمر الله به أن يوصل والفساد في الأرض، فإنها ينطبقان على
جميع الفاسقين باعتبار أنهم تجاهلوا علاقتهم كعبيد بخالقهم وحقه عليهم
في الإيمان به وطاعتهم له، كما أن في مكابرتهم لله وإنكارهم ومخالفتهم له
ولرؤسه الفساد الأعظم في هذه الأرض، كما تشير إليه الآية التالية:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٠)

س ٣١ - ما هو وجه توصيف آدم بأنه خليفة؟

ج - هناك رأيان مشهوران للمفسرين، الأول: أن آدم خليفة الله في الأرض،

(١) سورة الأعراف: ١٧٢.

فله الولاية وحق الحكم بين الناس، كما جاء في الخطاب لداود عليه السلام:

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(١).

الثاني: أنه وصف لآدم وذريته باعتبارهم خلفوا خلقاً آخر الله تعالى أسكنهم الأرض ومكنهم فيها - وهم الجنّ أو غيرهم - .

ويشهد للقول الثاني أمران: أحدهما ان تساؤل الملائكة لا يرتبط بشخص آدم عليه السلام، وإنما بالجنس البشري حيث يصدر منهم الإفساد وسفك الدماء، مما يعني أنهم فهموا من الخليفة استخلاف الجنس البشري محل الخلق الآخر الذي كان قبلهم لا استخلاف شخص آدم في الحكم عن الله تعالى.

ثانيهما: بما أن الجمل الوارد في تساؤل الملائكة ﴿أَجْعَلُ فِيهَا﴾ تكويني بمعنى الخلق فيكون الجمل السابق كذلك، وليس تشريعياً بمعنى جعله حاكماً.

س ٣٢ - كيف عرف الملائكة أن الجنس البشري يصدر منهم الإفساد وسفك الدماء؟

ج - قد يكون ذلك بسبب معرفتهم بطبيعة الكائنات المادية العاقلة حيث تتقاذف أفرادها الأهواء والنزوات النفسية - إلا من عصمه الله تعالى -، وجاء في بعض النصوص ان تجربة المخلوقات السابقة - المرتبطة بالمادة - هي التي أوحى لهم بتكرارها من البشر، روى العياشي عن هشام بن سالم قال: قال: أبو عبد الله عليه السلام: «ما علم الملائكة بقولهم ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ لولا أنهم قد كانوا رأوا من يُفسد فيها ويسفك الدماء»^(٢).

ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الآيات وغيرها من الشواهد توحى

(١) سورة ص: ٢٦ .

(٢) تفسير العياشي: ١ / ٤٧ .

بأن الأرض محور للكون من بين الكواكب الأخرى، لذلك انصب اهتمام الملائكة بأحداثها ومخلوقاتها.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١)

س ٣٣ - ما هي الأسماء التي علمها آدم ؟

ج - اختلف المفسرون على أقوال:

(منها): أن المقصود بالأسماء الأشياء، ففي الحديث عن أبي العباس عن أبي عبد الله عليه السلام سأته عن قول الله ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ماذا علمه؟ قال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية، ثم نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط مما علمه^(١).

(ومنها): أن المقصود بالأسماء موجودات عاقلة لها مقامات عالية. وقد أشارت إلى ذلك بعض الروايات^(٢).

وعلى كل حال، فالذي يبدو أن استيعاب آدم وتعلمه للأسماء كشف للملائكة عن قدرة هذا الكائن الجديد على الرقي والتكامل، لأنه جاء بعد تساؤل الملائكة عن حكمة خلقه بعد علمهم بطبيعته البشرية التي من آثارها الفساد وسفك الدماء.

(١) تفسير العياشي: ١ / ٥١ .

(٢) تراجع تفسير الميزان: ١ / ١١٦ - ١٢٠ .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٤).

س ٣٤ - هل كان ابليس من الملائكة؟ وإذا لم
يكن منهم فهو غير معني بالأمر الإلهي الموجه
إليهم فلا يكون عاصياً بمخالفته؟

ج - يبدو من مجموع الآيات الكريمة والنصوص ان ابليس كان من
الجن لا من الملائكة، من ذلك قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(١). حيث دلت:
أولاً: على أنه من الجن.

وثانياً: أنه قد فسق عن أمر ربه، بينما الملائكة لا يعصون الله تعالى.

وثالثاً: ان له ذرية والملائكة ليس لهم ذرية. كما دلّ قوله تعالى - حكاية
عن إبليس -: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٢) انه من جنس الجن
المخلوقين من نار، كما قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ﴾^(٣).

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
إِبْلِيسَ﴾ فإنه ليس فيه دلالة صريحة على كونه من الملائكة لاحتمال أن
يكون ذلك من باب التغليب أو أن استثناءه من الملائكة من الاستثناء
المنقطع. وعلى كل حال لم يتصدّ القرآن الكريم إلى بيان كيفية إجماع هذا

(١) سورة الكهف: ٥٠.

(٢) سورة الأعراف: ١٢.

(٣) سورة الحجر: ٢٧.

الأمر الإلهي إلى إبليس، ولم ينقل عنه شكاً أو التباساً حول ذلك، وحينئذٍ فيكون عدم التصريح باسمه في الآيات الحاكِية عن الأمر الإلهي بالسجود اعتياداً على القرائن الدالة على شموله له.

س ٣٥ - كيف يوصف إبليس بالكفر مع أنه لم ينكر وجود الله أو يشرك به أحداً؟

ج - الكفر في اللغة التغطية، قال الأزهرى : «.. إن الكفر في اللغة التغطية، والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره، كما يقال للابس السلاح كافر، وهو الذي غطاه السلاح..»^(١).

وعلى هذا فيمكن أن يكون كفره باعتبار أن موقفه بسبب المكابرة والتحدي لله، وإنكار علمه تعالى بحقائق الأمور ومراتب وكمالات عبادته، فرغم انه تعالى أمره بالسجود لآدم إلا أنه ردّ بقوله ﴿أنا خير منه﴾، فلم يكن موقفه مجرد معصية، بل كان تحدياً ورفضاً لعلم الباري باستحقاق آدم أو حكمته تعالى في الأمر بالسجود فيكون كافراً.

س ٣٦ - كيف يفسر سجود الملائكة لآدم مع أن السجود لا يكون لغير الله؟

ج - قد يكون السجود هنا بمعناه اللغوي وهو الخضوع والإقرار بفضله عليهم - كما اشارت إليه بعض النصوص^(٢) - وهو ما رفضه إبليس تكبراً وجهلاً، وليس هو السجود المعبر عن العبادة للمسجود له.

(١) لسان العرب: ٥ / ١٤٦ مادة كف.

(٢) يراجع مجمع البيان: ١ / ١٨٩.

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٥)

س ٣٧ - ما هذه (الجنة) التي أسكن الله فيها آدم
وزوجته، هل هي جنة الخلد أو غيرها؟

ج - اختلف العلماء والمفسرون في ذلك على أقوال ثلاثة:

الأول: أنها جنة من جنان الأرض .

الثاني : أنها جنة الخلد.

الثالث : أنها جنة من جنان الدنيا في السماء - غير كوكب الأرض - .

ويبدو ومن مجموع الشواهد القرآنية - بالإضافة إلى بعض النصوص
- أنها ليست من جنان الأرض منها:

أ- قوله تعالى : ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ، فإن التعبير بالهبوط يشهد باختلاف الجنة وعلوها
- ولو معنوياً - عن الأرض، كما أن قوله : ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ
إِلَىٰ حِينٍ﴾ يوحي أن هذه الأرض غير تلك الجنة التي كانا فيها.

ب- قوله تعالى : ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ
فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾^(١) . وكذلك قوله تعالى : ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهَا سَوَاتِرُهَا
وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾^(٢) ، فإنها توحي أن طبيعة الحياة
والنظام الكوني هناك يختلفان عما في الأرض، حيث تنعدم في تلك الجنة

(١) سورة طه : ١١٨ - ١١٩ .

(٢) سورة طه : ١٢١ .

المعاناة المادية مثل الجوع والظمأ والبرد والحتر، وأن شعورهما بالعري والمعاناة بدأ من حين الأكل من الشجرة - إما عقوبة من الله تعالى أو كان أثراً طبيعياً لثمرة تلك الشجرة -.

ج - ان ظاهر الآيات الكريمة حرمان آدم وذريته من تلك الجنة، وهو لا ينسجم مع كونها من جنان الأرض، لأن ذرية آدم منتشرون في بقاع المعمورة وبناتها - خاصة في العصور الأخيرة -.

فهذه الشواهد القرآنية وغيرها من النصوص تشهد بأن هذه الجنة ليست من جنان الأرض، وأما تحديد كونها جنة الخلد أو جنة أخرى في هذا الكون فليس عليه دلائل قرآنية واضحة، والنصوص مختلفة في ذلك، والذي يحضرني منها ضعيف السند.

س ٣٨ - هل المراد من الظلم في قوله تعالى:

﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ المعصية الموجبة

لاستحقاق العقاب أو شيء آخر؟

ج - يتضح الجواب من خلال توضيح طبيعة النهي عن الأكل من تلك الشجرة، فإن الأوامر والنواهي الصادرة من الله سبحانه - وكذا كل مولى وحاكم - على قسمين:

القسم الأول: الأوامر والنواهي الصادرة منه تعالى باعتباره مولى الإنسان وخالفه الذي يتحتم عليه إطاعته، وما كان من هذه إلزامياً يتحمل الإنسان مسؤولية تنفيذها ويستحق العقوبة الأخروية على مخالفتها، مثل الأوامر بالواجبات، والنواهي عن المحرمات الشرعية.

القسم الثاني: الأوامر والنواهي الإرشادية، وهي الصادرة من الله

تعالى باعتباره حكيماً وعالمًا بمصلحة الإنسان ومرشداً له، من دون أن يحتمله مسؤولية تنفيذها، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(١)، فإن من يبطل صدقته بالمن والأذى - غير المحرم - لا يستحق عقوبة أخروية وإنما يخسر ثمرة صدقته فحسب، وعندما نلاحظ الآيات الحاكية عن نهي آدم عن الأكل من الشجرة لا نجد ما يشير إلى كونه نهيًا مولويًا حتى يوجب عصيانه العذاب الاخروي - الذي وعد الله به العصيين -، بل في بعض هذه الآيات ما يشير إلى كونه إرشادياً كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٢)، حيث كان تحذير آدم من الشيطان باعتبار أن متابعتة توجب الخروج من الجنة، ولو كان النهي الإلهي - عن الأكل من الشجرة - مولويًا لأشارت هذه الآية إلى أن أثر متابعة الشيطان استحقاق العذاب الإلهي الذي هو أهم من الخروج من الجنة، ولعل إلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ حيث اقتصر على ذكر إخراجها من الجنة من دون أن يشير إلى تعرضهما إلى الغضب الإلهي وسخطه.

س ٣٩ - كيف استطاع إبليس دخول الجنة

وغواية آدم؟

ج - أما على افتراض أنها من جنان الدنيا فلا محذور في دخول إبليس إليها، وأما على فرض أنها جنة الخلد فلا دليل على منع إبليس من دخولها آنذاك قبل يوم القيامة، بل تشير بعض الآيات إلى تحذير الله تعالى لآدم وحواء من الشيطان مما يكشف عن إمكانية دخوله الجنة، قال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا

(١) سورة البقرة: ٢٦٤ .

(٢) سورة طه: ١١٧ .

رَبِّهَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١١﴾ .

﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ﴾ (٣٧).

س ٤٠ - ما هي الكلمات التي تلقاها آدم؟

ج - اختلفت النصوص في تحديدها، فبعضها تضمنت التسييح ومناجاة الله تعالى، مثل «اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي، فاغفر لي إنك خير الغافرين»، وفي بعض النصوص أنه توسل لله سبحانه بالنبي محمد وآله صلوات الله عليهم^(١).

س ٤١ - إذا كان النهي عن أكل الشجرة إرشادياً

فما معنى التوبة من مخالفته وما هو أثرها على آدم؟

ج - التوبة في اللغة الرجوع، وبما أن الأكل من الشجرة لم يكن منسجماً مع حق الله تعالى وفضله على آدم، فكانه أبعد عن ربه، فتكون توبته رجوعاً منه لله تعالى حيث استحق بذلك قربه وفضله، فاجتباه ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾^(٢) واصطفاه ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، وقد استعملت التوبة في القرآن الكريم بهذا المعنى في موارد عديدة منها: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ

(١) سورة طه : ٢٢ .

(٢) الخصال: ٨/٢٧ .

(٣) سورة طه : ١٢٢ .

(٤) سورة آل عمران : ٣٣ .

يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾. فان التوبة هنا ليست بمعنى غفران الذنب، إذ لم يصدر من النبي ﷺ وأصحابه ذنب آنذاك، وإنما المقصود منها الرعاية الإلهية وشمولهم بفضله ورحمته برفع كرتهم. والله العالم.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (٤٠).

س ٤٢ - ما هو عهد الله لهم وعهدهم لله تعالى؟

ج - لعل المقصود منه ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١١).

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٤٥ - ٤٦).

س ٤٣ - كيف تكون الصلاة كبيرة على غير الخاشعين؟

ج - المقصود أنها ثقيلة وشاقة على غير الخاشعين، إما باعتبار ما تتضمنه من التواضع والخضوع لله تعالى الذي لا يستسيغه المتكبرون، أو باعتبار أن من لا يخشع في صلاته تتحول صلاته إلى ممارسة رتيبة مملّة فيستقلها، وتصبح عليه إدامتها.

(١) سورة التوبة : ١١٧ .

(٢) سورة المائدة : ١٢ .

س ٤٤ - كيف وصف الخاشعين بأنهم يظنون

ملاقاة ربهم، والظن غير اليقين؟

ج - الظن هنا بمعنى اليقين عن تفكير وتدبر - وهو من معاني الظن - في مقابل العلم بمعنى يقين المشاهدة والعيان كما نص عليه علماء اللغة^(١) . وفي الحديث عن أبي معمر عن علي عليه السلام في قوله : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ يقول : « يوقنون أنهم مبعوثون ، والظن منهم يقين »^(٢) .

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٧)

س ٤٥ - في أي شيء فضل الله بني إسرائيل على العالمين؟

ج - قد يكون تفضيلهم باعتبار وفرة النعم عليهم، ومنها كثرة الأنبياء والرسل منهم، من دون أن يعني ذلك رفعة مقامهم في الآخرة، بل ذلك يرتبط بمدى إيمانهم وطاعتهم لربهم، إذ الذي يرفع مقام الأمة ويفضلها على غيرها هو إيمانها وسلوكها، كما قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾^(٣) .

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٤٨).

س ٤٦ - ألا تنفي هذه الآية شفاعة الإنسان بقول

مطلق مها كان مقامه؟

(١) تراجع لسان العرب : ١٣ / ٢٧٢ .

(٢) تفسير العياشي : ١ / ٦٢ .

(٣) سورة آل عمران : ١١٠ .

ج - الشفاعة من المفاهيم التي تكرر الحديث عنها في القرآن الكريم والسنة
المعتبرة لدى المسلمين جميعاً، ولأجل الخروج بنتيجة موضوعية دقيقة لا بد
من ملاحظتها جميعاً وعدم الاكتفاء بدلالة ظاهر آية واحدة، ويكفي هنا
إلقاء نظرة على العديد من الآيات الكريمة التي تصرّح بثبوت الشفاعة يوم
القيامة مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ
وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(١)، و ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾^(٢)،
﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾^(٣)، ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾^(٤)، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٥).

فهذه الآيات الكريمة وغيرها بالإضافة إلى عدد كبير من النصوص
المختلفة تؤكد على ثبوت الشفاعة يوم القيامة لكثير من الملائكة والناس
وفي مقدمتهم نبي الإسلام محمد ﷺ، بالإضافة إلى الأنبياء والأئمة
وبعض الصالحين.

وقد ادعى إجماع المسلمين على ثبوت الشفاعة وإنما الاختلاف
بينهم في تفاصيلها، قال الفخر الرازي: «أجمعت الأمة على أن لمحمد
ﷺ شفاعة في الآخرة وحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ
رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ثم
اختلفوا بعد هذا في أن شفاعته ﷺ لمن تكون .. وقال أصحابنا: تأثيرها في

(١) سورة طه: ١٠٩ .

(٢) سورة سبأ: ٢٣ .

(٣) سورة النجم: ٢٦ .

(٤) سورة يونس: ٣ .

(٥) سورة الأنبياء: ٢٨ .

إسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب»^(١).

ولعل الآيات النافية للشفاعة ناظرة إلى طبيعة ما يقدمه الفاسقون شفيحاً لهم أو من يعتقدون بأنه يشفع لهم مثل الأصنام ورؤوس الضلالة، كما توحى به بعض هذه الآيات، ومنها هذه الآية - التي نتحدث عنها - فإنها واردة في سياق الحديث عن بني إسرائيل الذين كانوا يرون أنفسهم شعب الله المختار ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾. ويتخذون رهبانهم أرباباً من دون الله، معتمدين على شفاعتهم، وعلى أموالهم، ولذا جاء الرد عليهم ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي فدية. وكذلك قوله تعالى: ﴿... وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ...﴾^(٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُفْرٍ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مَن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٤)، وغيرها من الآيات، فإنها بمثابة تحذير للكافرين والفاسقين أن لا يتبعوا في الحياة الدنيا الأصنام ورؤوس الضلالة اعتماداً على شفاعتهم في الآخرة، فإنهم سوف يندمون آنذاك حيث لا ينفع الندم ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءَ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾^(٥).

فاتضح أن هذه الآيات لا تنفي شفاعة الأنبياء والأئمة وغيرهم من المؤمنين ممن يأذن الله له بذلك.

(١) التفسير الكبير: ٢ / ٥٥ - ٥٦.

(٢) سورة يونس: ١٨.

(٣) سورة الأنعام: ٩٤.

(٤) سورة الأنعام: ١٥.

(٥) سورة الروم: ١٣.

﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٥١).

س ٤٧ - كيف يجعل الآية المواعدة أربعين ليلة مع
أنها كانت ثلاثين وأكملت بعشر ليالٍ إضافية كما
جاء في قوله تعالى: ﴿وَوَاَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (١).

ج - جاءت الآية هنا من باب التغليب، باعتبار أن الليالي العشر ملحقة
بالموعد الحقيقي المحدد بالثلاثين، فصحت نسبة المواعدة لكل الأربعين من
باب التغليب والايجاز. وهذا تعبير عرفي مألوف.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (٥٥).

س ٤٨ - كيف نسب هذا القول لبني اسرائيل
مع أن القائلين كانوا مجموعة قليلة قد لا تتجاوز
السبعين شخصاً - كما جاء في بعض النصوص؟

ج - باعتبار أن هذه المجموعة كانوا خيرة بني اسرائيل، فمن الطبيعي
أن يعكس سلوكهم طبيعة هذه الأمة ومدى ضعف إيمانها، وليست الآية
بصدد مجازاتهم حتى تقتصر على الممارسين للخطأ على أساس ﴿وَلَا تَزِرُ
وَأِزْرَةً وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وإنما مجرد تذكيرهم بالعديد من مواقفهم التي لا
تنسجم مع النعم الإلهية المتتالية عليهم.

س ٤٩ - إذا كانت الصاعقة قد أخذتهم حتى
فقدوا الوعي أو ماتوا - كما تشير إليه بعض
الآيات - فكيف ينظرون؟

ج - ليس في الآية دلالة على نظرهم بعد نزول الصاعقة بهم، وإنما
نظرهم عند نزولها، باعتبار أنهم كانوا ينظرون إلى السماء لكي يروا الله تعالى
- بزعمهم - فشاهدوا الصاعقة التي أخذتهم، كما تقول: قُتِلَ المجرم واقفاً.
فانه لا يعني وقوفه بعد القتل، وإنما كونه واقفاً حين القتل.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُصِبرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا
وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (٦١).

س ٥٠ - بما أن الرغبة في تنويع الطعام مقتضى
الطبيعة البشرية فلماذا أتبهم موسى ﷺ؟

ج - إن إنزال المن والسلوى عليهم إنما كان في ظرف طارئ حيث
كانوا يهيمون آنذاك في الصحراء - في طريقهم إلى مصر وبيت المقدس -
فمن الله عليهم بإنزال المن والسلوى لتهون عليهم فترة المكث في الصحراء
بدلاً من تكلفتهم مؤنة توفير الغذاء هناك، فكان المفروض فيهم شكر هذه
النعمة والرعاية الإلهية بدلاً مما دأبوا عليه من التعنت والجهالة وكفر النعم.

س ٥١ - كيف قال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ مع أنهم استبدلوا الذي هو خير
- المن والسلوى - بالذي هو أدنى؟

ج - كلاً، لأن الباء الداخلة على اسم الموصول - الذي هو خير - باء البدلية، والمعنى اختاروا الذي هو أدنى بدل الذي هو خير.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢)

س ٥٢ - ألا تدل هذه الآية على أن أتباع الأديان السماوية يؤجرون في الآخرة ويأمنون العذاب إذا كانوا صادقين في إيمانهم وصالحين في أعمالهم مثل المؤمنين - المسلمين - ، رغم عدم إيمانهم بالإسلام، باعتبار أن العطف يقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه؟

ج - تدل هذه الآية على أن أتباع الأنبياء في زمانهم الذين التزموا بدينهم يستحقون أجرهم، كما يستحق المسلمون ذلك، لكن ذلك لا يعني أن من يصر على الدين المنسوخ ولم يؤمن بالنبي اللاحق يستحق ذلك، وإلا لم تكن هناك فائدة في إرسال الرسل بشرائع ناسخة لما قبلها، لأن رسالة هؤلاء الرسل تشمل أتباع الدين السابق أيضاً، بل إن بعضهم يُبعث في وسط أتباع الدين السابق، مثل عيسى عليه السلام الذي بعث في وسط بني إسرائيل ودعاهم إلى الإيمان برسالته.

هذا، وربما يطلق على الذين أسلموا منهم لفظة اليهود والنصارى والصابئين باعتبار قرب عهدهم بأديانهم تلك، كما قال تعالى - في حديثه

عن اليهود - ﴿لَكِنَّ الرَّايسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ...﴾^(١)، فاعتبرهم - مجازاً - من اليهود، مع أنهم قد أصبحوا مسلمين.

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٦٦).

س ٥٣ - ما هي التي جعلها الله نكالاً؟ وكيف تكون كذلك؟

ج - تلك الأمة التي مُسخت جعلها الله تعالى عبرة للأمم المعاصرة والأمم اللاحقة لها، يتعظ بذلك المؤمنون، وفي الحديث عن زرارة عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام وأبي عبد الله (الصادق) عليه السلام في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ قال: لما معها ينظر إليها من أهل القرى ولما خلفها قال: ونحن، ولنا فيها موعظة^(٢).

﴿.. وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (٧٤).

س ٥٤ - هل الحجارة الثانية التي تشقق مغايرة للأولى أو عينها؟

ج - الحجارة الثانية إشارة لمنبع العيون ونحوها، وهي تختلف عن

(١) سورة النساء: ١٦٢.

(٢) تفسير العياشي ١: ٤٦ حديث: ٥٦.

الأنهار المتدفقة، وبعض المفسرين اعتبر الأولى رمزاً للخير والنفع، والثانية رمزاً للمرونة والتفاعل مع العوامل المؤثرة بينما هؤلاء قلوبهم صلدة قاسية لا تستجيب لنداء الله تعالى، ولا نفع ولا خير فيها.

س ٥٥ - كيف تهبط الحجارة من خشية الله وهي
جماد لا يعقل؟

ج - تضمنت بعض الآيات والنصوص نسبة بعض مراتب الإدراك والشعور لبعض الحيوانات والجمادات، بل لكل شيء كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَنْفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١) وقد أكدتها بعض النظريات الفلسفية، وسوف نشير إلى ذلك في محله^(٢) إن شاء الله تعالى.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ
كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥).

س ٥٦ - هل تحريف البعض يقطع الأمل بإيمان الآخرين؟

ج - نعم، إذا كان التحريف من الكبار المطاعين فيهم - كما هو العادة - فمن الطبيعي أن يمنع ذلك إيمان أتباعهم المتأثرين بهم.

ويحتمل أن يكون قوله - في آخر الآية - ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ راجعاً إلى العامة الذي كانوا عاملين بفسق أحبارهم وتحريفهم - كما نلاحظهم أحياناً في عصرنا حيث يذمونهم ولا يثقون بهم - وجاء في الحديث: قال رجل للصادق عليه السلام: إذا كان هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا

(١) سورة الاسراء: ٤٤.

(٢) تراجع صفحة: ٢٦٥.

بما يسمعون من علمائهم فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم؟ وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون علماءهم - إلى أن قال - فقال عليه السلام : «بين عوامنا وعوام اليهود فرق من جهة... فإن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وأكل الحرام والرشا وتغيير الأحكام، واضطروا بقلوبهم إلى أن من فعل ذلك فهو فاسق لا يجوز أن يصدق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله فلذلك ذمهم..» (١).

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُوكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٦).

س ٥٧ - إلى من تشير هذه الآية مع أن موقف اليهود في عنادهم وجحودهم للنبي صلى الله عليه وسلم معروف؟

ج - تشير الآية الكريمة إلى بعض اليهود الذين كانوا يتوددون إلى المسلمين ويتظاهرون بالإيمان حتى إن بعض هؤلاء كان يحكي للمسلمين ما قرؤوه في كتبهم وما سمعوه من أحبارهم من ذكر أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم، وبعدما يخلون فيما بينهم يلوم بعضهم بعضاً أو يلومهم آخرون منهم على ذلك، ففي الحديث عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين، إذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد فنهاهم كبراً وهم عن ذلك، وقالوا لا نخبروهم بما في التوراة من صفة محمد فيحاجوكم به عند ربكم. فنزلت هذه الآية» (٢).

(١) وسائل الشريعة ١٨ : ٩٤ . أبواب صفات القاضي الباب : ١٠ الحديث : ٢٠ .

(٢) تفسير مجمع البيان : ٦٥ / ٩ .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٨٣)

س ٥٨ - بما أن التولي هو الإعراض فما فائدة قوله: ﴿وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾؟

ج - قد يكون التولي بمعنى الإدبار، قال ابن منظور: (... وقد ولي الشيء وتولى إذا ذهب هارباً ومدبراً...) (١) وبما أن جملة ﴿وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ حالية، فيكون المعنى: توليتم معرضين، وفي ذلك إشارة إلى أن إدبارهم وعدم التزامهم بالميثاق عن إعراض وإصرار منهم، لا بسبب نزوة أو في حالة طارئة.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتِوكُمُ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُومِنُونَ بَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضٍ...﴾ (٨٥).

س ٥٩ - ما هو البعض الذي آمنوا به من الكتاب والبعض الذي لم يؤمنوا به؟

ج - كانوا يمارسون القتل والعدوان والتشريد فيما بينهم خلافاً لما أمرهم به الله تعالى، وعندما يؤسر بعض هؤلاء يدفعون الفدية لإطلاقهم

(١) لسان العرب: ابن منظور: ١٥ / ٤١٥.

- وهو ما أمر الله به - ولعلّ هذا الموقف منهم جزء من اعتزازهم القومي أمام غيرهم، بينما لا يطبقون الضوابط الشرعية في تعاملهم فيما بينهم، إذ كانت تسود بينهم النفرة والضغينة والأهواء المختلفة، كما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨).

س ٦٠ - ما هو هدفهم من هذا القول، وماذا يقصدون به؟

ج - هدفهم توجيه موقفهم الراض للإيمان بالاسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ. والغُلْف جمع أغلف، قال ابن منظور: «وسيف أغلف وقوس غلفاء، وكذلك كل شيء في غلاف»^(١). ويقصدون هنا أنّ قلوبهم لا تستجيب لدعوة الرسول ﷺ لهم للدخول في الإسلام فكانها مغطاة ومحجوبة عن ذلك.

وهناك قراءة يضم اللام «غُلْف» فيكون جمعاً لغلاف، بمعنى أنّ قلوبنا أوعية للعلم - كما أنّ الغلاف وعاء - وأنّ ما يذكره محمد ﷺ لا ينسجم مع معلوماتنا، ولذلك لا نؤمن به.

﴿بِشَيْءٍ اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيَّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (٩٠).

س ٦١ - كيف ينطبق شراء النفس الذي هو بمعنى حفظ النفس من الضلال مثلاً على موقف

(١) لسان العرب: ٩: ٢٧١.

اليهود المعاند للرسول ﷺ؟

ج - الاشتراء هنا بمعنى البيع - الذي هو من معاني الشراء والاشتراء لغة - فاليهود حيث خسروا أنفسهم بسبب إصرارهم على الكفر برسالة النبي محمد ﷺ بغياً وحسداً له ﷺ - لكونه من ذرية إسماعيل ولا ينحدر من سلالة إسحاق كما كانوا يترقبون - فكأنهم باعوا أنفسهم وخسروها، إذ استبدلوها بالكفر.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٩١).

س ٦٢ - ما هو وجه الارتباط بين قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ...﴾ ومقدمة الآية مع أن هؤلاء لم يكونوا هم الذين قتلوا الأنبياء؟

ج - بعد أن رفض اليهود الإيمان برسالة الإسلام، وأصرّوا على الاقتصار على الإيمان بما أنزل عليهم، ردت الآية الكريمة عليهم بأمرين: أحدهما: أن ما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ مصدق لما أنزل على أنبياء بني إسرائيل - كما كانت تؤكد مصادره وأخبارهم وبشاراتهم من قبل - فيفترض مبادرتهم إلى الإيمان به.

ثانيهما: إن ادعاءهم الايمان بما أنزل على أنبيائهم غير صحيح، لأن تاريخ بني إسرائيل مليء بجرائم قتل هؤلاء الأنبياء الذين كانوا بين ظهرانيهم، وبالرغم من ذلك فإن ذريتهم يدعون الايمان من جهة ويعتزون بأسلافهم ويرون لبني اسرائيل تميّزاً عن غيرهم وأنهم شعب الله المختار من

بين الشعوب، فالرضا والاعتزاز بالأسلاف يصحح انتساب أفعال أولئك وممارساتهم لهؤلاء، لأن المرء مع من أحب - كما جاء في الحديث (١) -

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (٩٣).

س ٦٣ - بما انه ليس المقصود من السماع هنا سماع الكلام فلا بد أن يكون بمعنى الطاعة، وعلى هذا الأساس فكيف يجمع بين الطاعة والمعصية في قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾؟

ج - السماع يأتي بمعنى الاستجابة والقبول، قال ابن منظور: «ومنه الحديث: اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يسمع أي لا يستجاب ولا يعتد به، فكأنه غير مسموع...» (٢) وعلى هذا فيكون معنى الآية أنهم قبلوا الميثاق وتحملوا مسؤوليته ثم عصوا وتخلّوا عن ذلك.

واحتمل بعض المفسرين أن يكون قوله ﴿وَعَصَيْنَا﴾ حكاية عن فعلهم وما آل إليه من المعصية وليس هو حكاية عن قولهم.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (٩٦).

س ٦٤ - ما فائدة ذكر الذين أشركوا مع أنهم ضمن الناس؟

ج - التصريح بذكر المشركين لتأكيد حرص اليهود على الحياة، وأنه

(١) علل الشرائع: ٢ / ١٣٩.

(٢) لسان العرب: ٨ / ١٦٣.

أشد من حرص المشركين عليها بالرغم من عدم إيمانهم بالبعث والجزاء بعد الموت. كما حكى عنهم القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(١).

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٢).

س ٦٥- بعد أن فرضهم عالمين بخسارة نصيبهم في الآخرة كيف ينفي علمهم بيؤس وتفاهة الثمن الذي باعوا به أنفسهم؟

ج- لعله إشارة إلى ما يلاحظ لدى كثير من أتباع الأديان السماوية- بمن فيهم المسلمون- فإنهم في الوقت الذي يعرفون حرمة بعض الأعمال والعقاب الذي يترتب عليه، لكنهم يستخفون بها ويستهيئون بالعقاب المترتب عليها، لعدم استيعابهم لطبيعته ومداه وآثاره، فهؤلاء اليهود رغم علمهم بحرمة السحر وخسارة صاحبه يوم القيامة، لكنهم لا يستوعبون مدى تفاهة الثمن الذي يبيعون به أنفسهم، لعدم علمهم بطبيعة ومدى العقاب الذي ينتظرهم جزاء عملهم هذا.

ويحتمل أن يكون العلم المنفي عنهم هو العلم الذي يستتبع العمل أي التعقل لا مجرد المعرفة، واستعمال العلم بهذا المعنى شائع في القرآن والسنة، حيث ورد أن العقل ما عُبد به الرحمن، وقد أشار إلى ذلك بعض علماء اللغة وغيرهم^(٢)، ويؤيد ذلك قوله تعالى في الآية اللاحقة: ﴿وَلَوْ

(١) سورة الأنعام: ٢٩.

(٢) يراجع لسان العرب: ٤١٧/١٢.

أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقُوا لِمَنُوعِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾ . إذ من البعيد أن بني إسرائيل لا يعرفون أن المثوبة المترتبة على الإيمان والتقوى خير من السحر وغيره من المعاصي، لكنهم حيث لم يعملوا على طبق علمهم، نفت الآية عنهم العلم بالمعنى الثاني - التعقل والوعي - .

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ
وَمَن يَبْدُلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١٠٨).

س ٦٦- لماذا استحقوا الذم لمجرد سؤا لهم
لرسول الله ﷺ؟

ج- السؤال هنا بمعنى الطلب، وقد ورد في سبب نزول الآية أن البعض قد طلب من رسول الله ﷺ ما يشبه طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام بأن يروا الله جهرة أو يجعل لهم آلهة أو يأتيهم بالآيات التي يقترحونها، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢١) .

س ٦٧- التبديل في اللغة بمعنى الاستبدال، فمن
يستبدل الكفر بالإيمان كيف يكون ضالاً؟

ج- الاستبدال والتبديل بمعنى جعل الشيء بدلاً، وحيث كانت الباء الداخلة على «الإيمان» باء البدل، فيكون المعنى: ومن يختار الكفر بدل الإيمان فقد ضلّ، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَبِيبَ

(١) سورة البقرة: ١٠٣ .

(٢) سورة البقرة: ١١٨ .

بِالطَّيِّبِ ﴿١١﴾ أَي لَا تَخْتَارُوا الْخَبِيثَ وَتَجْعَلُوهُ بَدَلَ الطَّيِّبِ .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ..﴾ (١٤٣).

س ٦٨ - ما معنى شهادة هذه الأمة على الناس،
وشهادة الرسول ﷺ على الأمة؟

ج - كان شهادة هذه الأمة - المؤمنة - على الناس باعتبار أن استقامتهم
وإيمانهم بالرسول ﷺ أسقطا عذر الكافرين في كفرهم وضلالتهم،
لأن إيمان المؤمنين يكشف عن قيام الحجة وتمامها ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن
بَيْتِنَا وَيُنَجِّي مَنْ كَرِهَ﴾ (٢).

وأما شهادة الرسول على الأمة فباعتبار أنه قد بلغ رسالات ربه
وأبلغهم تعاليمه، فلا يبقى عذر للجاحد والعاصي .

﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨).

س ٦٩ - كيف يفتي الفقهاء بوجوب السعي
بين الصفا والمروة مع أن نفي الجناح - أي الذنب
والمعصية - لا يعني وجوب السعي بل غاية ما

(١) سورة النساء: ٢ .

(٢) سورة الأنفال: ٤٢ ..

يدل عليه هو جواز السعي وعدم حرمة؟

ج - ان الفقهاء لا يستندون في وجوب السعي إلى هذه الآية، بل إلى النصوص الواردة في السنة التي تضمنت وجوب السعي بينها في الحج والعمرة.

وأما اشتغال الآية الكريمة على نفي الجناح فكأنه يشير إلى خلفية وضع الصفا والمروة في عهد الجاهلية، حيث ذكر المؤرخون أن بعض عرب الجاهلية كانوا قد وضعوا صنماً اسمه «أساف» على الصفا، وصنماً اسمه «ناثلة» على المروة وهم يسعون ويتمسحون بهما، فكأنها تحوّلًا إلى رمزين للجاهلية وعبادة الأصنام، فلما أقرّ الإسلام تشريع السعي بين الصفا والمروة ضاقت نفوس بعض المسلمين من ذلك على أساس تلك الخلفية لهذين الجبلين، فنزلت الآية الكريمة لتؤكد موقعهما في الإسلام وأنها من شعائر الله تعالى، وأن الممارسة الخاطئة للمشركين بوضع الأصنام عليهما لا يمنع من السعي إليهما ضمن التعبد المشروع لله في الحج والعمرة، وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام عن كيفية حج النبي صلوات الله عليه وآله قال: ان الصفا والمروة من شعائر الله فابدأ بها بدأ الله تعالى به، وإن المسلمين كانوا يظنون أن السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾^(١).

س ٧٠ - إذا كانت الآية تشير إلى السعي فلماذا قالت: ﴿يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ ومعناه الدوران حولها مع

(١) الكافي: ٤ / ٢٤٥.

أن السعي هو بين الصفا والمروة؟

ج - يبدو من بعض النصوص أن الآية الكريمة تشير إلى ما قبل تشريع السعي على كفيته الفعلية، حيث كان النسك الدوران حول الصفا والمروة، ففي الحديث عن بعض أصحابنا عن الإمام الصادق عليه السلام قال: سألته عن السعي بين الصفا والمروة فريضة هو أو سنة - أي مستحب -؟ قال: فريضة. قال: قلت: أليس الله يقول: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ - يقصد السائل أن الآية لم تفرضه وإنما أباحته -؟

قال: كان ذلك في عمرة القضاء، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان شرطه عليهم - أي على المشركين قبل فتح مكة - أن يرفعوا الأصنام - أي عن الصفا والمروة - فتشاغل رجل من أصحابه حتى أعيدت الأصنام، فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه، وقيل له: إن فلاناً لم يطف - أي بالصفا والمروة - وقد أعيدت الأصنام، قال: فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ أي والأصنام عليهما ^(١).

كما روي عن عروة عن عائشة - في حديث لها حول الآية الكريمة - ... إنما كان هذا الحجة من الأنصار قبل أن يُسلموا يهلّون لـ «مناة» الطاغية التي كانوا يعبدون، عند المُشَلَّل - اسم جبل -، فكان من أهل لـ «مناة» يتخرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتخرج أن نطوف بالصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ...﴾ الآية، ثم سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطواف

(١) تفسير العياشي: ١ / ٨٩.

بينهما، فليس ينبغي لأحد أن يدع الطواف بينهما^(١).

فهاتان الروايتان تدلان على أن نزول الآية الكريمة قبل فرض السعي بين الصفا من جانب النبي ﷺ. وأنها لا تتحدث عن السعي المعهود الآن بين المسلمين الذي شرع فيما بعد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٦١).

س ٧١- كيف يفرض لعنة الناس أجمعين على الكافرين مع أن أصحاب دينه لا يلعنونه؟

ج- إما أن يقصد من الناس من يُعتنى بلعنه وهم المؤمنون، أو باعتبار أن أصحاب كل دين يعتبرون أنفسهم المؤمنين ويلعنون الكافرين، وبما أن الكافرين بالله تعالى هم الكفار الحقيقيون فتشملهم في الحقيقة لعنة أبناء دينهم.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ
وَنِدَاءَ صُمٍّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٧١).

س ٧٢- كيف يشبه الذين كفروا بمن ينعق، وينعتهم بعد ذلك بأنهم صمٌّ بكم، والحرس لا ينجم مع النعيق؟

ج- هناك عدة تفاسير للآية منها:

الأول: أنه تشبيه لموقفهم من الرسول ﷺ بموقف البهائم من

(١) أحكام القرآن لأبي بكر بن عربي: ١/ ٤٦- ٤٧.

الراعي فكما أنّ البهائم لا تفهم شيئاً من الراعي - غير صوته - فكذلك هؤلاء الكافرون لا يستوعبون دعوة الرسول ﷺ وتعليمه لهم، وفي مجمع البيان قال قتادة: صُم لا يسمعون الحق، بُكْم: لا ينطقون به، عُمي: لا يبصرونه... وإنما شبههم الله بالصُم لأنهم لم يحسنوا الإصغاء إلى أدلة الله تعالى فكأنهم صُم، وإذا لم يقرّوا بالله وبرسوله فكأنهم بُكْم، وإذا لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض فكأنهم عُمي، لما لم تصل إليهم منفعة هذه الأعضاء فكأنهم ليس لهم هذه الأعضاء^(١).

الثاني: أنّ موقف هؤلاء الكفار في دعوتهم للأصنام كموقف الراعي في خطابه للبهائم فكما أنّها لا تفقه كلامه، فكذلك الأصنام لا تفقه دعوة الكافرين وعبادتهم لها. فهؤلاء الكافرون في دعوتهم وعبادتهم لها لا يعقلون ولا ينتفعون بعقولهم وحواسهم فكأنهم فقدوها.

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَالْحَمَّ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٧٣).

س ٧٣- كيف استعمل أداة الحصر (إنما) مع أنّ هناك أطعمة كثيرة محرمة في الإسلام؟

ج- الحصر هنا إضافي أي نسبي باعتبار انتشار استخدام المذكورات في الآية آنذاك، ولا يعني حصر التحريم بها دون غيرها من المأكولات.

س ٧٤- جاء في بعض النصوص عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: الباغي: الخارج على الإمام،

والعادي: اللص وحينئذ يطرح هذا السؤال لماذا يستثنى المضطر الباغي والعادي من نفي الإثم، وهو يعني الحكم بإثمهما مع أنه يجب عليهما حفظ النفس عند الاضطرار ولو بأكل المحرمات؟

ج- أشار بعض الفقهاء إلى ثبوت حرمة الأكل للمضطر فيما إذا كان اليغي أو العدوان هو منشأ الاضطرار للحرام^(١)، وعلى هذا فيكون من الطبيعي أن يتحمل الباغي والعادي مسؤولية ما يترتب على معصيتهما من آثار، وأما وجوب الأكل عليهما حفظاً للنفس فهو وجوب عقلي ترجيحاً لفعل الأخف حرمةً، وهو لا يتعارض مع تحمُّله مسؤولية أكل المحرم.

وهذا ينطبق على كل حالة يوقع الإنسان نفسه في الاضطرار إلى ارتكاب أحد فعلين محرَّمين، فيفرض عليه العقل أن يختار فعل الأخف حرمةً من دون أن يرفع عنه مسؤولية عمله.

س ٧٥- بما أن أكل هذه المحرمات محلل للمضطر - غير الباغي والعادي - فما معنى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟

ج- عند مراجعة المصادر اللغوية يتضح أن مادة «غفر» لا تختص بستر الذنوب، بل تأتي بمعنى أصلح، قال الفيروز آبادي: «غفر الأمر... أصلحه بما ينبغي أن يُصلح به»^(٢) وعلى هذا فتشير الآية إلى أن الله سبحانه أصلح شأن عباده ورحمهم من خلال تجويز الأكل حفاظاً على أنفسهم وحياتهم.

(١) يراجع منهاج الصالحين لساحة المرجع السيد محمد سعيد الحكيم: ٣/ ٢٣٠، وبداية المجتهد: ٤٩٨/١.

(٢) القاموس المحيط: ٢/ ١٠٦.

أو نقول أنّ هذا المقطع يعود إلى مجموع الآية، بمعنى أنه تعالى لرحمته أحلّ الطيبات وحرّم الخبائث في الدنيا، وإنه غفور يغفر ذنوب عباده ويسترها في الآخرة. والله العالم.

﴿وَالْمُوقُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ﴾ (١٧٧).

س ٧٦- لماذا لم يرفع «الصابرين» مع أنه معطوف على المرفوع فيقول: «... وَالْمُوقُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ...» وليس «الصابرين»؟

ج- المنصوب هنا ليس معطوفاً على المرفوع، وإنما هو منصوب على المدح- كما يسميه النحاة- فهو مفعول به لفعل محذوف تقديره أعني أو أمدح، وهو مألوف عند العرب بل في موارد طول التعوت وتعددها يكون ذلك مفضلاً عندهم، قال أبو علي: والأحسن في هذه الأوصاف التي تقطعت للرفع من موصوفها والمدح أو الغرض منهم والذم أن يخالف بإعرابها، ولا تجعل كلها جارية على موصوفها، ليكون ذلك دلالةً على هذا المعنى...^(١).

ومن ذلك قول الشاعر - انشده الفراء -:
إلى الملكِ القرمِ وابنِ الهمامِ وليتَ الكتيبةُ في المزدحمِ
وذا الرأي حين تغمّ الأمور بذاتِ الصليلِ وذاتِ اللجمِ

فنصب «ليت» و«ذا الرأي» على المدح.

ومثله أيضاً قول الشاعر:

فليت التي فيها النجوم تواضعت على كل غث منهم وسمين
غيوث الحيا في كل محل ولزبة اسود الثرى يحمين كل عرين

فرفع «غيوث» و«أسود» مع آتتها وصفان في المعنى للمجرور.

﴿..وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١٧٧).

س ٧٧ - ما الفرق بين البأساء وحين البأس؟

ج - روي عن ابن عباس أن البأساء إشارة للفقير، والضراء إشارة للمعرض وحين البأس إشارة للجهاد والقتال في سبيل الله^(١).

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ...﴾ (١٧٨).

س ٧٨ - يلزم على ذلك أن يكون القصاص واجباً

مثل الصيام الذي قال تعالى عنه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الصِّيَامُ﴾ مع ان من حق ورثة المقتول طلب الفدية

بدل القصاص؟

ج - المقصود هنا حق القصاص، فيلزم الإذعان بهذا الحق ويوكل

استخدام هذا الحق إلى الولي، وهذا بخلاف الصيام فإنه عبادة وليس حقاً

فامتثال أمره باتيانه لا بمجرد الاعتراف والإذعان به.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩).

س ٧٩ - إذا كان في القصاص حياة فكيف يكون

(١) التفسير الكبير: ٤٥ / ٣.

العفو خيراً منه، كما أشارت إليه الآية السابقة؟

ج - لم تتضمن الآية حصر الحياة في القصاص حتى يتعارض مع رجحان العفو، وإنما تعرضت لثمرة القصاص فقط دون العفو، باعتبار أن ثمرة العفو واضحة، بينما مصلحة القصاص قد تكون خفية. هذا بناءً على إرادة نفس القصاص.

والرأي الأرجح ان المقصود من القصاص هو حق القصاص لا تنفيذه، وأن شعور المجتمع بحق أولياء المقتول في القصاص - وإن عفى بعضهم - يمنع من الجريمة، ومن جانب آخر فإن تشريع حق القصاص من القاتل نفسه دون غيره من أسرته وأقاربه بهدف الحد من حالات القتل الانتقامية لغير القاتل - كما كان وما زال سائداً في بعض المجتمعات - فأشارت الآية إلى حكمة وثمره تشريع هذا الحق، من دون أن يعارض ذلك رجحان العفو الذي أشارت إليه الآية السابقة، لأن ثبوت الحق لا ينافي أفضلية العفو والتنازل عنه.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ..﴾ (١٨٥).

س ٨٠ - كيف ينسجم مدلول الآية مع ما هو

معروف من نزول القرآن تدريجياً على النبي ﷺ

خلال عشرين سنة أو أكثر؟

ج - اختلفت النصوص وآراء المفسرين والباحثين في ذلك على عدة

أقوال منها:

١ - ان القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر إلى البيت المعمور،

ثم نزل على رسول الله ﷺ متفرقاً خلال ثلاثة وعشرين عاماً، وقد اختار هذا الرأي جماعة من المحدثين وغيرهم اعتماداً على عدة نصوص، منها ما رواه الشيخ الكليني بسنده عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألتُه عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ وإنما أنزل القرآن في طول عشرين سنة، بين أوله وآخره؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: «نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة...»^(١). وروى الطبراني وغيره عن ابن عباس أنه قال: «أنزل القرآن جملة واحدة حتى وضع في بيت العزة في السماء الدنيا»^(٢).

٢ - ان المقصود هو ابتداء نزوله في شهر رمضان - وفي ليلة القدر بالذات - ونسب هذا الرأي لجماعة منهم الشعبي، قال الشيخ المفيد (رحمه الله): وقد يجوز في الخبر الوارد بنزول القرآن جملة في ليلة القدر أنه نزلت جملة منه ليلة القدر، ثم تلاه ما نزل منه إلى وفاة النبي ﷺ...»^(٣).

وقد وجهه الشيخ معرفة بقوله: «لأن كل حادث خطير إذا كانت له مدة وامتداد زمني، فإنَّ بدء شروعه هو الذي يسَّجل تاريخياً، كما إذا سُئل عن تاريخ دولة أو مؤسسة أو تشكيل حزبي... فإن الجواب هو تعيين مبدأ الشروع أو التأسيس لا غير. وأيضاً فإن قوله تعالى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ والآيات الأخر حكاية عن أمر سابق لا يشمل نفس هذا الكلام الحاكي، وإلا لكان اللفظ بصيغة المضارع أو الوصف. فنفس هذا الكلام دليل على

(١) أصول الكافي: ٢/ ٦٢٨.

(٢) المعجم الكبير / الطبراني: ١٢ / ٢٦.

(٣) تصحيح اعتقاد الإمامية: ١٠٣.

أَنَّ مِنَ الْقُرْآنِ مَا نَزَلَ مَتَأَخِرًا عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، اللَّهُمَّ إِلَّا بَضْرِبَ مِنَ التَّأْوِيلِ
غَيْرِ الْمُسْتَنَدِ^(١).

﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ
وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ
وَعَفَا عَنْكُمْ فَإِنَّ بَاشَرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا
وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ
الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ...﴾ (١٨٧).

س ٨١ - ما معنى كون الزوجين لباساً لبعضهما؟

ج - إما باعتبار التصاقهما ببعضهما كالتصاق اللباس بالجسد، وإما
باعتبار أن كلا منهما يستر الآخر - من الحرام - كما يستر اللباس الجسد، أو
لأن كلا منهما لا يستغني عن الآخر، كما لا يستغني عن لباسه، ولذلك من
الله سبحانه بتحليل العلاقة الجنسية بينهما في ليالي شهر رمضان.

س ٨٢ - ما هي الخيانة التي صدرت منهم؟

ج - ذكر المفسرون أن بعض المسلمين كانوا يجامعون زوجاتهم
سراً أبان تشريع حرمة ذلك في ليالي شهر رمضان قبل نزول آية التحليل،
فخاتوا بذلك عهد الإيثار والطاعة، وبسبب انعكاس سلبية ذلك عليهم
فكأنهم خاتوا أنفسهم، أو لكونهم كانوا يجتهدون زوجاتهم بالتظاهر بعدم
قصد الجماع وبعد ذلك يفاجئونه بذلك.

س ٨٣ - أليس الحيط الأبيض هو الفجر الكاذب

(١) تلخيص التمهيد: ٦٨/١.

حيث يكون عموداً كالحيط، دون الفجر الصادق
الذي هو مبدأ الصيام فإنه يتشرب في الأفق ولا
يظهر على شكل خيط وعمود؟

ج - كلاً، لأن من معاني الحيط اللون، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي:
«الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ» يعني الصبح^(١). وقال ابن فارس:
«والحيط الأبيض: بياض النهار. والحيط الأسود: سواد الليل. قال الله
تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ
الْفَجْرِ﴾. ويقال: لما يسيل من لعاب الشمس: خيط باطل..»^(٢). وقال
ابن منظور: «وقيل: الحيط: اللون، واحتج بهذه الآية، قال أبو عبيد: يدل
على صحة قوله ما قاله عليه السلام في تفسير الحيطين: إنها ذلك سواد الليل
وبياض النهار، قال أمية بن أبي الصلت: الحيط الأبيض: ضوء الصبح
منفلق، والحيط الأسود: لون الليل مركوم. ويروى مكتوم...»^(٣). وفي
الحديث عن عبد الله الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الحيط
الأبيض من الحيط الأسود، فقال: بياض النهار من سواد الليل^(٤).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ
الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ
مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٨٩).

س ٨٤ - لماذا خص الحج بالذكر مع أن الصيام

(١) العين: ٢٥١، مادة حيط.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٢/٢٣٢.

(٣) لسان العرب: ٧/٢٩٩.

(٤) تفسير العياشي: ١/١٠٣.

موقت بالهلال أيضاً؟

ج - لعله باعتبار التمهيد للآيات اللاحقة التي تتحدث عن الحج، فكان المناسب ذكره بالخصوص.

س ٨٥ - ماهي الفائدة والداعي لبيان عدم

الارتباط بين البرّ وإتيان البيوت من ظهورها؟

ج - ذكر المفسرون أنّ بعض أهل الجاهلية كانوا إذا أحرّموا يتقبون خلف بيوتهم ويدخلون منها ويعتبرون ذلك من البرّ ومستلزمات الإحرام، ويتجنّبون الدخول من الأبواب. وذكروا أيضاً أن المسلمين في أوائل الإسلام كانوا يفعلون ذلك، فأشارت الآية الكريمة إلى رفض ذلك وأنه ليس من البرّ، ولكن البرّ بالتقوى.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ * وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (١٩٠-١٩٣).

س ٨٦ - بعد أن ذكرت الآية الأولى ان الله لا يحب

المعتدين كيف يفرض أن العدوان قد لا يكون

مرفوضاً من الله تعالى مثل العدوان على الظالمين،

والبدء بقتال الكافرين إذا أصروا على كفرهم،

كما تشير إلى ذلك الآية الأخيرة؟

ج- روي عن ابن عباس ان الآية الأولى نزلت بعد صلح الحديبية حيث تضمنت بعض مواده أن يرجع النبي ﷺ والمسلمون إلى المدينة آنذاك، ويعودوا في العام المقبل إلى مكة لأداء العمرة، وخشي المسلمون أن لا تفي لهم قريش بذلك وأن يصدّوهم عن المسجد الحرام، وكره رسول الله ﷺ قتالهم في المسجد الحرام، فنزلت الآية الأولى لتحديد موقف المسلمين مشيرة إلى قتال من يقاتلهم فحسب، ومنعهم من قتال غيرهم التزاماً بالعهد المبرم في الحديبية، لأن الغدر بهم ومبادأتهم بالقتال اعتداء لا يحبه الله تعالى، بينما الآية الثانية نزلت بعد فتح مكة ونقض العهد من جانب المشركين، فلا يكون قتال المسلمين لهم غدراً واعتداءً، وإنما من باب تحمّلهم للمسؤولية وأداء واجب الجهاد، ودعوة الناس إلى الإيمان بالله وبرسالة الإسلام، وإخلاء أرض الوحي من رجس الشرك وعبادة الأوثان، خاصة أن المشركين كانوا قد بدؤوا باخراج المسلمين من مكة وتعذيبهم في بدايات بعثة الرسول، إذن ليس المقصود من العدوان في الآية الأخيرة هو الظلم والاعتداء - الميغوض لله - وإنما هو السبيل، قال ابن منظور: «وقوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي فلا سبيل، وكذلك قوله: ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ أي فلا سبيل عليّ»^(١).

ويمكن ان يكون إطلاق العدوان على قتال الظالمين باعتباره ردعاً وعقوبةً لظلمهم، وهو شائع في اللغة العربية، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾. قال ابن منظور: «سماه

(١) لسان العرب: ١٥ / ٣٣.

اعتداءً لأنه مجازاةٌ اعتداءٍ فسميَ بمثل اسمه، لأن صورة الفعلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعةً والآخر معصيةً، والعرب تقول: ظلمني فلان فظلمته، أي جازيته بظلمه لا وجه للظلم أكثر من هذا، والأول: ظلم، والثاني: جزاءٌ ليس بظلم، وإن وافق اللفظ اللفظ مثل قوله: ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ السيئة الأولى سيئة والثانية مجازاة وإن سميت سيئة، ومثل ذلك في كلام العرب كثير ... قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي جزاءٌ لإثمه^(١).

س ٨٧ - ما هو الهدف من قوله ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾؟

ج - بعد أن ذكرت الآية السابقة أن الله لا يحب المعتدين، قد يتوهم الإنسان أن الأمر بقتل المشركين أينما ثقفوا من الاعتداء المبعوض لله، فأشارت هذه الآية إلى دفع هذا التوهم بأن فتنة المشركين بكفرهم أشد من القتل، فلا يكون قتلهم ظلماً واعتداءً لأن الشرك ظلم عظيم، كما أشارت إليه موعظة لقمان لولده ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (١٩٦).

س ٨٨ - لماذا قال ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ مع أن ذلك واضح، وذكره لا فائدة فيه؟

ج - كان هذا التنصيص للإشارة إلى أن هذا التفصيل في الصيام -

(١) المصدر السابق: ٣٤ / ١٥.

ثلاثة في السفر وسبعة بعد الحج - هو الفرض الواجب والكامل، لا أن صيام ثلاثة أيام في السفر مختص بحالة الاضطرار أو أن الإنسان مخير في ذلك وبإمكانه صيام عشرة أيام بكيفية أخرى.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (٢٠٠)

س ٨٩ - لماذا هذا التأكيد على ذكر الله بعد المناسك في مقابل ذكر الآباء؟

ج - روى منصور بن حازم عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كانوا إذا أقاموا بمنى بعد النحر تفاخروا، فقال الرجل منكم، كان أبي يفعل كذا وكذا، فقال الله جل ثناؤه ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، قال: والتكبير «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام»^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢٠٨).

س ٩٠ - كيف يتوجه هذا الأمر مع أنه لم يعهد من المسلمين مخالفة الرسول صلوات الله عليه وآله وإصرارهم على الحرب، وإذا كان السلم بمعنى الإسلام - كما جاء في بعض التفاسير - فكيف يتوجه أمر المؤمنين بالدخول في الإسلام؟

(١) الكافي: ٥١٧/٤. باب التكبير أمام التشريق.

ج - ذكرت عدة معانٍ للسلم:

(منها) أنه بمعنى الاستسلام والانتقاد، وذكروا أن سبب نزول الآية أن قوماً من اليهود أسلموا وأقاموا على تعظيم شرائع موسى عليه السلام فعظّموا السبت وكرهوا لحم الإبل وألبانها، وكانوا يقولون: ترك هذه الأشياء مباح في الإسلام، وواجب في التوراة، فنحن نتركها احتياطاً، فكره الله تعالى ذلك منهم وأمرهم أن يدخلوا في السلم كافة أي في شرائع الإسلام كافة.

(ومنها): أنه بمعنى الإسلام بتعاليمه ورحابه، والمقصود في الآية الأمر بالتزام تعاليم الإسلام وأحكامه، فهو نظير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١). ويؤيده قوله فيما بعد: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢١٣).

س ٩١ - ما فائدة قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ مع أن هذا واضح، إذ من الطبيعي وقوع الاختلاف بين أبناء المجتمع الذي يخاطب بالإيمان؟

(١) سورة النساء: ١٣٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٩.

ج - ليس هدف الآية تحديد من اختلف فيه - كما جاء في السؤال - بل الآية تتضمن ذم أحد الفريقين، وهو الفريق الذي خالف الحق بسبب البغي والحسد ونحو ذلك رغم قيام الحجة ومجيء البيئات لهم.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ
اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢١٥).

س ٩٢ - كيف يكون الجواب بهذا مع أن سؤالهم كان عما ينفقونه؟

ج - بما أن السؤال عما يُنْفَقُ يكشف عن جهل السائل بتحديد مصرف الإنفاق بطريق أولى، لذلك جاء الجواب ببيان ما يُنْفَقُ - وهو الخير - بإيجاز ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ مع ذكر مصرف النفقة الذي هو أهم، وقد جاء في سبب نزول الآية أن عمرو بن الجموح كان شيخاً كبيراً إذا مال كثير فقال لرسول الله: يا رسول الله بماذا أتصدق؟ وعلى من أتصدق؟ فنزلت هذه الآية^(١)، فيكون إيجاز الجواب عن نفس سؤاله في الآية والتعرض للمصرف لأجل ما ذكرناه من أهمية بيان مصرف النفقة.

﴿...أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ
بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٢١).

س ٩٣ - ما دام الداعي إلى الجنة والمغفرة هو الله فما معنى قوله: ﴿بِإِذْنِهِ﴾؟

(١) مجمع البيان: ٥٤٧/٢.

ج - الدعوة هنا في الفعل لا في القول، بمعنى أنّ الارتباط بالمشركين يجتر الإنسان إلى النار نأثراً بهم بينما إطاعة الله والسير في صراطه يوجه الإنسان نحو الجنة والمغفرة، ولكي لا يتوهم أنه تعالى يجبر المؤمنين على الطاعة، قال (بإذنه) يعني أنّ دور الباري سبحانه هو الإذن واليسير من دون جبر رغم أن كل شيء خاضع لقضائه وتقديره، فيكون نظير قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ والله سبحانه يوفق السائرين في صراطه، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢)

س ٩٤ - بعد أن أمر باعتزال النساء ما فائدة قوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾؟

ج - لتوضيح أنّ المقصود من الاعتزال تجنّب الممارسة الجنسية، لا تجنّب مجالسة المرأة ومؤاكلتها، كما كان يصنعه الجاهليون وغيرهم.

س ٩٥ - لماذا علق الأمر باتيانهن على التطهير - بالماء أو غيره - بينما اكتفى قبل ذلك بالطهارة من الحيض - اعتماداً على القراءة المشهورة (يطهرن) -؟

ج - لعلّه باعتبار أن حرمة الجماع تنتهي بمجرد الطهارة من الحيض، ولكنه مكره قبل التطهر بالغسل، أو بغسل الموضع وتطهيره - كما ذهب إلى ذلك بعض الفقهاء - ولذلك لم يتوجه الأمر بالإتيان والندب إليه إلا بعد الطهارة. وهناك آراء فقهية متعددة في المسألة.

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ (٢٤٩)

س ٩٦- لماذا قال ﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ ﴾ مع أن الماء يُشرب ولا يُطعم؟

ج- الطعم هنا هو التذوق لا الأكل، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «الطعم، طعم كل شيء وهو ذوقه»^(١).

﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٥١)

س ٩٧- كيف يكون دفع الناس لبعضهم مانعاً من فساد الأرض؟

ج- لعله إشارة إلى طبيعة الإنسان الاجتماعية التي أودعها الله سبحانه فيه وما تستتبعه من اعتماد نظام اجتماعي يمنع الفوضى والانفلات المؤدي إلى الفساد. وقد روي عن الإمام علي عليه السلام قوله: «لابد للناس من أمير بر أو فاجر»، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾.

وقد يكون إشارة إلى أن الحياة الدنيا ابنت على عدم التدخل الإلهي المباشر لردع الظالمين والمفسدين، وإنما يحتمل المؤمنين مسؤولية ذلك، فمن خلال جهادهم تسلم الأرض من الفساد وعموم الطغيان فيها، فيكون هذا

(١) ترتيب كتاب العين: ٤٤٨.

المقطع من الآية الكريمة توجيهاً للأمر الإلهي بالجهاد رغم ما يستتبعه من عناء المجاهدين وتضحيتهم - مثل معاناة طالوت وصحبه التي أشارت إليها الآيات السابقة - فتكون الآية نظير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾^(١).

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (٢٥٣)

س ٩٨ - لماذا كرر قوله ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ ؟

ج - لعله للتأكيد والتشبيه إلى أن مشيئة الله تعالى لا تقتصر على مرحلة إنزال البيِّنات التي أدت إلى اختلافهم، وإنما بعد اختلافهم أيضاً لولا مشيئة الله لم يتفانلوا، فيكون في ذلك تأكيد على فاعلية المشيئة في كل مرحلة وكل فعل إنساني - من دون إجبار وقسر طبعاً، كما هو موضح في محله - .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (٢٥٥)

س ٩٩ - نفي السنَّة عنه تعالى يقتضي نفي النوم عنه بطريق أولى، لأن من ينزه عن السنَّة - النعاس - فهو منزَّه عن النوم بطريق أولى، فهلا قال (لا يأخذه نوم ولا سنَّة) ليصح الترفي؟

ج - الجواب عن ذلك بوجهين :

الأول : إن عطف الأعظم أو الأشد على الأخرى في النفي يقتضي النفي المطلق لكل ما هو من ذلك الجنس، بينما عطف الأخرى أو الأقل على الأشد والأكبر لا يدل إلا على نفي المذكور في الكلام فحسب. فإذا قلت : فلان بخيل لا يعطي ديناراً ولا درهماً فإنه يدل على عدم إعطاء أحدهما فحسب ولا ينفي إعطاء الفلوس، بينما إذا قلت : فلان بخيل لا يعطي درهماً ولا ديناراً فهو يدل على نفي الإعطاء مطلقاً حتى الفلوس، ففي الآية الكريمة بما أن الهدف بيان القيمة الدائمة لله ونفي كل ما ينافيها مثل النوم والسنة والغفلة وغيرها، فلو قال: (لا يأخذه نوم ولا سنة) فإنه لا يدل على ذلك بل يقتضي نفي السنة والنوم عنه فحسب، بينما قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ يقتضي النفي المطلق فيشمل نفي الذهول والغفلة أيضاً، ما أعطيت درهماً ولا ديناراً، كما ذكرناه آنفاً.

الثاني: أن الآية استخدمت لفظة (لا تأخذه) وهي تتضمن معنى نفي الاستيلاء والسيطرة، فكان مقتضى الترقى أن يكون نفي سيطرة الأشد - النوم - بعد نفي سيطرة الأخرى، كما تقول: لا يصرعني الذئب ولا الأسد، ولو قدم نفي سيطرة النوم على نفي السنة لم يصح الترقى. وهذا الوجه أرجح من الأول.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٥٦).

س ١٠٠ - كيف ينفي الإكراه في الدين مع أنه

تعالى قال : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ؟

ج - الآية الكريمة تشير إلى أن الدين إنما يكون بالاختيار لا بالإكراه، وأن من يروم إكراه الآخرين على الدخول في دين الإسلام - كما جاء في بعض روايات سبب نزول الآية - فإن جهده غير مشعر، لأن الله لم يشأ أن يجبر عباده على الدين وإنما مَنْ عَلَى عِبَادِهِ فَأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَبْقَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْصَاعُوا لِعُقُولِهِمْ وَيَتَّبِعُوا الْحُجَّةَ وَالْبُرْهَانَ، لِيَقْطِفَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْآخِرَةِ ثَمَرَةَ إِيمَانِهِمْ، بَيْنَمَا يُوَاجِهُ أَتْبَاعَ الطَّاغُوتِ مَصِيرَهُمُ الْقَاتِمَ ﴿ يُخْرِجُوهُمْ مِنْ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١).

وليست الآية بصدد تحديد الموقف الشرعي من الكافرين حتى تعارض الآيات التي أمرت بقتال المشركين.

س ١٠١ - كيف يكون الدين تابعاً لاختيار الشخص مع أن تدين كل إنسان تابع لتفاعله مع الحجة والدليل، فمتى وُجد البرهان والدليل الشافي على أصول العقيدة تترتب عليه قناعة الإنسان وإيمانه قهراً ولا يكون أمامه خيار آخر.

وبتعبير آخر: إن حصول العلم لدى الإنسان ليس باختياره، وإنما هو تابع لقيام الدليل الموجب للعلم؟

ج - كلاً، لأن التدين ليس هو مجرد العلم بأصول العقيدة، وإنما هو الازدعان والخضوع النفسي لما دلَّ عليه الدليل ويتقنه الإنسان، وهذا

الخضوع أمر اختياري، ولذلك نجد البعض يختار الجحود بالحق ويكابر، فلا يكون متديناً رغم توفر اليقين لديه، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...﴾ (٢١).

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٥٧).

س ١٠٢ - ما هي الظلمات التي كان فيها المؤمنون وما هو النور الذي كان فيه الكافرون حتى أخرجوا منها؟

ج - بما أن الآية بصدد المقارنة بين المؤمنين والكافرين فكأن من أوصل كل فريق إلى غاية معينة يكون قد أخرجهم من مصير الفريق الآخر، كما تقول: (أخرجت صديقي من الفتنة)، إذا منعه من الدخول فيها وليس بالضرورة أن يكون قد اقتتن من قبل وأخرجته من الفتنة. فيكون الإخراج هنا بمعنى المنع من الدخول. فالله سبحانه حيث يهدي المؤمنين إلى النور ويحببهم الظلمات فيكون قد أخرجهم منها. وبالعكس موقف الطواغيت من أوليائهم حيث منعوهم من نور الإيمان.

ولعل المقصود من الآية: أن الله يخرج المؤمنين من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان، وأن الطواغوت يحجب أوليائه ويبعدهم عن نور الهداية التي تتضمنها آيات الله ودلالاته ويجرهم إلى ظلمات الكفر والباطل.

س ١٠٣ - لماذا ذكر النور بصيغة المفرد والظلمات بصيغة الجمع؟

ج - لأن النور كناية عن الصراط المستقيم وهو واحد، بينما الظلمات كناية عن سبل الباطل وهي متعددة ومتنوعة.

س ١٠٤ - لماذا قال: ﴿أُولِيَائِهِمُ الطَّاغُوتُ﴾ ولم يقل (اولياؤهم الطواغيت)؟

ج - لأن الطاغوت مصدر - بصيغة المبالغة - يطلق على المفرد والجمع، فلا موجب لصيغة الجمع، ويجمع الجميع هذا العنوان الذي يعني طغيانهم على الحق.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥٨).

س ١٠٥ - لماذا بُهِتَ الذي كفر مع أنه كان يمكنه أن يعترض على إبراهيم ويطلبه أن يأتي الله بالشمس من المغرب؟

ج - كلاً، فإن عجزه عن إثبات الشمس من المغرب كافٍ في نفي ربوبيته، وأما دعوى إبراهيم عليه السلام فهي أن الله تعالى قدر ظهور الشمس من المشرق منذ خلق الأرض والشمس وقبل وجود نمرود، لمصالح معينة وضمن نظام كوني دقيق ومحكم، من دون أن يكون لعباده - بمن فيهم إبراهيم - تأثير في تغيير نظام التكوين، فهو لم يدع أن التقدير الإلهي خاضع لإرادته الشخصية حتى يطالبه نمرود بشروق الشمس من المغرب. بينما يدعي نمرود أن الكوت تابع لمشيئته، فيفترض أن يُثبت ذلك عندما تحداه إبراهيم عليه السلام.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُجِيبِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٥٩).

س ١٠٦ - كيف يسأل عذير أو أرميا - كما جاء في بعض النصوص - ذلك مع أنه يقتضي التشكيك بالمعاد؟

ج - كلاً، فانه للاستيضاح واطمئنان النفس برؤية الأمر العجيب، نظير سؤال إبراهيم عليه السلام في الآية اللاحقة. أو نقول: ان السؤال عن كيفية حدوث الأمر العجيب - خاصة مثل الإحياء بعد الموت الذي هو في غاية الغرابة - لا يعني التشكيك في أصل حدوثه، بل مجرد التحير والانبهار بكيفية تحققه، علماً ان لفظة (أنى) بمعنى كيف، فيكون سؤالاً عن كيفية الإحياء لا عن أصله. ولعل قوله - في الآية - ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ حيث لم يقل (علمت) يشهد لما ذكرناه من أنه كان - من أول الأمر - عالماً بقدرة الله تعالى قبل أن يشاهد آثارها، لا أن علمه حدث فيها بعد.

س ١٠٧ - لماذا لم يتم تذكيره عقيب سؤاله بمراحل خلق الإنسان والحيوان كما قال تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿١﴾، بدلاً من تأخر ذلك إلى مائة عام من
سؤاله أي بعد إمامته وإحيائه؟

ج- أشرنا قبل قليل أن سؤال عزيز لم ينبع من تشكيكه بقدرة الله تعالى
وبالمعاد حتى يقدم له الدليل على ذلك، وإنما كان تعجبه وعدم استيضاحه
لكيفية المعاد، لذلك كان المناسب أن يتلمس الإحياء بعد الموت بنفسه، ثم
تذكره بعموم قدرة الله تعالى من خلال دعوته لملاحظة مراحل خلق الحيوان.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ
سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦١)

س ١٠٨- ما وجه هذا التحديد بالسبعمائة؟

ج- باعتبار أن المتوجع الجيد للحبة يكون بهذا المقدار. وقد أكد أحد
المهندسين الزراعيين أن هذا المقدار من المتوجع مألوف في الحنطة والشعير
والرز، خاصة الحنطة - كما قال -.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا
أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٦٢).

س ١٠٩- إذا كان المن خصلة غير حميدة فكيف

يثبتها الله لنفسه في عدة آيات مثل قوله تعالى :
﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا

مِنَ أَنْفُسِهِمْ ﴿١١٠﴾، وقوله تعالى ﴿بَلِ اللَّهُ يُعْتَنُ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١١)؟

ج - يستعمل المَنَ بمعنيين: أحدهما نفس الإنعام، والثاني أن تكبر
النعمة في نفس المنعم فيصاحب ذلك الفخر وتقرّيع من يُنعم عليه، فالأول
محمود وليس مذموماً، بينما الثاني مذموم يُنرّه عنه الباري، فانه تعالى لا
يقرّع عباده بنعمه عليهم، ولا تكبر هي في نفسه، نعم قد يطلق المَنَ على
تذكير العباد بالنعم الوفيرة عليهم ليحفّزهم ذلك على استقامتهم وتحمّل
مسؤولياتهم في طاعته بما يعود عليهم بالخير في الدنيا والآخرة من دون أن
يطلبهم بما يقابله لنفسه، وهذا ليس أمراً مذموماً حتى يمتنع في حقه تعالى.

﴿أَبْوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ
ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٦٦).

س ١١٠ - لماذا خص النخيل والأعناب بالذكر
مع كون الجنة المفروضة حاوية لكل الثمار؟

ج - لعله باعتبار اشتغال هذين على النور والظلال، فيضيفان -
خاصة في نفوس المخاطبين - على الجنة سحراً وروعة، من بين أشجار الثمار
المتشرة عندهم.

(١) سورة آل عمران : ١٦٤ .

(٢) سورة الحجرات : ١٧ .

س ١١١ - ما هو الهدف من هذا المثل الذي تضمنته الآية الكريمة؟

ج - بعد أن تعرضت الآيات السابقة إلى أنحاء الإنفاق وأن منه الإنفاق رياءً ومنه الإنفاق في سبيل الله، تضمن هذا المثل أهمية الإنفاق في سبيل الله الذي يكون ذخراً للإنسان في آخرته حيث تشتد حاجته هناك لثمار أعماله في الحياة الدنيا، بينما من لا ينفق في سبيل الله لا يدخر ليوم فاقته ما ينفعه آنذاك، فيكون نصيبه الندم والحسرة مثل الذي يخسر كل أمواله الطائلة في حال كبره واشتداد حاجته إليها للإنفاق منها على نفسه وعائلته.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَقَضَاءً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦٨).

س ١١٢ - أليس المقابل للفقير هو الغنى، والمغفرة أجنية عنه فلماذا ذكر الوعد الإلهي بالمغفرة في مقابل وعد الشيطان بالفقر؟

ج - كلاً، لأن الآية ترتبط بإنفاق الكسب الطيب في سبيل الله، فالشيطان يصد عنه من خلال دعوته الإنسان لعصيان الأمر الإلهي، ووعدته إتياء بالفقر والفاقة إن أنفق في سبيل الله، بينما الله تعالى يحث الإنسان على الإنفاق من خلال وعده بالمغفرة له في الآخرة والإفضال عليه في الدنيا.

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢٧٣)

س ١١٣ - عدم إلحاحهم بالسؤال يوحي بأنهم

يسألون الناس من دون إلحاح، فكيف ينطبق
عليهم قوله ﴿يَحْتَسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْنِيَاءَ مِنْ
التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهِهِمْ﴾ الذي يقتضي أنهم لا
يسألون الناس أصلاً؟

ج - قوله ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا﴾ بصدده نفي الحالة الشائعة بين
كثير من الفقراء من الإلحاح بالسؤال لرفع الفاقة المادية التي يواجهونها،
وجاءت هذه الفقرة ﴿يَحْتَسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْنِيَاءَ مِنْ التَّعَفُّفِ...﴾ لتأكيد
تعففهم الذي وصفهم به من قبل، ويدل على عدم سؤلهم الناس وعدم
إظهار فقرهم. فهو نظير أن تقول: فلان مهذب وليس فتاحشاً - إذا كان في
مجتمع اعتادوا على الفحش - فانه لا يدل على صدور الفحش القليل منه،
بل على مجرد استثنائه منهم تأكيداً لتهديبه.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٤)

س ١١٤ - لماذا ذكر الإنفاق علانية مع أن الإنفاق
سراً أفضل؟

ج - الآية بصدده مدح الذين يداومون على الإنفاق، فينفقون كلما
تحقق موجهه، ليلاً ونهاراً سراً وعلانية، طاعة للإمر الإلهي فحسب من
دون ضميمة أخرى. وعن أبي إسحاق أن الآية نزلت في علي عليه السلام حيث
أنفق في الليل والنهار سراً وعلانية^(١).

(١) تفسير العياشي: ١ / ١٧١.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧٥).

س ١١٥ - ما هو وجه الشبه بين المرابي وبين المصروع أو المجنون ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾؟

ج - إن تراكم أموال المرابي بسبب الربا ينمي في نفسه حب المال حتى يتهالك على جمعه ويصبح ذلك همه ومحور تفكيره وسعيه إلى أن تعمي بصيرته وينعدم شعوره الإنساني، ولذلك نجد المرابي لا يتورع عن مراعاة من يضطر إلى اقتراض قليل من المال لعلاج أو سد رمق أو غير ذلك، ولتوجيه مشروعية الربا يقول هؤلاء المرابون: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (٢٨٢).

س ١١٦ - ما فائدة قوله ﴿بِدَيْنٍ﴾ مع أنه معلوم من قوله ﴿إِذَا تَدَايَيْتُمْ﴾؟

ج - قيل: لأن التداين يأتي بمعنى التعامل، فذكر الدين لتوضيح المقصود وهو القرض دون التعامل التجاري. ولعل فائدته أن يرجع ضمير ﴿فاكتبوه﴾ إليه، إذ لو لم يذكره لقال: فاكتبوا الدين، والأول أحسن نظماً^(١).

(١) مراجع تفسير اسئلة القرآن الكريم وأجوبتها : ٢٣ -

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٨٤).

س ١١٧ - كيف ينسجم ذلك مع ما دلّ من أنّ

الله لا يحاسب الإنسان على نية المعصية؟

ج - ليس كل ما في النفس لا يحاسب عليه الإنسان، إذ هناك كثير من
المحرّمات من أفعال الجوانح مثل سوء الظن بالله والانحراف العقائدي،
كما أنّ اختلاف النوايا قد يوجب اختلاف حكم الفعل الواحد مثل التقرب
لله بالعبادة والرياء بها، ففي الحالة الأولى تكون مطلوبة وفي الحالة الثانية
تكون محرّمة، فالآية بصدد بيان عموم قدرة الله تعالى وأنّه عالم بخفايا
النفوس كما يعلم بالأمر الظاهرة.

ولعلّ في هذه الآية - إضافة لذلك - إشارة إلى أنّ مخالفة التكليف الإلهية
التي أشارت إليها الآيات السابقة لا تخفى على الله سبحانه سواء منها المعاصي
الظاهرة أم غيرها، مثل كتمان الشهادة، حيث يخفي الشاهد شهادته أمام
الناس والقضاء، لكنّها لا تخفى على الله تعالى، فيحاسبه على ذلك يوم القيامة.

﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨٥).

س ١١٨ - كيف يقول ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾ مع

أن لفظة (بين) لا تضاف إلا إلى الاثنين أو أكثر؟

ج - قال الزمخشري: (أحد) في معنى الجمع، كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ولذلك دخل عليه «بين»^(١).

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِضْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٨٦).

س ١١٩ - بما أن الناسي معذور في مخالفة التكليف

فما معنى قوله ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾؟

ج - باعتبار أن سبب النسيان قد يكون هو الإهمال وعدم الشعور الكافي بمسؤولية التكليف الإلهي، فيستحق بذلك العقاب أو العتاب فيصح الدعاء بعدم المؤاخذة، ومن دلائل الإهمال المذكورة كثرة النسيان والغفلة، بعكس من كان عل درجة عالية من الاهتمام والشعور بالمسؤولية، إذ قلما ينسى الإنسان ما يحرص عليه ويشعر بأهميته.

س ١٢٠ - كيف ينسجم قوله ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا

طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ مع حكم العقل باستحالة التكليف

بها لا يطاق؟

ج - ليس المقصود ما يستحيل تحمله لأن صدر الآية شاهد على

عدم التكليف به، بل المقصود ما فيه مشقة كبيرة حيث قد يضعف أمامها الإنسان، واستعمال هذا اللفظ بهذا المعنى شائع في النصوص وفي الاستعمالات العرفية المتداولة، كما تقول لا أطيق تحمّل الألم، ولا أطيق الحرّ أو البرد بمعنى الضعف وعدم الصمود.

وكان الآية تشير إلى طلبهم من الله سبحانه أن لا يكلفهم بما لا ينسجم مع ظروفهم ووضعهم كي لا ينهاروا أمام مشقته فيرتكبوا المعصية لضعفهم، وكم شاهدنا أناساً مؤمنين قضوا فترةً طويلة من حياتهم في طاعة الله، لكنهم انهاروا في مواجهة ظروف معينة لم يحصّنوا أنفسهم ولم يتهيأوا لمواجهة من قبل، ولذلك ينبغي للمؤمن أن يتهيأ لمواجهة الفتن المتنوعة، لأنه لا يعرف نصيبه منها، ولا يفتّر بصموده ونجاحه في تحمّل محنة معينة، ويسأل الله - بدلاً عن ذلك - أن لا يُحمّله ما يضعف عن حمله، وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين أبداً، مع خلوص النية وصدق التوكل.

ربنا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

سورة آل عمران

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (٣ - ٤).

س ١٢١- ما هو الفرقان ؟ وإذا كان المقصود منه
القرآن فلماذا ذكره مرتين؟

ج- قد يكون المقصود منه كل ما يفرق بين الحق والباطل، فينطبق
على غير القرآن أيضاً، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١).

ويمكن أن يكون إشارة إلى القرآن أو إلى الآيات المحكمة منه، وإنما
ذكره لكي لا يتوهم أن دور القرآن مجرد تصديق ما قبله من الكتب، فيكون
ذلك ذريعة لأهل الكتاب لعدم الإيمان به والاكتفاء بما عندهم، فأكد هنا أنه -
بالإضافة إلى ما فيه من تصديق ما قبله - فرقان بين الحق والباطل. وفي الحديث
عن عبد الله بن سنان عن أبي عبيد الله عليه السلام قال: «هو - الفرقان - كل أمر محكم،
والكتاب هو جملة القرآن الذي يصدق فيه من كتاب قبله من الأنبياء»^(٢).

(١) سورة البقرة : ٥٣ .

(٢) تفسير العياشي : ١٨٥ .

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٧).

س ١٢٢ - ما معنى المحكم والمتشابه من الآيات؟

ج - الآيات المتشابهة هي الآيات المجملة أو التي تنافي بظاها بعض المفاهيم أو الأحكام الإسلامية التي دلت عليها الأدلة المعتبرة - سواء كان القرآن الكريم نفسه أم السنة أم حكم العقل اليقيني - فتوجب وقوع الإنسان في الالتباس وسوء الفهم مما يفتح المجال للمنحرفين كي يبتوا سمومهم ويشيروا الشبهات حول القرآن الكريم أو الإسلام وبعض تعاليمه، وفي مقابلها الآيات المحكمة التي لا توجب الالتباس المذكور.

وقد أمر الله تعالى المسلمين أن يتعاملوا مع الآيات المتشابهة بالوعي والمسؤولية، فيجتنبوا تأويلات المنحرفين، ويؤمنوا بها إجمالاً موكلين بتحديد معانيها التفصيلية لله سبحانه، ولو من خلال من خصهم بتعليمها. ورغم وجود الآيات المتشابهة فإن القرآن يبقى كتاب هداية للبشر، لأن الآيات المحكمة والنصوص التفسيرية المعتبرة وافية بذلك، ولذلك وصفت المحكمات بأنها أم الكتاب، فإن الأم هو الأصل الذي يكون منه الشيء^(١).

(١) لمعرفة المزيد حول المحكم والمتشابه يراجع كتاب (علوم القرآن دروس منهجية) للمؤلف: ٥٢.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ (٩).

س ١٢٣ - كيف ينفي الريب عن يوم القيامة وقد ارتاب فيه بل أنكره كثير من البشر؟

ج - لعله باعتبار أنه ليس محلاً للريب، فلا ينبغي الريب فيه بعد أن قامت الحجج على أنه ميعاد الله. أو باعتبار أن هذه الآية حيث كانت حكاية عن قول المؤمنين فالمقصود من عدم الريب عدم الريب عندهم في يوم القيامة.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنِ الثَّقَاتِ فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١٣)

س ١٢٤ - ما هي الآية في ذلك؟ ومن هو المقصود في هذا الخطاب؟

ج - ذكر بعض المفسرين أن المخاطبين هم اليهود الذين نقضوا العهد مع النبي ﷺ استهواناً منهم بالمسلمين وبقوتهم، فذكرهم الله تعالى بانتصار المسلمين - رغم قلتهم - على المشركين في بدر رغم أن هؤلاء كانوا أكثر منهم عدداً. وفي ذلك تحذير لهؤلاء اليهود ناقضي العهد وآية لهم.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِئاً بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨).

س ١٢٥ - لماذا كرر ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ في الآية؟

ج - الثانية تأكيد للحقيقة وتصديق شهادة الله تعالى المتقدمة، مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ * لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١)، فإن قوله ﴿وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ يؤكد التزامه بقول الحق تأكيداً للقول المتقدم.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ...﴾ (٣٦).

س ١٢٦ - ما الفائدة من ذكر ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ مع وضوح ذلك؟

ج - ليس الغرض بيان الاختلاف بين الذكر والأنثى، وإنما الإشارة إلى أن نذر أم مريم بجعل جنينها خادماً للمسجد كان اعتماداً على توقعها أن يكون ذكراً، فلما تبين أنه أنثى لم يمكنها تطبيق النذر - بناءً على ما روي من اختصاص مثل هذا النذر بالذكور في شريعتهم -.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣٨).

س ١٢٧ - ما هو وجه الارتباط بين ما شاهده زكريا من فضل الله على مريم وبين رغبته بالذرية؟

ج - إما لكون الرعاية الإلهية المتميزة لمريم قد أكدت رغبته في الذرية الطيبة، أو أن ما شاهده من النعمة الإعجازية بانزال المائدة على مريم، قد حفزه على الدعاء بالولد الصالح - رغم يأسه من قبل، بسبب شيخوخته

(١) سورة ص: ٨٤ - ٨٥.

هو وزوجته - عسى أن يستجيب الله دعاءه كما أنزل المائدة على مريم.

﴿ قَالَ رَبِّ أَنْتَى يَكُونُ لِي غُلَامًا وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ
قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٤٠).

س ١٢٨ - بعد أن دعا الله بالولد وجاءته البشارة

كيف يستبعد ذلك؟

ج - ليس هناك استبعاد بل قد يكون ذلك من باب مجرد التعجب عندما فوجئ بالبشارة، وقد يكون استفساراً عن كيفية ذلك، وأنه هل يكون من زوجته العاقرة أو غيرها، أو هل يكون ذلك في حالة الشيخوخة أو يرجعها الله شاين. علماً أنّ لفظة «أنى» بمعنى «كيف» وذلك ينسجم مع السؤال عن الكيفية، كما ينسجم مع التعجب.

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ (٤١).

س ١٢٩ - كيف يكون الصوم بترك الكلام آية

وعلامة؟

ج - لم يكن ذلك صوماً من زكريا، إذ ليس المقصود أنه كان منهيّاً عن الكلام وأنه ترك الكلام باختياره، وإلا لكان المناسب أن تكون (لا) ناهية، والفعل بعدها مجزوماً لا منصوباً، بل المقصود أنه عاجز تكويناً عن الكلام المرتبط بالشؤون الدنيوية خلال هذه الأيام، فكان عجزه عن الكلام خلال هذه الفترة علامة وآية على تحقق الوعد الإلهي له بالذرية.

س ١٣٠ - إذا كان عاجزاً عن الكلام فكيف يؤمر بالذكر والتسبيح؟

ج - يمكن أن يكون الأمر بالذكر والتسبيح في غير هذه الأيام الثلاثة، أو أنه كان عاجزاً عن الكلام في شؤونه الدنيوية وقادراً على الذكر والتسبيح. ففي الحديث عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن زكريا لما دعاه ربه أن يهب له ذكراً فنادته الملائكة بما نادته به أحب أن يعلم أن ذلك الصوت من الله، أوحى إليه أن آية ذلك أن يُمسك لسانه عن الكلام ثلاثة أيام، قال: فلما أمسك لسانه ولم يتكلم علم أنه لا يقدر على ذلك إلا الله. وذلك قول الله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ (١).

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٢).

س ١٣١ - لماذا تكرر ذكر الاصطفاء في الآية؟

ج - حيث ان الأول غير متعدي والثاني متعدي بحرف الجر فلعل الاصطفاء الأول إشارة إلى قبولها لخدمة بيت الله رغم كونها أنثى، كما قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسِينٍ﴾ بينا الاصطفاء الثاني تمييزها على النساء بولادة عيسى عليه السلام من دون بعل.

س ١٣٢ - ألا يدل اصطفاء مريم على نساء العالمين على تفضيلها على فاطمة الزهراء عليها السلام مع أنها وردت في حقها أنها سيدة نساء العالمين أيضاً؟

ج- الاصطفاء لا يدل على التفضيل من جميع الجهات، لأن الاصطفاء هو الاختيار^(١) والتمييز، فاختيارها وتمييزها بولادة عيسى عليه السلام من دون بعل لا يدل على أنها أفضل مقاماً من نساء العالمين جميعاً، وقد استعمل الاصطفاء في القرآن بمعنى الاختيار لا التفضيل كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي﴾ فالمتطور فيه تمييزه على الناس واختياره من بينهم بالرسالة والكلام من دون نظر إلى بيان فضله عليهم. ولو فرض أن المقصود من اصطفاء مريم تفضيلها، فيراد منه تفضيلها على نساء عالمها، فهو نظير ما جاء في سورة الأنعام - بعد ذكر إبراهيم عليه السلام وذريته -: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣) فانه ليس المقصود تفضيل كل واحد من هؤلاء على كل فرد من العالمين من أول الخلق إلى نهايته بمن فيهم غيرهم من الأنبياء كالنبي محمد ﷺ بل مجرد تفضيل كل نبي منهم على العالمين في زمانه، فاختره الله للنبوّة من بينهم. والله العالم. فكذلك مريم إنما فضّلت على نساء عالمها. هذا، وقد أشارت العديد من النصوص إلى تفضيل الزهراء عليها السلام على مريم^(٤). ومما يدل على تفضيل الزهراء عليها السلام على مريم وغيرها من النساء، ما ورد عن النبي ﷺ «فاطمة سيدة نساء العالمين وأهل الجنة»^(٥) حيث تجتمع كل النساء الصالحات في الجنة وسيّدتهن فاطمة عليها السلام.

(١) لسان العرب: ٤٦٣ / ١٤.

(٢) سورة البقرة: ١٣٢.

(٣) يراجع الآيات (٨٣ - ٨٦) سورة الأنعام.

(٤) يراجع كتاب مأساة الزهراء: ٤٦ / ١.

(٥) يراجع الجامع الصحيح: ٣ / ٣٥. وغيره.

ومن خلال ما ذكرنا يتضح الموقف من الآيات التي نتحدث عن تفضيل بني إسرائيل على العالمين، بأن المقصود تمييزهم ببعض الميزات مثل وفرة الأنبياء بينهم، وإن أُحْمِلَ على التفضيل على رفعة مقامهم فيكون المقصود تفضيلهم على الأمم في زمانهم، لا على كل البشرية والملائكة. والله العالم.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصُّلْبَ مِنْهُ وَإِنَّكَ مُرْسَلٌ فِيهَا وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾ (٥٥).

س ١٣٣ - كيف ينسجم قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ مع ما هو معروف بين المسلمين من أن عيسى عليه السلام حي ولم يموت بعد؟

ج - أشار القرآن الكريم وأكدت النصوص الكثيرة الواردة عن الرسول ﷺ أن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء ولم يموت، مما يشهد أن الوفاة هنا ليست بمعنى الموت، بل قد تكون بمعنى الاستيفاء ويكون قوله: ﴿رَافِعُكَ﴾ بياناً لكيفية الاستيفاء، أو تكون هذه الوفاة نظير وفاة النائم كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾^(١) وإلا فلو كان المسلمون قد فهموا من الآية الموت لاستفسروا من الرسول ﷺ عن التوفيق بين الأمرين، وتناقله الرواة، لأهميته ومعايشة المسلمين للنصارى.

ومما يشهد بأن الوفاة هنا ليست بمعنى الموت ما أكدته الآية الكريمة

(١) سورة الأنعام: ٦٠.

من رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ﴿وَرَأَيْتُكَ إِلِيَّ﴾ مما يؤكد أن المرفوع ليس جسده فحسب لأن رفع جسد الميت ليس رفعا لشخصه، فلا بد أن يكون المرفوعه هو عيسى عليه السلام حيا لا جسده بعد موته.

وأجاب البعض أن الوفاة في الآية يراد منها الموت الذي سوف يصيب عيسى عليه السلام بعد نزوله إلى الأرض مع الإمام المهدي عليه السلام، ولا يضر تقديمه على الرفع في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَأَيْتُكَ إِلِيَّ﴾ لأن الواو لا تدل على الترتيب كما نص عليه علماء العربية.

لكن هذا الجواب لا ينسجم مع قوله تعالى - حكاية عن الحوار بين الله تعالى وعيسى يوم القيامة -: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ حيث يبدو أن الوفاة المذكورة مقترنة برفعه إلى السماء لا موته بعد ذلك بقرون مديدة.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩).

س ١٣٤ - كيف شبه عيسى بآدم المخلوق من التراب مع أن عيسى لم يخلق كذلك؟

ج - وجه التشبيه في عدم الخلق العادي، وإن اختلف كل منهما عن الآخر في خصوصية معينة.

س ١٣٥ - لماذا قال: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ مع أن ذلك قد مضى فيفترض أن يقول: (كن فكان)؟

ج - إنه بلحاظ وقت خلقه فيكون الزمان حالاً لا ماضياً، أي عندما

قال له «كن» يكون في ذلك الحال.

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيهَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

س ١٣٦- ما الذي حاجوا به وكان لهم به علم؟

ج- جاء في سبب النزول أن هناك محاججة جرت بين اليهود والنصارى في بعض مسائل العقيدة، ومنها دين إبراهيم عليه السلام وعندما أصر كل منهم على موقفه احتكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخصوص إبراهيم عليه السلام، فأشارت الآية الكريمة إلى أنه يفترض أن يقتصر احتجاجكم على ما تعرفونه ولا يتعداه إلى الرجم بالغيب فيما لا تعرفون مثل طبيعة دين إبراهيم عليه السلام. فهو لم يكن يهودياً ولا نصرانياً بما يتبناه اليهود والنصارى.

س ١٣٧- كيف يكون إبراهيم مسلماً مع أنه عاش

قبل رسالة الإسلام؟

ج- الإسلام يراد منه التسليم لله سبحانه، لأن إبراهيم كان مستقيماً ومسلماً لله سبحانه، وجاءت تسمية الدين الإسلامي بذلك على هذا الأساس، باعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين مستسلمون لله تعالى ولشريعته وتعاليمها، في مقابل المشركين وغيرهم من الكافرين المخالفين للنهج الإلهي ولذلك قال سبحانه - بعد هذه الآية - ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧٢).

س ١٣٨ - كيف يؤثر تلون هؤلاء وتقلبهم على موقف المسلمين وإيمانهم بحيث طمع أهل الكتاب - من خلال هذه الخطة - في رجوعهم عن الإسلام؟

ج - لأنهم بإيمانهم أول النهار يوهمون المسلمين بأنهم جادون في البحث عن الحقيقة ومستعدون للخضوع والإيمان بدين الحق، فلما يكفرون فيما بعد - بحجة انكشاف خطئهم في ذلك - يوجب ذلك تشكيك المسلمين بعقيدتهم ومراجعتهم لها، خصوصاً أن هناك قناعة عامة بأن أهل الكتاب يعرفون أوصاف خاتم الأنبياء.

﴿... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥).

س ١٣٩ - ما هو الكذب الذي كذبوا به على الله؟

ج - نسبتهم لله تعالى أنه يجوز نقض العهد والخيانة مع غير المنتسبين لدينهم كذب على الله، لأن الله يأمر بالوفاء بالعهد وحفظ الأمانة مع كل شخص كما قال تعالى - رداً عليهم - ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

س ١٤٠ - ما معنى أن يؤخذ العهد من الأنبياء بالإيمان بمن بعدهم والتصديق به ونصرته خصوصاً أنه لم يعهد اجتماع الأنبياء في عصر واحد ومكان واحد؟

ج - يبدو - عند التمعن في الآية - أن الخطاب وأخذ الميثاق والعهد على الأمم، وإنما أضيف الميثاق إلى النبيين باعتبارهم هم الذين يباشرون أخذ الميثاق من أممهم ولذلك قال: ﴿... لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...﴾ حيث الحديث كله مع الأمم، والمعنى أن هناك ميثاقاً لله - بواسطة أنبيائه - على الأمم أن يصدقوا بالرسول الذي تنطبق دعوته مع تعاليم نبيهم - لأن الأنبياء كلهم في صراط واحد - وأن ينصروه وأن كل أمة قد أقرت بهذا الميثاق الذي أخذه عليهم نبيهم، فمن التزم به كان من المهتدين ومن تولى عنه فهو من الفاسقين.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٨٣)

س ١٤١ - كيف ينطبق ذلك مع ما هو معروف من أن أكثر الأنس والجن غير مؤمنين؟

ج - كأن المقصود من الإسلام ما يعتم التسليم والانقياد التكويني، فالؤمن منقاد لله تعالى وخاضع له طوعاً أيضاً، والكافر خاضع له تكوينا فقط.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥).

س ١٤٢ - كيف ينسجم ذلك مع قوله تعالى
- قبل ذلك -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ... وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١).

ج - نص الآية الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهي تشير إلى أن الأديان السابوية في صراط واحد، وأن المؤمنين بها في عصور شرعيتها قبل نسخها آمنون ومرضيون لدى الله سبحانه، ولا تشمل الآية المعاندين منهم المصرين على التزام الدين المنسوخ، ولذلك حفل القرآن الكريم بدم اليهود بسبب اصرارهم على دينهم وعدم ايمانهم برسالة الاسلام، مما أوجب حقد اليهود ومؤامراتهم المتتالية على النبي ﷺ والمسلمين، حتى بات ذلك من الحقائق التاريخية، ولو كانوا قد فهموا من الآية - المدنية - مدحهم وشرعية موقفهم لاحتجوا بها على النبي والمسلمين مع أن ذلك لم يحدث. ولذلك أيضاً آمن العديد من اليهود والنصارى بالإسلام، كما دعى الرسول ﷺ نصارى نجران للإسلام والمباهلة، لأن دعوة الإسلام تشملهم جميعاً، ولا يعذرون في تجاهلها ورفضها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ (٩٠).

س ١٤٣ - كيف ينسجم مدلول الآية مع ما ورد
من النصوص الكثيرة بقبول التوبة الصادقة من
كل تائب؟

ج - عدم قبول توبتهم إما باعتبار أن توبتهم صورية وليست حقيقية،
ولذلك وصفهم بالضالين، أو باعتبارها ناقصة، حيث لم يلتزموا بلوازمها
مثل إبراز توبتهم أمام من أغروهم ليكفوا عن متابعتهم في ضلالهم. فإن
بعض الناس يتظاهرون أمام اتباعهم بما لا يعتقدون به حفاظاً على مكانتهم
الاجتماعية أو عناداً وتكبراً عن الاعتراف بالخطأ. نعوذ بالله تعالى من ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ
مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ
نَاصِرِينَ﴾ (٩١).

س ١٤٤ - ما هي فائدة الواو في قوله: ﴿وَلَوْ
افْتَدَى بِهِ﴾ مع أن الكلام يتم من دونها؟

ج - لعل ذلك باعتبار أن ما يقدمه الكافر لا ينحصر فرضه بالفداء، بل
قد يكون من الخيرات والصدقات التي يبذلها في الحياة الدنيا، فأشارت الآية
الكريمة إلى أن ما يبذله - بأي وجه كان - لا يقبل حتى إذا كان على سبيل الفداء.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٩٦).

س ١٤٥ - كيف وصف البيت الحرام بأنه أول بيت مع أن الذي بناه هو إبراهيم عليه السلام وقد سبقه كثير من الأنبياء؟

ج - أولاً: ليس هناك دليل على جعل أماكن خاصة للعبادة - بيوت الله - في الأديان السابقة.

ثانياً: تضمنت بعض النصوص الدالة على اقتراح وضع بيت الله الحرام في مكة للعبادة بدحو الأرض، فيكون هو أول بيت في الأرض وضع للعبادة^(١).

س ١٤٦ - لماذا قال بكّة، مع أن اسمها المعروف (مكة)؟

ج - لفظ "بكة" مأخوذ من البك وهو الزحام، وصار من أسماء (مكة) باعتبار أن الناس يزدحمون فيها.

ويبدو من بعض النصوص أن "بكة" في الأصل اسم لموضع البيت - حيث يشتد الزحام - ففي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إن بكّة موضع البيت، وإنّ مكة الحرم، وذلك قوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾»^(٢) وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «مكة جملة القرية، وبكّة موضع الحجر الذي تبك الناس بعضهم بعضاً»^(٣).

(١) يراجع مستدرك الوسائل: ٣/ ١٧٨.

(٢) تفسير العياشي: ١/ ٢١٠.

(٣) المصدر: ١/ ٢١٠.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (١٠٠).

س ١٤٧ - لماذا خص التحذير بإطاعة بعض أهل الكتاب، مع أنهم جميعاً يشتركون في أن إطاعتهم لهؤلاء توجب الارتداد عن الإسلام؟

ج - ليس المقصود إطاعتهم ومتابعتهم في عقيدتهم، لأن المسلم لا يتابع الكافر في عقيدته، وهذا واضح يعرفه كل مسلم، وإنما الآية تشير إلى الفتن والإثارات التي كان يثيرها بعض اليهود في أوساط المسلمين بهدف تمزيق الصف الإسلامي، حيث روي أن شاس بن قيس اليهودي لم يُرق له التألف بين الأوس والخزرج تحت راية الإسلام، فحاول تذكيرهم بخلافاتهم وحروبهم في الجاهلية وإثارة بعضهم على بعض، وقرأ لهم بعضاً مما قيل من الشعر في تلك الحروب، حتى تنازع الحاضرون في المجلس من الطرفين، وتداعوا للسلح وكادت تقع الفتنة فيما بينهم، فنزلت الآية لتحذيرهم من مثل هذا اليهودي، لأن اتباعهم يُعيدهم إلى عصبية الجاهلية وإلى الكفر.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (١٠٦).

س ١٤٨ - كيف يقول: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ مع أن أكثر الكافرين - المسودة وجوههم - لم يسبق إيمانهم؟

ج - صحيح أن سواد الوجه يعم كل الكافرين ولا يختص بالمرتدين،

لكن الآيات السابقة تتحدث عن مجتمع المسلمين وتحذّرهم من آفات الاختلاف والتفرق والارتداد، فمن الطبيعي - حين تحذّرهم من عاقبة الارتداد - أن تذكّرهم بالمشهد الذي يواجه المرتدّين الذين سبق انتسابهم للمجتمع الإيماني، أما طبيعة الحوار والمصير الذي يواجه باقي الكافرين فليست الآية بصدد الحديث عنه.

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴾ (١١٠).

س ١٤٩ - لماذا قال: ﴿ كُنْتُمْ ﴾ ولم يقل «انتم خير أمة...» مع أن الخطاب للصدر الأول من المسلمين؟

ج - باعتبار أن مواقف وسلوك بعضهم اختلفت من فترة لأخرى، فبعض من كان في مكة أو في بداية الهجرة معروفاً بصموده وإيمانه وجهاده تزلزل فيما بعد وتأثر بإغراءات الحياة الدنيا، ولذلك وردت آيات العتاب والتحذير، وكذلك النصوص الكثيرة من الرسول ﷺ في التعريض والطمع ببعضهم^(١).

﴿ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (١١١).

س ١٥٠ - ما معنى قوله: ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أذى ﴾ مع أن الأذى ضرر أيضاً فكيف يُستثنى من الضرر؟

(١) يراجع حول الموضوع كتاب «في رحاب العقيدة»: ٤٨/١ وما بعدها.

ج - كلاً، فإن الأذى قد لا يقترن بالضرر، والمقصود أن خطط هؤلاء ومكائدهم تفشل ولا تضركم، نعم توجب الغم والإيذاء النفسي لكم، والأذى يحصل من الكلام المؤذي من دون أن يترتب عليه ضرر، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾^(١) والآية تشير إلى اليهود وما كانوا يسيئون به من المتاعب والغم للمسلمين من دون أن ينجحوا في الإيقاع بهم.

س ١٥١ - كيف يخبر الله سبحانه عن هزيمة اليهود في الحرب مع المسلمين مع أنهم انتصروا عليهم واحتلوا فلسطين وغيرها من أراضيهم في هذا العصر؟

ج - الآية الكريمة تحدث عن المسلمين المؤمنين حقاً بربهم والملتزمين بتعاليم دينهم وقادتهم الشرعيين الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أما الذين تخلّوا عن مبادئهم وانهمزوا في داخلهم قبل أن يهزمهم عدوهم فهم بعيدون عن خطاب الآية.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ...﴾ (١١٢).

س ١٥٢ - كيف استثنى حالتهم في الإسلام من الذلة، مع أنهم أذلاء يعطون الجزية عن يديهم صاغرون؟

ج - الظاهر أن المقصود من حبل الله وحبل الناس هو العهد الذي جرى بين النبي ﷺ وطوائف اليهود عند هجرة الرسول والمهاجرين

(١) سورة آل عمران: ١٨٦.

إلى يشرب، حيث ابتنى على رعايتهم واحترامهم، إلا أنهم لم يحترموا ذلك العهد كما هو معروف.

ولو فرضنا الآية ناظرة إلى عقد الذمة لليهود في الإسلام فإن سلوك المسلمين معهم جرى على مداراتهم - على غرار باقي أهل الكتاب - بخلاف الأمم الأخرى التي بالغت في قتلهم وإذلالهم، فكان اليهود الذين عاشوا في كنف المسلمين أعزاء بالنسبة إلى حالة قومهم المتعاشين مع الأمم الأخرى.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتُلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (١١٣).

س ١٥٣ - أليست هذه الآية وما بعدها تدل

على مدح هذا الفريق من أهل الكتاب وأنهم من

الصالحين رغم عدم إيمانهم برسالة الإسلام؟

ج - كلاً، لأن هذه الأمة القائمة هي الأمة - من اليهود - التي

استمسكت بالحق على طول الخط وآمنت بالإسلام ولم يمنعها تغير

الدين الحق من المحافظة على الاستقامة والخضوع للدين الجديد، ولذلك

وصفهم بأنهم ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾، وهم المؤمنون الذين أشار إليهم - قبل هذه

الآية - قوله تعالى: ﴿مَنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

وكأن الهدف من مدح هذه الفئة المؤمنة من اليهود أن لا يُتوهم أن

الآيات السابقة التي ذمّت اليهود - وكذلك المصير القاتم الذي ينتظرهم

- تعنيهم كشعب لا ينفك عن تلك الممارسات والخصال الذميمة، بينما

المقصود منها ذمّ المعاندين منهم - وهم الأغلب - دون الثابتين على الحق،

وهم المؤمنون منهم بالرسول ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ هُمُ اجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ... ﴿١١٦﴾ وإنما سباهم أهل الكتاب بملاحظة حالتهم السابقة بالرغم من كونهم الآن مسلمين مؤمنين بما أنزل من الآيات إلى باقي إخوانهم المسلمين.

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٧).

س ١٥٤ - كيف شبه نفقة الكفار بالريح، مع أنها إنما تشبه الحرث الذي أهلكته الريح؟

ج - هذا من التشبيه المركب - كما يسميه علماء البلاغة - والمقصود منه تشبيه حالة بحالة لا مفردة بمفردة، حيث شبهت الآية الكريمة حالة نفقة الكافرين وتلفها وعدم جدواها بما يحدث حين تهب العواصف الباردة والثلجية من تلف حرث الظالمين وضياع جهدهم، وهو من التشبيه البليغ، وليس المقصود هنا تشبيه خصوص النفقة بالريح.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَاتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٤-١٢٥﴾.

س ١٥٥ - اختلفت أعداد الملائكة التي ذكرتها

الآيات الكريمة ففي سورة الأنفال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ وهنا ذكر ثلاثة آلاف، وخمسة آلاف، فكيف يرتفع التناقض؟

ج - الذي يبدو من خلال مراجعة الآيات الكريمة أن الله سبحانه أمدَّ المسلمين في بدر بألف من الملائكة - كما ورد في سورة الأنفال - بينما خطاب النبي ﷺ للمسلمين عن إمدادهم بثلاثة آلاف كان في غزوة أُحُد، وأما الوعد الإلهي بإمدادهم بخمسة آلاف فهو عقب غزوة أُحُد بعد انسحاب المشركين من المعركة - واحتمال معاودتهم القتال - حيث وعد الله المسلمين - إن صبروا واتقوا - أن يمدَّهم بخمسة آلاف من الملائكة، إن عاد المشركون للقتال من فورهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٠).

س ١٥٦ - لماذا خص النهي بالزيادة الربوية المضاعفة، بينما الحرمة تشمل الزيادة التي هي أقل من ذلك أيضاً؟

ج - ذلك إما من باب تأكيد النهي عن هذا النحو من الربا، أو للإشارة إلى الطبيعة التصاعدية الفاحشة للزيادة الربوية.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٣١).

س ١٥٧ - لماذا خص الكافرين بالذكر مع أن

غيرهم يدخل النار أيضاً؟

ج - لعل ذلك باعتبار أنهم الفئة الغالبة والبارزة من بين أهل النار، لتلبسهم بأفحش الذنوب وهو الكفر.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ...﴾ (١٣٥).

س ١٥٨ - ما الفائدة في قوله: ﴿فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ مع أنه داخل في ظلم النفس؟

ج - ذكر بعض المفسرين في سبب نزول الآية أن أحد الصحابة تعدى على حرمة إحدى المسلمات. فقالت له: اتق الله، فتركها وندم وأتى النبي ﷺ وذكر ذلك، وعلى هذا فيكون النص على الفاحشة للإشارة إلى الحادثة، ثم جاء التعميم لكل ذنب بقوله: ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤).

س ١٥٩ - هل انقلب المسلمون على أعقابهم حتى يستحقوا هذا التوبيخ؟

ج - لعله إشارة إلى الهزيمة العامة وانهار جل المسلمين بعد أن اشيع مقتل رسول الله ﷺ في واقعة أُحُد، أو إشارة إلى ما ذكره المؤرخون والمفسرون من أن بعض ضعاف العقيدة فكروا في طلب الأمان من أبي

سفيان وتزلزلت عقيدتهم بدينهم بعد انتشار الإشاعة بمقتل رسول الله ﷺ في تلك المعركة^(١).

س ١٦٠ - ما هو ارتباط قوله : ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ

الشَّاكِرِينَ﴾ بانقلاب بعض المسلمين على أعقابهم؟

ج - باعتبار أن ثبات من ثبت من المسلمين في معركة أُحُد ولم يتلوث بالفتنة التي أصابت الآخرين عقيب انتشار إشاعة مقتل الرسول ﷺ كان تعبيراً عن شكرهم وعرفانهم لنعمة الإيمان؛ لأن شكر النعمة بأداء حقها، فانطبق عليهم وصف الشاكرين.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ

وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا آرَأَكُمْ مَا تُحِبُّونَ...﴾ (١٥٢).

س ١٦١ - ما معنى : ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾؟

ج - الحسّ هو القتل على نحو الاستئصال والإفناء، وهو إشارة إلى النصر السريع الذي كان للمسلمين في بداية معركة أُحُد قبل أن يعصي الرماة أمر الرسول ﷺ ويتركوا مواضعهم في الجبل طلباً للغنيمة.

س ١٦٢ - لماذا خلت الآية من جواب الشرط مع

أن « إذا » شرطية تحتاج إلى ذلك؟

ج - يمكن أن يكون جواب الشرط محذوفاً، لكونه مفهوماً من سياق الآية، أي حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم أمر الرسول ابتلاكم الله.

(١) اراجع الكشاف: ١/ ٤٢٢ - ٤٢٣.

ويمكن أن تكون «إذا» ظرفية مجردة من معنى الشرط - كما ذكر ذلك النحويون - ويكون معنى الآية ولقد صدقكم الله وعده حيث تقتلونهم بإذنه إلى حين فثبلكم وعصيانكم... الخ.

﴿... وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٠).

س ١٦٣ - كيف قال: ﴿لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ

خَلْفِهِمْ﴾ مع أن من مات بعدهم لاحق بهم؟

ج - إما أن يكون ذلك باعتبار أنهم لم يستشهدوا في تلك المعركة - عقيب استشهاد أولئك - بل ماتوا فيما بعد، أو أن المقصود أنهم لم يلحقوا الشهداء في مقامهم الرفيع. وفي الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: يستبشرون والله في الجنة بمن لم يلحق بهم من خلفهم من المؤمنين في الجنة^(١).

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ

مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ

رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ

عَظِيمٌ﴾ (١٧٩).

س ١٦٤ - كيف خص ذلك ببعض الرسل مع أن

الكل يشتركون في تميزهم بالرسالة كما قال تعالى:

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾؟

(١) بحار الأنوار: ٢١٨/٦. نقلًا عن تفسير علي بن إبراهيم: ١٨.

ج- كأن الملحوظ في تلك الآية التمييز في علم الغيب، فإنه خاص ببعض الرسل الذين يحببهم الله لذلك ويميزهم عن غيرهم ببعض مراتب علم الغيب.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (١٨٢).

س ١٦٥ - «ظلام» بصيغة المبالغة بمعنى كثير الظلم أو عظيمه، ونفي ذلك عن الله لا يعني عدم صدور الظلم العادي منه أحياناً؟

ج - بما أن عذاب الله تعالى في غاية الشدة (شديد العقاب) ولا يقتصر على شخص أو عدد محدود من الناس، فهو يدور مدار الظلم الفاحش - إن لم يكن عن استحقاق - والعدل - إن كان عن استحقاق - ولا يتصور أن يكون ظلماً عادياً، فمع نفي الظلم الفاحش عنه تعالى ثبت كونه عادياً، وأن عقابه عن استحقاق من الناس.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (١٨٤).

س ١٦٦ - كيف جعل تكذيب الرسل جواباً للشرط مع كونه متقدماً على تكذيب الرسول ﷺ، وقد ذكر علماء العربية أن جواب الشرط يجب أن يتأخر عن فعل الشرط؟

ج - جواب الشرط هنا ليس نفس تكذيب الرسل، وإنما الإخبار القرآني بذلك - لأن «قد» للتحقيق والإثبات - وهو متأخر عن تكذيبهم للنبي ﷺ، كما تقول: إذا أضاء الجو فقد طلعت الشمس، فجواب

الشرط ثبوت طلوع الشمس لا نفس طلوعها، لأن طلوع الشمس متقدّم على الإضاءة وسبب لها فلا يكون جواباً للشرط، ولذلك لا يصح أن تقول: إذا أضاء الجوّ طلعت الشمس، من دون إضافة «قد» لجواب الشرط. وهذه التكلفة يغفل عنها كثيرون فيقعون في التباس في موارد كثيرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩٩).

س ١٦٧- كيف يكون الله ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ مع أنّ حسابه مؤجّل إلى يوم القيامة؟

ج- بما أنّ الله سبحانه سرمدى له الخلود المطلق فما هو مؤجّل ويعيد بالنسبة إلينا قريب وسريع بالنسبة إليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٠٠).

س ١٦٨- لماذا قال: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾؟

ج- وردت عدّة نصوص في توضيح ذلك، منها ما روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: معناه اصبروا على المصائب وصابروا على عدوّكم ورابطوا عدوّكم^(١).

(١) مجمع البيان: ٢/٩١٨.

سورة النساء

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (١).

س ١٦٩ - كيف ينسجم قوله ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ
نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ مع ما هو معلوم من أن البشر
مخلوقون من آدم وحواء كليهما، كما قال تعالى:
﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾؟

ج - بما أن حواء خلقت من آدم - كما أشارت إليه الآية - فصح أن
يكون آدم مبدأ خلق الناس جميعاً، بمن فيهم حواء، ومنها بث ذريتهما من
الذكور والإناث.

﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (٢).

س ١٧٠ - كيف ينسجم قوله: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ﴾
مع النصوص واتفاق الفقهاء على أن اليتيم لا
يُعطى أمواله وإنما تكون تحت سلطة وليه؟

ج - إما أن يكون ذلك كناية عن النفقة عليهم من أموالهم، أو أن

المقصود منه اليتيم العرفي الذي ينطبق عرفاً على البالغ الشرعي حين بلوغه، وهو مألوف في اللغة يلحظ حالة يتمه في صغره - خاصة مع قرب زمانها - ولذلك كانت قریش تسمى النبي ﷺ - بعد نبوته - يتيم أبي طالب، فيكون المعنى: أن اليتيم إذا بلغ يعطى أمواله، ولا يجوز استبدال الجيد منها بالرديء من أموالكم.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (٣).

س ١٧١ - ما هو الارتباط بين قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ...﴾ وقوله: ﴿فَانكِحُوا...﴾؟

ج- ذكر بعض المفسرين أنها نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها فيتقدم للزواج منها من دون أداء حقها مما يناسبها من المهر، فأمروا أن يتجنبوا ذلك - حيث لم يضمن القسط والإنصاف لها - ويتزوجوا غيرها من النساء ضمن العدد المسموح به شرعاً ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾^(١).

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٥).

س ١٧٢ - ما هو المعنى بقوله: ﴿أَمْوَالِكُمْ﴾؟

ج - هناك آيات للمفسرين:

الأول: أن الآية الكريمة ترشد الناس إلى تجنب تسليط السفهاء

(١) تراجع مجمع البيان: ٣/ ١٠.

على الأموال، لأنهم يتلفونها بسوء تصرفهم، وإذا شاؤوا الإنعام عليهم فليطعموهم ويكسوهم ويتعاملوا معهم بالمعروف بدلاً من إعطائهم المال.

الثاني: أنّ المقصود من المال أموال السفهاء أنفسهم، أي لا تسلطوهم على أموالهم التي جعل الله ولايتها لكم، لأنهم يتلفونها، بل يتولى وليهم الإنفاق عليهم وكسوتهم منها. وإنما أضيفت الأموال للمخاطبين باعتبارهم أولياء عليها، والإضافة تصح لأدنى علاقة بين المضاف والمضاف إليه.

﴿...وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ

بِالْمَعْرُوفِ...﴾ (٦).

س ١٧٣ - كيف يجوز للفقير الأكل من مال

اليتيم كما توحى به الآية؟

ج - المقصود من يتولى شؤون اليتيم ورعايته حيث يستحق شرعاً أجره على ذلك، كما يستحق قيمة ما يصرفه على اليتيم، فالآية الكريمة تجبذ للغني أن يستعفف من أخذ أجرته من مال اليتيم - رغم استحقاقه شرعاً - أما الفقير حيث يشقّ عليه تحمّل تكاليف رعاية اليتيم فمن حقه أن يأخذ من أموال اليتيم بمقدار استحقاقه فحسب ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وفي الحديث عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تولى مال اليتيم ما له أن يأكل منه؟ فقال: «ينظر إلى ما كان غيره يقوم به من الأجر لهم، فليأكل بقدر ذلك»^(١).

(١) وسائل الشريعة ١٤ / ١٨٦ الباب ٦٨ من أبواب ما يكتب به الحديث ٥.

﴿... مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ...﴾ (١٢).

س ١٧٤ - كيف يقول ﴿يُوصَىٰ بِهَا﴾ مع أن الميت يوصي ولا يوصى؟

ج - نائب الفاعل ليس ضميراً يعود إلى الميت - كما توهم في السؤال - بل هو نفس الجار والمجرور (بها) كما تقول: يرمى بالكرة، والمعنى: أن التقسيم على الورثة من بعد أن تُطبَّق الوصية - الموصى بها - بعد وفاء الدين، ولو بعزل ما يساويها من تركة الميت.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٤).

س ١٧٥ - كيف بُيِّنَت الخلود في النار للعاصي مع أن كثيراً من العاصين غير مخلصين؟

ج - يبدو أن المنظور في الآية الجاحدون الذين يواجهون أوامر الله ورسوله وتشريعه بالتحدي والاستخفاف، فإنهم يستحقون الخلود في النار.

﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (١٦).

س ١٧٦ - من هذان اللذان تتحدث عنها الآية؟

ج - كل زان وزانية يمارسان الفاحشة، أمر المسلمون بإيذائهما إلى أن يتوبا فيعرض أي يُتوقَّف عن إيذائهما. وقيل: وقد نسخت بتشريع حد الزنا.

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوَاءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ
مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ... ﴾ (١٧).

س ١٧٧ - كيف تكون التوبة على الله مع أنها من
فعل العبد؟

ج - التوبة بمعنى الرجوع، وكما تنسب للعبد تنسب لله تعالى، لأنه
إذا رجع العبد وأتاب إلى ربه يرجع الله إليه أي ينقطع إعراضه عنه، ولذلك
نسبت لله تعالى في كثير من الآيات حتى صار التواب من أسمائه الحسنی،
كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ومعنى الآية أن التوبة
التي التزمها الله سبحانه على نفسه إنما هي للذين يعملون الذنب بجهالة ثم
يتوبون من قريب. فهؤلاء هم الذين يستحقون رحمته التي كتبها على نفسه،
كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾.

س ١٧٨ - إذا كان ارتكابهم للسوء بجهالة لم
يكونوا عصاة فلم يستحقوا العقاب؟

ج - الظاهر أن الجهالة بمعنى السفاهة، لا الجهل المطلق المقابل
للعلم، فتطبق على ارتكاب المعصية لغلبة الهوى ونحو ذلك، ولعل إلى
هذا يشير الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية:
«يعني كل ذنب عمله العبد وإن كان به عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه
في معصية ربه، وقد قال في ذلك تبارك وتعالى يحكي قول يوسف لأخوته:
﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مِمَّا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ فَنَسِبَهُمْ إِلَى الْجَهْلِ
لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله»^(١). وربما يكون المقصود تنزيل علمهم

(١) تفسير العياشي: ١/ ٢٥٤.

منزلة الجهل، لأنهم لم يعملوا على طبقه.

س ١٧٩ - كيف يصح تخصيص التوبة بـ ﴿لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الشُّرَّاءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ مع
دلالة الآيات والنصوص الكثيرة على قبول التوبة
الصادقة من كل أحد وفي كل وقت؟

ج - يبدو من ملاحظة هذه الآية والآية التي بعدها أن هذا الحصر
نسبي أي في مقابل الفئتين اللتين أشارت إليهما الآية اللاحقة التي نفت
التوبة والرجوع من الله إليهما، وهما الذين يتوبون توبة صورية عندما
يشاهدون أمارات الموت، والكفار الذين لا يتوبون. فغير هؤلاء يمكن
قبول توبتهم. وإنما نصت الآية على خصوص الذين يعملون سوء بجهالة
ويتوبون من قريب لأنهم أقرب الناس استحقاقاً للتوبة والمغفرة. من دون
أن يعني ذلك حصر قبول التوبة بهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا
تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ
مُبِينَةٍ...﴾ (١٩).

س ١٨٠ - كيف تُفرض وراثه النساء كرهاً حتى
ينهى عنه؟

ج - يبدو أن الآية تشير إلى سُنَّة من سنن الجاهلية، فاتهم كانوا إذا
ماتت زوج المرأة جاء ابنه من غيرها أو وليه فيضع عليها ثوبه ويرث نكاحها
أي يجعل نفسه ولياً عليها، فأبطلت الآية هذه السُنَّة حيث أكد الإسلام أنها

هي تكون صاحبة الولاية على نفسها، كما نهت عن العضل أي التضييق على النساء من قبل أزواجهن، فلا هم يعاشروهن بالمعروف ولا هم يطلقوهن، لكي تضطر الزوجة إلى التنازل عن مهرها أو جزء منه في مقابل طلاقها.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ... وَرَبَائِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ...﴾ (٢٣).

س ١٨١ - لماذا خصّ التحريم بالربائب اللاتي في حجر زوج الأم مع أنّ زواج الربيبة التي ليست في حجر زوج الأم محرّم أيضاً؟

ج - نعم التحريم يشمل كل ربيبة، وقوله: ﴿فِي حُجُورِكُمْ﴾ باعتبار أن الغالب كون الربيبة في حجر زوج الأم وفي كنفه، كما أنّ بنت الزوجة إنما سميت ربيبة الزوج باعتبار الحالة الغالبة، وإن كانت في حالات نادرة لا تكون في كنف زوج أمها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ (٢٩).

س ١٨٢ - كيف استثنى التجارة عن تراض من حكم أكل المال بالباطل مع أنها ليست من أكل المال بالباطل؟

ج - هذا الاستثناء منقطع، لأنه قد يتوهم أن البيع والتجارة يتضمنان أكل المال بالباطل أحياناً، خاصة إذا كان الربح كبيراً، فجاء الاستثناء

لتحليل التجارة عن تراض ورفع ذلك التوهم.

س ١٨٣ - كيف خصّ التحليل بالتجارة مع أنّ
هناك أسباباً أخرى لتحليل الأموال مثل الهدية
والصدقة وغيرهما؟

ج - باعتبار أن التجارة هي السبب الشائع في تبادل الأموال والسلطنة
عليها، خصوصاً أن مثل الهدية والصدقة لا يتضمن معاوضة حتى يتوهم
كونها من الأكل بالباطل، فلم تكن هناك حاجة للنص عليها.

﴿إِنْ مَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٣١).

س ١٨٤ - إذا كان المقصود تكفير السيئة
وغفرانها مع التوبة منها فهو ينطبق على
الكبائر أيضاً، فيشمل ذلك من لا يجنب
الكبائر، وإذا كان من دون توبة فهو لا ينسجم
مع ما هو معروف من عدم غفران المعصية
الصغيرة مع الإصرار عليها وعدم التوبة منها؟

ج - الظاهر أن المقصود تكفير الذنوب الصغيرة التي لا يتوب منها
الإنسان تسامحاً أو يتأهل في التوبة الصادقة منها من دون أن يصرّ عليها،
لأنّ نفس الإصرار على الصغيرة من الكبائر - كما قال الفقهاء - فتشير الآية
الكريمة هنا إلى أن من يتجنب الكبائر يتأهل لرحمة الله يكون موعوداً بمغفرته.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٣٧).

س ١٨٥ - ما علاقة عذاب الكافرين بالذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل..؟

ج - هناك وجهان في تفسير الآية:

الأول: أنها نزلت في حق اليهود المعروفين بحب المال والشح والبخل، وكذلك كتمان العلامات والآيات التي تتحدث عن أوصاف النبي ﷺ ورسالة الإسلام.

الوجه الثاني: ان الآية تذم كل البخلاء الذين لا يؤدّون الفرائض المالية متظاهرين بالفقر نكراناً وجحوداً لفضل الله عليهم، فيكون المراد من الكافرين في الآية الجاحدين للفضل الإلهي بمواقفهم وسلوكهم حيث لا يؤدّون حق المال الذي أنعم به عليهم، وإن كانوا مسلمين. فيكون الكفر بمعنى كفر النعمة، لا الكفر في العقيدة في مقابل الإسلام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...﴾ (٤٣).

س ١٨٦ - ألا تقتضي هذه الآية جواز شرب الخمر لمن لا يؤثر فيه السكر ولا يفقد وعيه بذلك؟

ج - حرمة شرب الخمر بشكل مطلق دلّ عليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ

مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ وكذا النصوص المتواترة، وأما هذه الآية فكانت خطوة أولى باتجاه تحريم الخمر - كما قيل - حيث تضمنت النهي عن الصلاة في حالة السكر فقط، وقد أفتى الفقهاء بصحة صلاة من شرب الخمر ولم يسكر أو من صلى بعد أن أفاق من سكره، لعدم النهي عن صلاته رغم عصيانه بشرب الخمر. ولو فرضنا إن إحدى الآيتين تتضمن نهيًا مطلقاً عن شرب الخمر والأخرى تتضمن نهيًا مقيداً بحالة الصلاة فلا تنافي بينهما، لأن المطلق والمقيد إنما يتنافيان إذا كان أحدهما إيجابياً والآخر سلبياً، مثل قولنا: يجب الحج على المسلم، فانه ينافي ما دلّ على عدم وجوب الحج على المسلم غير المستطيع، فلا بد من التنازل عن ذلك الاطلاق وتقييد وجوب الحج بالمستطيع. أما إذا لم يختلفا في الإيجاب والسلب فلا منافاة بينهما، مثل قولنا تحرم إهانة الأب، فانه لا ينافي حرمة إهانة المسلم، ولا يستلزم تقييد من تحرم إهانتته بالأب. وكذلك بالنسبة للخمر فالآية الدالة على حرمة الخمر في حالة معينة لا تنافي الآية الدالة على حرمة مطلقاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاء...﴾ (٤٨).

س ١٨٧ - كيف لا يغفر الله الشرك مع أن جلّ

الصحابة كانوا مشركين قبل إسلامهم، كما إن

المسلمين قد أجمعوا على قبول توبة المرتد؟

ج - الآية تتحدث عمّن يموت مشركاً من دون توبة، فإنّ الله تعالى لا

يغفر له، بينما المسلم الذي يموت من دون توبة من معاصيه الأخرى فربما

يغفر الله له ذنوبه، رحمةً به أو لشفاعته مَنْ يُشْفَعُ فِيهِ. ولا ترتبط هذه الآية بمن كان مشركاً ثم يتوب من شركه، فإنها تُقبل إذا كانت صادقة، كما دلت عليه آيات أخرى وكذلك النصوص الدالة على قبول التوبة الصادقة مطلقاً حتى بالنسبة لمن كان مشركاً.

س ١٨٨ - ألا تدل الآية على إمكانية غفران الكفر برسالة الإسلام لمن لم يكن مشركاً، مثل بعض أهل الكتاب؟

ج - الآية الكريمة علقّت غفران المعاصي - سوى الشرك الذي كان هو المشكلة الكبرى التي تواجه الرسول آنذاك - على مشيئة الله ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، من دون تحديد المعاصي التي تتعلق المشيئة الإلهية بمغفرتها، ومن خلال الآيات والأدلة الأخرى علمنا أن الجاحد للإسلام لا تتعلق المشيئة الإلهية بمغفرة ذنبه هذا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩).

س ١٨٩ لماذا أمر بإطاعة أولي الأمر أولاً، ولم يأمر بالرد إليهم عند التنازع؟

ج - إن إطاعة الله اللازمة بتطبيق تشريعاته الإلزامية. وإطاعة الرسول تشمل ما يبلغه من تشريع إلزامي أو ما يصدره - بحكم ولايته على الأمة - من الأوامر والنواهي الإلزامية.

وأما أولو الأمر فمن كانت ولايتهم خاصة كقيادة السرايا الذين كان يرسلهم النبي ﷺ فتتخصر طاعتهم بحدود ولايتهم على قيادة السرية وإدارة المعركة ونحوها، ويتفق أن يختلف جنودهم معهم في الرأي حول ما يعتقدون عدم ولايتهم فيه، فيحصل النزاع بين القائد وبعض جنده فأمرت الآية الكريمة بالرجوع في ذلك إلى النبي ﷺ ليميز الصواب من الخطأ، ولا معنى لأن تكون المرجعية لقائد السرية الذي هو طرف في النزاع، ويُشكَّ في وجوب طاعته في ذلك. أما ولاية الأمر الذين ولايتهم عامة - وهم الأوصياء على الأمة بعد النبي ﷺ فإن ولايتهم هذه ووجوب طاعتهم امتداد لولاية النبي ﷺ ووجوب طاعته، فلا معنى لأن يكونوا طرفاً في النزاع والخلاف، بل تكون لهم المرجعية لحلّ النزاع الذي قد يحدث بين وكلائهم أو ولايتهم وبعض المؤمنين.

فالأية الكريمة التي أمرت بـرجوع المتنازعين مع ولاية الأمر إلى الله والرسول ﷺ ناظرة إلى قادة السرايا ونحوهم ممن ولايتهم محدودة، وهؤلاء ليست لهم المرجعية في نزاع هم طرف فيه، بخلاف الأوصياء والأئمة فإن الرجوع إليهم امتداد للرجوع إلى الرسول ﷺ.

هذا كله بناءً على تعميم (أولي الأمر) لمن ولايته خاصة إلى جانب من ولايته عامة. أما بناءً على تخصيص (أولي الأمر) بخصوص من ولايتهم عامة بعد رحيل النبي ﷺ، فيكون الأمر بالرجوع إلى الله والرسول كافياً في الإرجاع إليهم، لأنهم خلفاء الرسول ﷺ وقائمون مقامه وولايتهم في طول ولايته ﷺ.

س ١٩٠- ما معنى أن يكون الردّ إلى الله والرسول ﷺ أحسن تأويلاً؟

ج - التأويل: النتيجة التي يؤول إليها الشيء، ومن الواضح أن الرد إلى الله والرسول ﷺ خير وأحسن مآلاً وعاقبةً.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٦٤).

س ١٩١ - ما دام الخطاب في الآية للرسول لماذا لم يقل «واستغفرت لهم»؟

ج - لعل ذلك لتأكيد أن مرجعية النبي ﷺ وأهمية استغفاره لهم باعتباره رسول الله، لا لخصوصية شخصه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فان طاعته باعتبار رسالته عن الله، خصوصاً أن المعنى في الآية المعاندون الذين تحاكموا إلى الطاغوت بدلاً من الرسول، فكان المناسب تجنب التحدث عن النبي ﷺ بصفته الشخصية، وإنما بوصف كونه رسولاً، ليكون محفزاً لهم بترك عنادهم.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ (٧٤).

س ١٩٢ - كيف يقول ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ المفهوم منه إمساكهم بالحياة الدنيا وتركهم الآخرة كما يمسك المشتري ما يشتره في مقابل الثمن الذي يعطيه، بينما المجاهدون يفعلون عكس ذلك فيتركون الدنيا للآخرة؟

ج - كلاً، لأن الشراء هنا بمعنى البيع، كما نصَّ عليه علماء اللغة والمفسرون، وقد استعمل الشراء في هذا المعنى كثيراً في القرآن الكريم،

مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾
 وقوله تعالى: ﴿وَشَرَّوهُ يَتَمَنَّ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾. أي باعوا يوسف عليه السلام
 بثمان بخص زهداً فيه.

﴿وَإِن تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تُصِيبُهُمْ
 سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَن مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ
 لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا
 أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ
 شَهِيدًا﴾ (٧٨ - ٧٩).

س ١٩٣ - كيف ينسجم قوله: ﴿وَإِن تُصِيبُهُمْ
 سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَن مِّنْ عِنْدِ
 اللَّهِ﴾ مع قوله فيما بعد: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ
 فَمِنَ نَفْسِكَ﴾؟

ج - لتوضيح عدم المناقضة بين الآيتين نشير إلى أن الحدث الواحد
 إذا كان يستند لعدة عوامل يصح نسبة ذلك الحدث إلى كل واحد من هذه
 العوامل، وتسمى - فلسفياً - أجزاء العلة التامة، فكما يمكن نسبة الإحراق إلى
 النار يمكن نسبه إلى إهمال الخادم، وكذلك تصح نسبه إلى الله سبحانه لأنه
 قضى ذلك وقدره، أما إذا استند الحدث إلى عامل واحد فلا ينسب إلا إليه.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أن الحسنة قد نسبت في الآيتين إلى الله تعالى
 لأنه يقدرها وبتدئ بالنعمة والإحسان، بل إن تمكين الإنسان من فعل
 الخير نعمة وإحسان إلهي إليه، بينما نسبت الآية الثانية السيئة والإخفاق

الذي يصيب الإنسان إلى نفسه^(١) - بالرغم من كونها بتقدير الله وقضائه - باعتباره سهياً في ذلك وبسبب خطئه أو سوء تصرفه واختياره كما ينسب إحراق البيت إلى إهمال الخادم مع أنه بقضاء وقدر الهي.

أما الآية الأولى فإنها تضمنت توبيخ اليهود أو المنافقين لأنهم عندما رأوا الشدائد والمصاعب التي واجهت مجتمع المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ وأظنها مصاعب الجهاد وافرأزاته - فبدلاً من نسبتها إلى الله سبحانه لأنه قدر ذلك أو فرضه عليهم - لمصالح معينة أو عقوبة بالنسبة لبعض الجماعات - أو على الأقل نسبتها إلى الناس بسبب كفرهم وعنادهم لله ولرسوله، نسبوها - ظلماً وبهتاناً - إلى شخص الرسول ﷺ بهدف التطير والطعن فيه ﷺ ضمن أساليبهم الخبيثة لإبعاد الناس عن الرسول ﷺ اقتداءً بأسلافهم فيما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾. وكذلك قوم صالح عليه السلام حيث اعتبروا صالحاً شوماً عليهم: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَيَمَنُ مَعَكَ﴾. فكان من الطبيعي أن يستحقوا التوبيخ الإلهي على موقفهم وبهتانهم: ﴿فَمَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢).

س ١٩٤ - كيف يفرض عدم الاختلاف ميزة قرآنية
مع أن هناك كتباً أخرى خالية من الاختلاف؟

(١) حيث ذهب بعض المفسرين إلى أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكُمْ﴾ (سورة الإنسان: ٧٩) هو الإنسان بينما ذهب آخرون إلى أن المخاطب هو النبي ﷺ. وعلى كل حال فيكون المراد من السيئة ما يسوء الإنسان مثل المصاعب التي يواجهها في الحياة.

ج- هدف الآية الكريمة إثبات انتساب القرآن لله وعدم كونه من إنشاء (محمد) لأنه لو كان جهداً بشرياً لبرز فيه اختلاف كثير. وتظهر أهمية عدم اختلاف القرآن وتمييزه من خلال ملاحظة ما يلي:

أ- تشعب المواضيع والعلوم التي تضمنها القرآن، حيث يشتمل على منظومة عقائدية ومجموعة كبيرة من التشريعات والحكم والإرشادات والقصص التاريخية وبعض المظاهر الكونية والمفاهيم الأخرى.

ب- عدم تصنيفه لدى الرسول ﷺ ضمن كتاب وبمنهجية محددة بحيث يتيسر رجوعه إليه لتجنب الوقوع في التناقض والاختلاف. وإنما كان محفوظاً ومجموعاً عنده ﷺ من دون تصنيف وترتيب لموضوعاته.

ج- نزول كثير من الآيات أو أكثرها من دون تهية مسبقة وإنما تبعاً لأحداث طارئة أو في سفر أو حرب أو نحو ذلك، مما لا يسمح بالتمعن ومراجعة ما نزل منه سابقاً لتفادي التناقض في مضمونه.

د- تكرر التحدث فيه عن كثير من المواضيع التي تناولتها الآيات السابقة، وخلال فترات زمنية متباعدة- أكثر من عشرين عاماً- مما يجعله معرضاً للاضطراب والتناقض لو كان نتاجاً بشرياً.

هـ- صدوره من غير متعلم أو غير متخصص- على الأقل- رغم ما تضمنه من العلوم والمعارف المتنوعة والعميقة، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُبْتَلُونَ﴾.

و- عدم التذبذب في مستواه الفني والبلاغي، وعدم تطور أسلوبه رغم نزوله خلال عشرين عاماً أو أكثر^(١).

(١) لمعرفة المزيد من دلائل الإعجاز القرآني تراجع مبحث إعجاز القرآن من كتاب: «علوم القرآن

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٣).

س ١٩٥ - لماذا ينكر عليهم إذاعة ذلك مع أنه لم

يُشر إلى كونهم مأمورين بإخفائه؟

ج - يبدو أن الآية تشير إلى سداجة هؤلاء وعدم وعيهم حيث كانوا يتداولون الإشاعات التي يبثها الأعداء وينشرونها بين الناس، وكذلك يشيعون ما لا تسمح الظروف بنشره من أحداث تواجه المسلمين، بدلاً من مراجعة الرسول ﷺ أو من يعتمدهم ﷺ في ذلك، والتقيّد بتوجيهاته باعتباره القائد العارف بالأمور والصالح العام للمسلمين.

س ١٩٦ - كيف يصح قوله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ الذي

يدل على أن عدم اتباع هؤلاء القليل للشيطان لم

يكن بفضل الله ورحمته؟

ج - كلا، لأن فضل الله الذي تشير إليه الآية هو الفضل الإلهي الإضافي الذي شمل حال الأغلبية التي ضعفت أمام إرهاصات المرجفين، ولذلك قال ﴿فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، ومن الطبيعي أن يختص هذا الفضل بغير أولئك القليل الذين هم ثابتون أساساً ولا يفتقد ثباتهم إلى حجج إضافته ورعاية إلهية إضافية وان كان استقامة تلك القلة بفضل الله أيضاً - لأن هداية كل شخص بفضله تعالى وتوفيقه - لكنه فضل الهي آخر خاص بهم استحقوه لتمييزهم وهو غير الذي تشير إليه الآية.

﴿... وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا... فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ...﴾ (٩٢).

س ١٩٧- هل العداوة مع عشيرة القتيل وقومه تسقط الدية عن أهل القاتل كما تشير إليه الآية حيث اكتفت بتحرير الرقبة؟

ج- المقصود من القتيل هنا المسلم الذي قومه كفار حربيون، فإنهم أعداء القتيل والمسلمين فلا تدفع لهم دية، بل يكتفي قاتله بعتق الرقبة. وفي الحديث عن مسعدة بن صدقة قال: «سئل جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله... ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ قال: «وإن كان من أهل الشرك الذين ليس لهم في الصلح، وهو مؤمن فتحرير رقبة (مؤمنة) فيما بينه وبين الله، وليس عليه الدية..»^(١).

أي لا يدفع قاتله دية إلى ذويه وهم كفار حربيون، بل يكفيه عتق رقبة بسبب قتل الخطأ.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٩٣).

س ١٩٨- كيف ينسجم مدلول الآية مع ما يقال من عدم خلود أهل الكبائر من المؤمنين؟

ج- الآية دللت على استحقاق القاتل المتعمد للخلود في النار، وهو لا

(١) تفسير العياشي: ١/ ٢٨٩.

يمنع من قبول شفاعة الشافعين فيه وأن تناله الرحمة الإلهية، كما لا يمنع من غفران الله ذنبه إذا تاب توبة صادقة.

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ
وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ
وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٩٥ - ٩٦).

س ١٩٩ - القاعدون عن الجهاد غير أولي الضرر
عصاة بقعودهم عن الجهاد فكيف يقول: ﴿وَكُلًّا
وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾؟

ج - الجهاد واجب كفائي بمعنى انه إذا تصدى له العدد الكافي لإدارة
الحرب وتحقيق النصر يسقط وجوبه عن الباقين ولا يكونون من العصاة،
فالتفضيل في الآية للمبادرين إلى الجهاد - الذين تكتفي بهم ساحات الجهاد
- على هؤلاء القاعدین غير العاصين لا على القاعدین الذين تحتاج إليهم
ساحة الجهاد ويتخلفون عنها، فان هؤلاء عصاة موعودون بالعقاب
الإلهي لا الحسنی.

س ٢٠٠ - كيف فضل الله المجاهدين (درجة)
مرة و(درجات) أخرى؟

ج - ليس المقصود درجة واحدة، وإنما الدرجة بمعنى المتزلة أي

إنهم أعلى منزلة من القاعدين، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ وبعد أن بين أصل التفضيل أوضح الله سبحانه أن الفارق بين المنزلتين كبير، وأن المجاهدين أفضل بمراتب من القاعدين.

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا ﴿٩٨ - ٩٩﴾.

س ٢٠١ - إذا كان هؤلاء المستضعفون من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون الخروج من مكة فلا يكون تركهم الهجرة ذنباً حتى يغفره الله لهم؟

ج - يبدو أن هؤلاء لم يكونوا عاجزين تماماً عن الهجرة، وإنما تواجههم صعوبات شتى أو يخشون الضرر والإيذاء مثل العباس بن عبد المطلب - كما في بعض الروايات -، وذلك قد لا يكون عذراً شرعياً لبعضهم في ترك الهجرة، خاصة أنه لم يثبت - تاريخياً - أن المشركين كانوا يقتلون أولئك المستضعفين، وإنما يجسونهم ويضيقون عليهم، كما يظهر مما لاقاه عبد الله بن سهيل بن عمرو وغيره بسبب الإسلام، من الحبس والمضايقات من أهاليهم في مكة، فكان بعضهم يفضل البقاء في مكة - رغم المضايقات - على الهجرة والتغرب، مع حاجة المسلمين لأعداد إضافية في ساحات الجهاد.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ
الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ
عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (١٠١).

س ٢٠٢ - ماهو الارتباط بين فتنة الكافرين

وقصر الصلاة؟

ج - الفتنة هنا بمعنى القتل ونحوه، والآية تشير إلى صلاة الخوف،
وقصر ركعاتها بسبب الخطر الذي يواجه المصلين، وقد فصل الفقهاء
أحكام صلاة الخوف في الكتب الفقهية. كما تشير الآية اللاحقة - الآية
- إلى كيفية الصلاة جماعة في مواجهة الأعداء في ساحة الجهاد. مما يكشف
عن مدى أهمية الصلاة والمحافظة عليها وعلى آدابها ومستحباتها، إلا أن من
المؤسف أن نرى إهمال كثير من المسلمين لرعايتها بل ولآدابها متجاهلين
أنها: «عمود الدين» ففي الحديث عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: «إن عمود الدين الصلاة، وهي أول ما يُنظر فيه من عمل ابن
آدم، فإن صحت نُظر في عمله، وإن لم تصح لم ينظر في بقية عمله»^(١).

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ
فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا
مُوقُوتًا﴾ (١٠٣).

س ٢٠٣ - هل يجب على المجاهد بعد أداء الصلاة

(١) تهذيب الأحكام: ٢ / ٢٣٧.

ذكر الله كما قال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾؟

ج - كلاً، ولكنّه إشارة - فيما يبدو - إلى أهمية ذكر الله والمداومة عليه
حين الجهاد، لما له من أثر في النصر الإلهي، ولأنه يساهم في شدة عزيمة
المجاهدين وتذكيرهم بالله تعالى، فالآية نظير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

س ٢٠٤ - هل يجب على المجاهد إعادة الصلاة
الاضطرارية التي صلاها في ساحة الجهاد بعد
انتهاء المعارك كما يُوحى به قوله تعالى: ﴿فَإِذَا
اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾؟

ج - كلاً، وإنما هذه الفقرة إشارة إلى أن الصلاة الاضطرارية الفارقة
لبعض الأجزاء أو الشروط المألوفة إنما تصحّ في ساحات الجهاد حيث يواجه
المجاهدون خطر الأعداء، أما بعد الاطمئنان وانتهاء المعارك فيجب إتيان
الصلوات الآتية تامة الأجزاء والشروط، كما يوحى بذلك قوله: ﴿فَإِذَا
اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. فإن إقامة الصلاة إتيانها تامة الأجزاء والشروط.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ
وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً﴾ * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا *
وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا
أَنِيًّا﴾ (١٠٥ - ١٠٧).

س ٢٠٥ - ألا تدل هذه الآيات على أن النبي صلوات الله

قد ارتكب ذنباً بدفاعه عن الخائنين، ولذلك
نهاه الله تعالى عن المخاصمة والجدال دفاعاً عنهم
وأمره بالاستغفار؟

ج - هذه الآيات وما بعدها توحى أنّ بعض المنافقين أو نحوهم
حاول الدفاع عن نفسه أو عن بعض المعتدين أو المذنبين وإتهام بعض
الأبرياء أمام الرسول ﷺ ملققاً حججاً كاذبة لإثبات ادعائه الباطل،
محاوياً أن يكسب موقف النبي ﷺ إلى جانبه بعد أن خدع غيره بذلك
- كما يشير إليه قوله تعالى - فيما بعد -: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إلا أن الله سبحانه أرشد رسوله إلى الحقيقة، كما يشير إليه
قوله تعالى - فيما بعد -: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ...﴾^(١) وهكذا يتضح من مجموع هذه
الآيات أنّ الرسول ﷺ - بفضل الله ورحمته - لم يقف إلى جانب المعتدين.
وأما الاستغفار فهو لا يعني صدور المعصية، لأنه يستعمل كثيراً
- في القرآن وغيره - في حالات مخالفة الأولى وكلّ ما لا يناسب شأن
الشخص أو لمجرد عدم إصابة الحق، كما أن الضلال لا يراد منه الضلال
في الدين، بل مجانبة الصواب. فربما يكون النبي ﷺ قد مال إلى النقاش
أو التصديق ببراءة هؤلاء الخائنين، فأرشده الله إلى الحقيقة بفضل ورحمة.
فيكون الاستغفار على مجرد الميل النفسي المذكور وإن لم يكن معصية، لأن
مقامه ﷺ يتطلب منه الاستغفار على ذلك، كما ورد أنّ حسنات
الأبرار سيئات المقرّبين.

(١) سورة آل عمران: ١١٣.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١١٠).

س ٢٠٦ - ما فائدة قوله: ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ مع أنه من السوء أيضاً؟

ج - لعل المراد من السوء معناه العرفي مثل الاعتداء والسرقة والخيانة - وهو المورد الذي نزلت فيه هذه الآيات - و(ظلم النفس) كل معصية يفعلها الإنسان، لأنه يكون ظالماً لنفسه في عصيانه، فالآية تشير إلى أن باب التوبة والمغفرة مفتوح أمام هؤلاء المعتدين والخائنين - مورد نزول الآيات - بل مفتوح أمام كل من يظلم نفسه أي كل العصاة.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيثًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (١١٢).

س ٢٠٧ - ما الفرق بين الإثم والخطيئة؟

ج - لعل لفظ الخطيئة - باعتباره على صيغة المبالغة «فعل» إشارة للذنوب الكبيرة، والإثم إشارة إلى للذنوب الأخرى أو ما يعتمها. والله العالم.

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ (١١٧).

س ٢٠٨ - كيف يقول: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاتًا﴾ مع أن بعضهم لم يكن يعبد الإناث مثل: (هبل)؟

ج - قيل في تفسير ذلك عدة آراء:

الأول: أنّ المقصود من الإناث الأموات، لأن العرب تصف الضعيف بالأنوثة^(١).

الثاني: ان المراد بها الأوثان وكانوا يسمونها باسم الإناث، قال الحسن: لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه، ويسمونه أنثى بني فلان^(٢).
أقول: ولعل الآية جاءت من باب التغليب، لأن أكثر ألقابهم بأسماء الإناث.

س ٢٠٩ - كيف ينسجم قوله: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾. مع قوله: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾؟

ج - بما أنّ عبادة الأصنام - التي يسمونها في الغالب تسمية الإناث - بإيحاء وإغراء من الشيطان، فتكون دعوتهم هذه دعوة للشيطان، في مقابل دعوة الرحمن.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا﴾ (١٢٤).

س ٢١٠ - كيف خص هؤلاء بأنهم ﴿وَلَا
يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا﴾، مع أنّ ذلك لا يختص بهم فكل
إنسان مؤمن أو كافر لا يُظلم يوم القيامة نقيراً؟

ج - يمكن أن يكون قوله: ﴿وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا﴾ راجعاً لمن يعمل

(١) تراجع التفسير الكاشف: ٤٣٩/٢.

(٢) تراجع التفسير الكبير: ٤٦/٦.

الصالحات ولمن يعمل سوءاً المذكورين في الآية السابقة.

ولو فرضنا رجوعه لخصوص الصالحين فهو للإشارة إلى أنهم لا يُحرمون من ثوابهم شيئاً - على اختلاف مراتبهم - وهو لا يعني ثبوت الظلم في حق غيرهم، خصوصاً أن الآية السابقة التي تحدثت عمن يعمل السوء أشارت إلى أنهم يجازون بها يستحقه عملهم ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ...﴾ (١٢٧).

س ٢١١ - ما هو الذي كتب لهن ومنعهن هؤلاء منه؟

ج - هناك عدة آراء للمفسر ين:

(منها): أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الأولاد حتى يكبروا ولا يورثون النساء، وكانوا يقولون: لا نورث إلا من قاتل ودفع عن الحرم، فنزلت الآية تنهى عن ذلك.

(ومنها): أنها نزلت في بعض الصحابة كانت عنده بنت عم عمياء ذميمة، وقد ورثت عن أبيها مالاً، فكان يرغب عن نكاحها ولا يزوجه لغيره خشية أن يذهب زوجها بها، فسأل النبي عن ذلك فنزلت الآية تنهى عن حبسها ومنعها من التزويج^(١). وينطبق ذلك على حالات مشابهة تتضمن منع المرأة من حقها.

(١) راجع مجمع البيان: ٣ / ١٨٠-١٨١.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٢٨).

س ٢١٢ - ما فائدة قوله ﴿صُلْحًا﴾ مع أنه مفهوم من خلال قوله ﴿أَن يُصْلِحَا﴾؟

ج - بما أن الآية ترتبط بتنازل الزوجة التي يروم زوجها طلاقها عن بعض حقوقها، بهدف صلاح ذات بينهما وأن يكف عن الطلاق، لأن الصلح خير من انفصالهما، فكان من المناسب التأكيد على أن هذا الاتفاق يفترض أن يكون برضاها على أساس المصالحة بينهما من دون فرض على أحدهما، لذلك أكدته بقوله: ﴿صُلْحًا﴾.

س ٢١٣ - ما معنى قوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾؟

ج - إشارة - فيما يبدو - إلى الطبيعة الإنسانية في حرصها ورغبتها في الاقتناء، وعدم ميلها للبذل والعطاء. فكان هذه الخصلة تتراءى وتحضر بقوة لدى النفس حين المنازعة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ...﴾ (١٣٦).

س ٢١٤ - ما معنى أمر المؤمنين بالإيمان بالله والكتب السماوية؟

ج - هناك عدّة آراء في تفسير هذه الآية:

الرأي الأول: أنه خطاب لأهل الكتاب بأن يؤمنوا بكل ذلك ولا يقتصروا على الإيمان ببعضها.

الرأي الثاني: أنه خطاب للمنافقين الذين يؤمنون بألسنتهم أن يؤمنوا عن عقيدة.

الرأي الثالث: أنه خطاب للمؤمنين أن يستمروا في إيمانهم ويشبوا عليه، كما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ - من سورة الفاتحة - أنه بمعنى الدعاء باستمرار الهداية إلى الصراط المستقيم.

لكن الذي يبدو من الآية أنّ الخطاب فيها للمؤمنين بهدف التأكيد أن الإيمان بهذه الأمور - بما يستتبعه من التزامات ومواقف - كل لا يتجزأ، فلا يقبل الإيمان ببعضها، لأنه ناقص. وفي ذلك تعريض بأهل الكتاب الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (١).

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ يَحْبِبُونَكُمْ وَإِن كَانُوا لَكُم فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانُوا لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (١٤١).

س ٢١٥ - كيف يقول المنافقون للكافرين

﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَىٰكُمْ﴾ مع أنهم لم يسيطروا على

الكافرين؟

ج - ليس الاستحواذ هنا بمعنى الغلبة، بل بمعنى طلب المحافظة، لأن حاذً، بمعنى حافظً، قال ابن منظور: وفي حديث الصلاة: فمن فرغ لها قلبه وحاذ عليها فهو مؤمن أي حافظ عليها^(١). فالمنافقون يذكرون الكافرين بموقفهم في المحافظة عليهم، من خلال نفاقهم وكيدهم للمؤمنين.

س ٢١٦ - كيف يقول: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ

لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ مع أن الغلبة قد

تكون للكافرين أحياناً منذ صدر الإسلام إلى

عصرنا الحاضر؟

ج - يبدو أن المقصود ليس هو الغلبة العسكرية، لأن صدر الآية يشير إلى غلبة الكافرين أحياناً، وإنما هو الولاية في التشريع أو الغلبة في الحجة والبرهان أو أن المقصود بها الفوز في الآخرة.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ

حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا

قَلِيلًا﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿(١٥٥ - ١٥٦).

س ٢١٧ - ما الفائدة في تكرار قوله: ﴿كُفْرِهِمْ﴾؟

ج - لعل الكفر الأول جحود بني إسرائيل بآيات الله ودلائله على صدق أنبيائهم، والكفر الثاني إشارة إلى كفرهم بالله ورسوله وآياته وأنه

(١) لسان العرب: ٣ / ٤٨٦.

سبب إعراض الله عنهم، والكفر الثالث كأنه إشارة إلى إنكارهم نبوة عيسى عليه السلام. وبما أن الآيات الكريمة هنا بصدد الإشارة إلى موافقهم السلبية المتعددة لذلك أشارت إلى أقسام كفرهم الثلاثة.

﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١٥٩).

س ٢١٨- اليهود من ضمن أهل الكتاب وهم لم

يؤمنوا بعيسى عليه السلام ولا يؤمنون به فكيف يقول:

﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾؟

ج- لعله إشارة إلى نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض في آخر الزمان مع

المهدي عليه السلام حيث يؤمن به كل الناس حتى اليهود، وعلى هذا الوجه يكون

المقصود قبل موت عيسى عليه السلام. لا موت كل واحد من أهل الكتاب.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ

وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (١٦٠).

س ٢١٩- بما أن الأحكام الإلهية تابعة للمصالح

فكيف يحرم عليهم الحلال مع عدم المصلحة في

تحريمه؟

ج- مقتضى المصلحة هي الحلية بالنسبة للفعل بحد ذاته، لأنه من

الطيبات، لكن بملاحظة ظلمهم وصددهم عن سبيل الله تكون المصلحة

في تحريم هذه الطيبات عليهم إما عقوبةً وتشديداً عليهم ليتضرعوا إلى الله

ويرتدعوا عن سلوكهم السيء أو لتهديب نفوسهم وتربيتها على الطاعة

ونبذ العصيان الذي اعتادوا عليه. فمصلحة التحريم ترجع إليهم.

﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (١٦٢).

س ٢٢٠ - كيف يعتبرهم من أهل الكتاب مع أنهم قد أسلموا وآمنوا بالقرآن الكريم؟

ج - هذا تعبير شائع في اللغة باعتبار حالتهم قبل الإسلام، خاصة مع قرب عهدهم بانتسابهم إلى دينهم السابق، كما تقول عمّن أسلم من اليهود: فلان موضوعي من بين اليهود. فتعتبره من بينهم مع أنه قد أسلم.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (١٦٣).

س ٢٢١ - لماذا قال : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ مع أن هؤلاء كلهم بعد نوح فيشملمهم قوله: ﴿وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾؟

ج - لعل ذلك باعتبار أن إبراهيم عليه السلام جاء بالحنيفية، فيمثل مرحلة جديدة و متميزة في تاريخ الأنبياء، ولذلك تم التأكيد في الآيات والروايات على ذكر إبراهيم عليه السلام وآل إبراهيم.

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (١٦٦).

س ٢٢٢- ما الفائدة من ذكر شهادة الله والملائكة مع أن الكافرين لا يصدقون الرسول في ادعائه؟

ج- الآية ليست بصدد الاحتجاج على الكافرين، وإنما هي تسلية للرسول ﷺ وتذكير وتثبيت للمؤمنين، لأن الخطاب القرآني كما يستهدف محاججة الكافرين والجاحدين يستهدف تسلية الرسول ﷺ وتثبيت المؤمنين أيضاً.

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (١٧١).

س ٢٢٣- ما معنى أن عيسى بن مريم كلمة الله؟

ج- كأن ذلك إشارة إلى أن خلقه خلا من المقدمات الطبيعية لخلق البشر، بل من خلال إرادة الله وكلمته التي يرمز إليها القرآن بلفظة (كن). فوصف بمنشأ وجوده، باعتباره أثراً ونتاجاً عنه.

س ٢٢٤- على هذا يصح تسمية آدم بكلمة الله، لأنه وُلد كذلك من غير مقدمات الخلق العادية للبشر كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ

رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿١١﴾ ؟

ج - التسمية تصح لأدنى مناسبة. وإن كان هناك فرق بين آدم عليه السلام وعيسى عليه السلام، لأن آدم خلق من مادة الطين ولذلك قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ بخلاف عيسى حيث لم يتقدمه خلق مادة من طين ونحوها، لذلك كان أولى بهذا الوصف «كلمة الله» وبسبب التصريح بخلق آدم من طين لم يتوهم أحد الوهيته، بينما نسبها الجاهلون لعيسى عليه السلام.

س ٢٢٥ - ما معنى قوله: ﴿رُوحٌ مِّنْهُ﴾ حتى عُرف عيسى بكونه روح الله، ألا يوحى ذلك بمسحة الألوهية فيه؟

ج - كلاً، لأن الروح هنا الوجود الحياتي الذي منشؤه ومانحه الله تعالى، كما منحه لأدم عليه السلام حيث قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ومع ذلك لم يتوهم أحد الألوهية في حق آدم عليه السلام بسبب هذا التعبير.

سورة المائدة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (١).

س ٢٢٦- ماهو الارتباط بين مقدمة الآية وما بعدها؟

ج - لا يبدو هناك ارتباط بينهما، فكل منهما كلام مستقل عن الآخر، ولا محذور في ذلك إذ لا يجب أن يكون بين أجزاء الآية الواحدة ارتباط في المعنى، لأن كثيراً من الآيات لا تقتصر على التعرض لموضوع واحد، بل تتناول مواضيع شتى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا...﴾ (٢).

س ٢٢٧- ماهو ارتباط ﴿آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾

بما قبله؟

ج - المقصود من ﴿آمِينَ الْبَيْتِ﴾ هم زواره، فإنه كما يجب حفظ حرمة الشعائر وغيرها يجب حفظ حرمة زوار البيت الحرام

وحجّاجه، فهو معطوف على ما قبله، لبيان أهميّة حفظ حرمتهم وتجنّب الاعتداء عليهم وقتالهم - كما كان يفعل قَطَاعُ الطُّرُق مستغلّين سفر الحجّاج - كما تُحفظ حرمة الشعائر والشهر الحرام.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ... وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ ... الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ (٣).

س ٢٢٨ - ما أكله السبع منعدم فما معنى تحريمه؟

ج - المقصود تحريم الأجزاء المتبقية من الحيوان الذي يفترسه السبع.

س ٢٢٩ - أليس المفهوم من الآية أنّ الله تعالى ارتضى الإسلام هذا اليوم وليس فيما قبله، مع أنّ النبي ﷺ دعا إلى الإسلام منذ البعثة؟

ج - ليس المقصود من الإسلام مجرد الشهادتين، وإنما هذا الدين بمجموع أسسه وتعاليمه التي اكتملت هذا اليوم، فارتضاه الله لهم مكتملاً.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فُكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ...﴾ (٤).

س ٢٣٠ - أليس عطف ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ﴾

الجوارح ﴿ على الطيبات ﴾ يستلزم أن يكون
أكل نفس الجوارح حلالاً؟

ج - كلا، المقصود هنا ما تصطاده هذه الجوارح لا نفسها،
ويدل عليه - بالإضافة إلى القرينة الحالية الواضحة - قوله: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا
أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ فالذي يجوز أكله هو صيدها لا نفسها، ويمكن أيضاً
ضمن القواعد النحوية توجيه الآية بحيث تكون الواو في قوله: ﴿ مَا
عَلَّمْتُمْ ﴾ للاستئناف لا عاطفة.

س ٢٣١ - ما معنى: ﴿ تَعَلَّمُونَنِّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾؟

ج - بمعنى تدرّيبهنّ على طريقة الصيد من خلال ما ألهمكم الله بعقولكم.

﴿ الْيَوْمَ أَحِلُّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الدِّينِ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلُّ
لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَهُمْ ﴾ (٥).

س ٢٣٢ - ألا تدلّ الآية على حلية ذبائح أهل
الكتاب، لأنه من ضمن الطعام؟

ج - لا بدّ من الرجوع للسنة التي تضمنت تفسير الطعام. وقد اختلفت
النصوص في ذلك، والمشهور بين فقهاء مدرسة آل البيت عليهم السلام حرمة ذبائح
أهل الكتاب، وأن المقصود بالطعام هنا غير الذبائح المحتاجة للتذكية.

س ٢٣٣ - ما معنى تحليل طعام المسلمين لأهل
الكتاب في قوله: ﴿ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَهُمْ ﴾ ما دام
مصدر التشريع لديهم غير الإسلام وكتابه؟

ج - لعلّ المنظور في هذا التشريع هم المسلمون، بمعنى حلّية تقديم الطعام للكثابي، والهدف منه بيان حلّية المعاشرة معهم من خلال حلّية طعام كل من الفريقين أكلاً وتقديماً، وكذلك التعامل التجاري معهم والتزويج منهم.

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٦).

س ٢٣٤ - إذا كانت لفظة ﴿أَرْجُلُكُمْ﴾ معطوفة على ﴿رُؤُوسِكُمْ﴾ فلماذا نُصبت ولم تتبع المعطوف عليه؟

ج - هذا من العطف على المعنى - كما يسميه النحاة - وهو شائع في القرآن الكريم وفي كلام العرب، مثل قوله تعالى: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ فجاءت لفظة ﴿أَكُن﴾ مجزومة، مع أنها معطوفة على لفظة ﴿أَصَّدَّقَ﴾ المنصوبة. ونظير ذلك قول الشاعر:

بدا لي أنّي لستُ مدركٌ ما مضى ولا سابقٌ شيئاً إذا كان جانياً

فمعطف لفظة «سابق» المجرورة على لفظة «مدرك» المنصوبة^(١).

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (٧).

س ٢٣٥ - ما هذا الميثاق الذي تتحدث عنه الآية؟

ج - لعله التزام كل مسلم - عند إسلامه وبيعته للرسول ﷺ - بطاعة الله ورسوله.

(١) لمزيد من التفصيل يراجع كتاب «مغني اللبيب عن كتب الأعراب» لابن هشام الأنصاري. مبحث العطف على التوهم: ٢/ ١٢٢.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ...﴾ (١٤).

س ٢٣٦ - لماذا لم يقل : (من النصارى)؟

ج - يبدو أن المقصود خصوص المستقيمين منهم لا كلهم باعتبار أن هذا الاسم مقتبس من قول الخواريين: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾^(١) والمسيحيون المعاندون للنبي ﷺ لا يستحقون هذا الانتساب، لعدم التزامهم بما أخذ عليهم من الميثاق.

﴿... قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...﴾ (١٧).

س ٢٣٧ - كيف يمكن أن تتعلق الإرادة الإلهية بإهلاك أم المسيح التي هي بالفعل - حين نزول الآية - هالكة؟

ج - بما أن المتأخرين أتباع لأولئك فكان الخطاب في الآية يشمل أولئك النصارى المعاصرين للمسيح وأمه قبل وفاتها.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ...﴾ (١٨).

س ٢٣٨ - ما هو منشأ هذه النسبة لليهود والنصارى؟

ج - تضمنت مواقفهم مجموعة من الادعاءات التي أوجبت هذه النسبة: (منها): ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٢). حيث أثبتوا الرموزهم البتوة لله تعالى.

(١) سورة آل عمران: ٥٢.

(٢) سورة المائدة: ٣٠.

(ومنها): ادعاء اليهود أنهم شعب الله المختار، ونظيره ادعاء النصارى، ففي رسالة بولس الأولى إلى كنيسة تسالونيكى: «نرجو أن يمهد الله أبونا وربنا يسوع طريق المجيء إليكم... وأن يقوي قلوبكم فتكونوا بقداسته لا لوم فيها أمام أهلنا وأبينا يوم مجيء ربنا يسوع مع جميع قديسيه آمين»^(١)، وفي رسالته الثانية: «من بولس وسلوانس وتيموثاوس إلى كنيسة تسالونيكى التي في الله أبينا والرب يسوع المسيح عليكم النعمة والسلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح...»^(٢)، وفي رسالة يوحنا الرسول الأولى: «والله أظهر محبته لنا بأن أرسل ابنه الأوحد إلى العالم لنحييا به، تلك هي المحبة. نحن ما أحيينا الله بل هو الذي أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا... اكتب إليكم بهذا لتعرفوا أن الحياة الأبدية لكم أنتم الذين يؤمنون باسم ابن الله...»^(٣). إلى غير ذلك من الشواهد على هذه الادعاءات الباطلة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٠).

س ٢٣٩ - ما هو الذي آتاهم الله دون العالمين؟

ج - لقد ميّزهم الله تعالى بكثرة الأنبياء وكثرة الآيات والدلالات النازلة عليهم. وهذه الآية تشهد أن تفضيل بني إسرائيل الذي تحدث عنه بعض الآيات القرآنية تشير إلى تميزهم بمثل هذه الأمور، دون القرب وعلو المقام عند الله، لأن هذا تابع لسلوك الأمم ومواقفها ولا يجابى الله تعالى أمة على غيرها.

(١) الكتاب المقدس العهد الجديد: ص ٥٥٧.

(٢) المصدر: ص ٥٦٠.

(٣) المصدر ٦٥٧ و٦٦٠.

﴿قَالَ يَا وَيَلَّتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (٣١).

س ٢٤٠- ما دام قبايل نادماً فلماذا لم تقبل توبته؟

ج- يبدو من الآية الكريمة أن ندمه لم يكن خشية من الله تعالى ورجوعاً إليه حتى يعتبر توبة، وإنما لحيرته وشعوره بالضعف والعجز.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ (٣٢).

س ٢٤١- كيف يكون قتل نفس واحدة أو

إحياؤها بمنزلة قتل الناس جميعاً أو إحيائهم؟

ج- لعلّه إشارة إلى البعد الاجتماعي لقتل النفس ظلماً وكذلك إحياؤها وتخليصها من الظلم والعدوان، وأن ذلك لا يقتصر على بُعد الشخص، لما في الأول من التشجيع على انتهاك حرمة الأبرياء والإخلال بالأمن العام، وفي الثاني من التشجيع على إنقاذ النفوس البريئة والمحافظة على الأمن العام.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٤).

س ٢٤٢- هل تدل الآية على سقوط الضمان

والقصاص عما يرتكبه قطاع الطرق توبتهم؟

ج- كلا، بل الذي يسقط هو الحق العام وعقوبته باعتبار مبادرتهم

بالتوبة قبل إلقاء القبض عليهم، وأما الحق الخاص للمعتدى عليه أو ورثته من الضمان والقصاص أو الدية - إذا رضوا بها - فلا يسقط. لأن المغفرة والامتنان على الظالم لا يكون على حساب المظلوم.

﴿... يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ...﴾ (٤١).

س ٢٤٣ - لماذا قال: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ ولم يقل: (من مواضعه)؟

ج - فيه إيحاء باستقرار دلالة الكلم ووضوح معناه، ومع ذلك يحرفه هؤلاء ويجاولون صرفه عن معناه الحقيقي الواضح.

﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٣).

س ٢٤٤ - هل يعني قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ وجود النسخة غير المحرفة عندهم؟

ج - يبدو أن الآية ناظرة إلى حكم القصاص، وأنه كان محفوظاً في التوراة التي عندهم - أو عند بعضهم على الأقل - وهو لا يعني عدم التحريف بالنسبة لغيره.

ويشهد على ذلك قوله تعالى - فيما بعد - ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١). حيث يبدو منه ومما قبله أن الحكم بالقصاص كان معلوماً للأحبار اليهود المعاصرين للنبي ﷺ.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٦).

س ٢٤٥ - لماذا كرّر قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾؟

ج - المنظور من الأول عيسى عليه السلام نفسه، ومن الثاني الإنجيل، فلا يكون تكراراً.

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ (٤٧ - ٤٨).

س ٢٤٦ - كيف يؤمرون بالحكم بما في الإنجيل مع أنه نسخ بشريعة الإسلام؟

ج - ليس المقصود بأهل الإنجيل النصارى المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم بل الذين هم قبل الإسلام، فانه بعد أن بين في الآية السابقة إرسال عيسى بالإنجيل ذكر أن النصارى مأمورون بالحكم بما في الإنجيل، كما كان اليهود مأمورين قبل النصرانية بالحكم بما في التوراة. ويتجلى هذا المعنى على قراءة حرة: (وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ) بلام التعليل المكسورة ونصب الفعل. أي

إن تنزيل الإنجيل لأجل أن يحكم اتباعه على طبقه.

ومما يؤكد أن الاحتكام للإنجيل بالنسبة لمن كان قبل الإسلام فحسب قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ حيث أكد على لزوم الحكم - بعد الإسلام - طبقاً للشريعة الإسلامية، مبيناً مشيئة الله تعالى وحكمته في اختلاف التشريع لكل عصر وكل أمة. وأن القرآن مهيمن على ما قبله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١).

س ٢٤٧ - كيف يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ مع أن ولاءهم لا يخرج المسلم عن الإسلام؟
ج - ليس المراد أنه يصير يهودياً أو نصرانياً، وإنما بولائه لهم يتسبب إلى جماعتهم ومعسكرهم المعادي للإسلام.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ...﴾ (٥٢).

س ٢٤٨ - لماذا قال: ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ مع أن سارع تعدي ب (إلى) فيقال سارعت إلى السفر؟
ج - لعله باعتبار أنه ليس المقصود المسارعة إليهم، وإنما المسارعة في إظهار الولاء لهم.

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٥٥).

س ٢٤٩ - كيف ينسجم ما يذكره شيعة

آل البيت عليهم السلام من تفسير هذه الآية بعلي عليه السلام

حيث أعطى السائل خاتمه أثناء ركوعه مع أن

لفظ الآية: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ... ﴾ يدلُّ

على الجماعة؟

ج - أولاً: أن إطلاق لفظ الجماعة وإرادة الواحد مألوف في القرآن

الكريم وغيره مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ

لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ حيث ذكر بعض المفسرين

أنها نزلت في نعيم بن مسعود.

وثانياً: أن تفسير هذه الآية بالإمام علي عليه السلام لا يختص به الشيعة،

بل ذكره كثير من المفسرين والمحدثين كالطبري والشعبي والقرطبي، وابن

الصباغ المالكي في الفصول المهمة، والشوكاني في فتح القدير وابن كثير في

تفسيره وغيرهم. حتى أن حسان بن ثابت نظم في ذلك شعراً، فقال فيه:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي وكل بطيء في الهدى ومسارع

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راعياً زكاة فدتك النفس يا خير راع

فأنزل فيك الله خير ولاية وأثبتها منى كتاب الشرائع^(١)

(١) تراجع فرائد السمطين للحموي: ١/ ١٨٩، وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزي: ١٥ وغيرهما.

س ٢٥٠ - ألا ينافي التفات الإمام علي عليه السلام

لسؤال السائل - بناءً على نزول الآية فيه عليه السلام -

الخشوع لله تعالى المطلوب والمحَبَّذ في الصلاة؟

ج - أولاً: أشارت بعض النصوص إلى أن الأمام علياً قد أعطى

السائل خاتمة بعد أن طلب منه عليه السلام وهو في أثناء الصلاة.

ثانياً: ان الذي ينافي الخشوع في الصلاة هو الانشغال عن التوجه

لله تعالى تأثراً بموثرات دنيوية دون مجرد سماع طلب السائل والتصديق

عليه الذي هو مقرب لله أيضاً. وقد روى البخاري بسنده عن ابن عمر أنه

قال: (رأى النبي ﷺ نخامة في قبلة المسجد وهو يصلي بين يدي الناس

فحتمها. ثم قال حين انصرف: «إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله قبَّل

وجهه، فلا يتنخَّم أحد قبَّل وجهه في الصلاة» رواه موسى بن عُقبة وابن

أبي رواد عن نافع^(١).

فهل إن التفات النبي ﷺ للنخامة وحتمها - أي تفتيتها حيث

كانت يابسة - ينافيان خشوعه ﷺ لله تعالى أثناء الصلاة؟

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ

وَعَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ

أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ (٦٠).

س ٢٥١ - ما هو الشر الأول الذي يشير إليه

لفظ (ذلك)؟

(١) الجامع الصحيح: ١ / ٢٤٤ حديث: ٧٥٣.

ج - إنه الشرّ بنظر أهل الكتاب - وإن كان خيراً وقربة في الواقع - وهو الإيمان بالله وما أنزل على النبي ومن قبله من الرسل، الذي تشير إليه الآية السابقة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ...﴾.

وهذا التعبير متعارف في الخصومة والحوار، كما تردّ على من لا يرتضي عقيدة التوحيد ويتهمك بالجهل والسوء، فنقول له: «وأسوأ من ذلك جهلك بربك وإنكارك لفضله». فإنه لا يعني اعترافاً منك بسوء موقفك والجهل والباطل في عقيدتك. وإنما ذلك مجازاة له للردّ عليه.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ (٦١).

س ٢٥٢ - ما معنى دخولهم بالكفر وخروجهم به؟

ج - كأن دخولهم بالكفر هو كفرهم، وخروجهم به هو ملازمتهم له رغم إظهار الإيمان، فيكون إشارة لنفاقهم.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِثُونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٦٣).

س ٢٥٣ - هل كان علماءهم ينهونهم عن قول

الإثم وأكل الشح كما قد توحى به الآية؟

ج - كلاً، الآية تدلّ على أنّ علماءهم لم يكونوا ينهونهم عن ذلك، لأن (لولا) الداخلة على الفعل تدلّ على الحث والتحضيض، فهي هنا بمعنى (هلاً) وفيها إشارة إلى تأنيب هؤلاء العلماء بسبب عدم نهيهم عن المنكر. وتحتهم على النهي عن المنكر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ﴾ (٦٩).

س ٢٥٤ - لماذا قال: ﴿الصَّابِثُونَ﴾ والمفروض أن يكون منصوباً، لأنه معطوف على اسم «إن» المنصوب؟

ج - أولاً: هذا ليس من عطف المرفوع ﴿الصَّابِثُونَ﴾ على المنصوب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، لأن قوله ﴿الصَّابِثُونَ﴾ مبتدأ، خبره ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ...﴾ وخبر «إن» محذوف بقرينة خبر الجملة الثانية، والعطف من عطف الجملة على الجملة لا عطف المفرد، ونظير ذلك قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

أي نحن بما عندنا راضون، فحذف الخبر اعتماداً على قرينة خبر الجملة الثانية.

ويجوز أن يكون الخبر الموجود خبراً لـ «إن» وخبر «الصَّابِثُونَ» محذوف بقرينة خبر «إن» كما قال ضابىء البرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيارٌ بها لغريب

أي وقيار غريب، فحذف الخبر اعتماداً على خبر «إن».

وهناك رأي ثالث على رأي بعض النحاة بأن يكون ﴿الصَّابِثُونَ﴾ عطفاً على اسم «إن» من باب العطف على المعنى كما قال الشاعر:

بدالي أتى لستُ مدركٌ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائياً

فعطف «سابق» على «مدرك» من باب العطف على المعنى رغم أن المعطوف مجرور والمعطوف عليه منصوب، وتفصيله في علم النحو. وعلى كل حال فليس ذلك غلطاً.

ثانياً: كيف يكون غلطاً والنبى ﷺ عربي أصيل والبيثة عربية أصيلة قبل الاختلاط والتأثر بالأعاجم، ولذلك يستشهد النحويون بكلام العرب - إلى أواخر الدولة الأموية وبدايات العصر العباسي - من دون خلاف بينهم، ولو فتحت الباب لتخطئة العرب الأوائل لبطلت علوم العربية. ثالثاً: كيف يفرض في القرآن هذا اللحن المكشوف من دون أن يعترض عليه العرب، رغم التحدي القرآني لهم؟

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٧٧).

س ٢٥٥ - ما الفائدة من تكرير بيان ضلالهم؟

ج - لعل ضلالهم الأول بالتزامهم التعاليم المحرّفة في دينهم وعدم اتباع تعاليم أنبيائهم، والفضلال الثاني إشارة إلى عدم إيمانهم بالاسلام الذي هو خاتم الأديان. والله العالم.

﴿... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيْنَ وَرُهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨٢ - ٨٣).

س ٢٥٦ - كما ان للنصارى قسيسين ورهباناً كذلك لليهود أحبار، وجلّ الفريقين لم يؤمن بالرسول ﷺ فما الذي يميّز النصارى عن اليهود حتى صاروا أقرب مودة للمؤمنين؟

ج - تميّز النصارى المعاصرون للنبي ﷺ عن معاصريهم من اليهود والمشرّكين بسلوكهم السلمي مع المسلمين، بعكس المشرّكين واليهود الذين واجهوا المسلمين بالعدوان المسلّح والفتنة والحيانة. ويبدو أنّ لعلماء النصارى دوراً في موقفهم السلمي، حيث لم يوجهوا أتباعهم لإثارة الفتنة والعدوان، حتى إنّ بعضهم آمن برسالة الإسلام ولم يستكبر في مواجهة الحق، وهم الذين أشارت إليهم الآية الكريمة بالثناء والمدح.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ (٩٠ - ٩١).

س ٢٥٧ - لماذا تحدثت الآية الثانية عن خصوص الخمر والميسر دون الأنصاب والأزلام التي ذكرتها الآية الأولى؟

ج - أولاً: باعتبار أن الذي يوجب العداوة والبغضاء والصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة هو الخمر والميسر دون الأنصاب والأزلام.
وثانياً: أنّ ترك الأنصاب والأزلام أيسر من ترك الخمر والميسر، لأنّ هذين يوجبان الاعتیاد بخلاف الأولين، ولعلّ قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ إشارة لذلك.

س ٢٥٨ - إذا كان الخمر من عمل الشيطان فكيف يوفره الله للمؤمنين في الجنة، كما قال

تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكَ
وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(١).

ج - إن خمر الجنة تختلف أوصافه جذرياً مع خمر الدنيا، فالصفة البارزة في خمر الدنيا هو ما يلزمه من فقدان الوعي الذي يجرّ عادةً إلى المفاسد كاللغو والجريمة والإثم، حيث كان لذلك الدور الحاسم في تحريمه ﴿بَسَّأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(٢)، بالإضافة إلى النصوص التي أكدت أن إسكار الخمر هو السبب في تحريمه، بينما خمر الآخرة فاقد لهاتين الصفتين، كما قال تعالى ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾^(٤).

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا
إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ثُمَّ اتَّقَوْا
وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٣).

س ٢٥٩ - لماذا كرّر قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا﴾ ثلاث
مرات؟

ج - كان الآية الكريمة بصدد التأكيد على التقوى وإيمان الإنسان واستقامته، وجاء تكرير الأمر بالتقوى، باعتبارها منشأ الخير والاستقامة، خاصة إذا كان الأمر مرتبطاً بالتخلص من عادة شرب الخمر والسكر

(١) سورة المطففين: ٢٥ - ٢٦.

(٢) سورة البقرة: ٢١٩.

(٣) سورة الطور: ٢٣.

(٤) سورة الواقعة: ٢٥.

المستحكمة في النفس والمألوفة في المجتمع، حيث ورد في سبب نزول الآية من حديث علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ قالوا: يا رسول الله، ما تقول في إخواننا الذين ماتوا، كانوا يشربون الخمر ويأكلون المسر، فأنزل الله الآية^(١).

ولعل الأمر الأول بالتقوى اقترن بالإيمان بالله والرسول وعمل الصالحات. والأمر الثاني مقترن بالإيمان بحرمة شرب الخمر. والأمر الثالث مقترن بحسن السلوك والاستقامة. والله العالم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَلْوَنَكُمْ اللهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ...﴾ (٩٤).

س ٢٦٠ - لماذا خص الاختبار ببعض الصيد

فقط؟ وما هو ذلك البعض؟

ج - لأن المحرم هو بعض الصيد لا كله، وذلك البعض إما إشارة لصيد البر؛ لأن صيد البحر حلال للمحرم، أو نقول: بما أن الحديث عن صيد البر فقط بقريظة قوله: ﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ فيكون «البعض» إشارة إلى الصيد حين الإحرام دون صيد غير المحرم. هذا كله بناء على أن يكون المقصود من البلاء هو تشريع حرمة الصيد للمحرم، أما إذا كان المقصود من البلاء هو جعل الحيوان في متناول المحرم تكويناً - بحيث يكون في متناوله صيده - فمن الطبيعي أن يكون ذلك بالنسبة لبعض الحيوانات، إذ لا يعقل أن تكون كل حيوانات الأرض في متناول الحجاج المحرمين.

(١) هامش الكشف: ١ / ٦٧٦ عن الطبري.

﴿جَعَلَ اللهُ الْكَفَّةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ
وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٩٧).

س ٢٦١ - ما هو وجه دلالة هذه التشريعات على

علم الله المطلق بما في السموات والأرض؟

ج - لعل ذلك بمعونة التأمل الدقيق في حكمة هذه التشريعات،
وتناول التشريع الإلهي لكل التفاصيل، فإن ذلك يوجب العلم بأن الله
تعالى محيط بكل شيء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا
اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥).

س ٢٦٢ - كيف ينسجم مدلول هذه الآية مع

مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ج - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يجبان بشروط منها:
احتمال تأثير الأمر أو تأثير النهي في قطع دابر المنكر بينما المنظور في الآية
حالة إصرار الطرف الآخر على الضلال وعدم استجابتهم لدعوة الإيذان
والهداية، حيث كان بعض المسلمين يحرصون على دعوة هؤلاء وهدايتهم
رغم إصرارهم، وقد روي أن أبا ثعلبة سأل رسول الله ﷺ عن هذه
الآية، فقال: «اتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت دنيا
مؤثرة وشحاً مطاعاً وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك
بخويصة نفسك وذر الناس وعوامهم»^(١).

(١) مجمع البيان: ٣ / ٣٩٢.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوْا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١٠٩).

س ٢٦٣ - كيف يقول الرسل ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ مع أن كل رسول يعلم بموقف قومه؟

ج - الرُّسُلُ يرون المواقف المعلنة للجليل المعاصر لهم من أهمهم دون كثير من التفاصيل والحقايا، والله سبحانه هو العالم بالمؤمنين الحقيقيين برسالاته ومدى التزام أبناء الجليل المعاصر للرسول، وكذلك الأجيال اللاحقة، لأنه تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٢).

س ٢٦٤ - ألا يعبر هذا الاستفهام عن شك الخواريين في قدرة الله تعالى؟

ج - مثل هذا إنما يعبر عن عدم استيعابهم - آنذاك - لعموم قدرة الله تعالى دون الشك المنافي للإيمان، ولذلك عندما حذَّره عيسى عليه السلام من أن يكون طلبهم معبراً عن الشك المذكور: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ إذن فهدفهم مشاهدة الآية لتطمئن قلوبهم وتقوى حجَّتهم أمام قومهم ولذلك قالوا: ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ولعلهم لا يقصدون من استطاعة الله قدرته التكوينية، بل انسجام طلبهم مع مصالح التكوين لتحقيق المشيئة الإلهية بذلك، كما تقول لصديقك: «هل تستطيع أن تزورني في العطلة»

وتقصد أن ظروفه هل تسمح بذلك. مع علمك بقدرته على زيارتك.

ولعل هدفهم من طلب المائدة مشاهدة الآية الإلهية ليتجلى لهم مقام عيسى عليه السلام عند الله تعالى ورسالته، من دون أن يعني ذلك الشك والتردد منهم.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١١٦).

س ٢٦٥ - ما هو توجيه الاستفهام الإلهي مع

عيسى مع أنه منزّه عن احتمال هذا الادعاء؟

ج - الآية تحكي عن الحوار يوم القيامة، والهدف منه توبيخ النصارى الذين ينسبون لعيسى عليه السلام هذا الادعاء، وجواب عيسى المتضمن لتكذيبهم يكون أبلغ في إقامة الحجة عليهم.

س ٢٦٦ - ما معنى قوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي

نَفْسِكَ﴾ مع أنّ الله تعالى منزّه عن النفس، لأنّها ترتبط بالجسم؟

ج - النفس هنا بمعنى الذات وحقيقة الشيء، فكأنه قال: لا أعلم ما تضمّره أنت وتخفيه. وليست بمعنى النفس بالمصطلح الفلسفي وهي المرتبطة بالجسم المادي.

سورة الأنعام

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١).

س ٢٦٧ - لماذا جاءت لفظة: ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ بصيغة
الجمع، ولفظة: ﴿النُّورَ﴾ بصيغة المفرد؟

ج - لعل ذلك باعتبار أن لكل ظلمة آثاراً خاصة بها تتميز عن غيرها
مثل ظلمة الليل وظلمة العواصف وغيرهما فكان المناسب ذكرها بصيغة
الجمع، بينما المنظور من ذكر النور الإشارة للأثر المشترك لأسبابه وهو
الإتارة، فلذلك أفرده.

ولعلّ الظلمات إشارة إلى الاتجاهات المنحرفة التي يتبعها بسبب كل
منها أمة أو مجموعة من الناس، بينما النور يرمز إلى الحق والطريق المستقيم
وهو واحد. وعلى هذا الوجه يكون جعل الظلمات باعتبار أن كل شيء،
في دائرة التقدير والقضاء الإلهي.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى
عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُونَ﴾ (٢).

س ٢٦٨ - لماذا كرّر الأجل، وما هما الأجلان؟

ج- لعلَّ الأجل الأول نهاية أمد الحياة الدنيا حيث تُمهّل البشرية لحينه أو أجل كل فرد أو أمة، والأجل الثاني يوم القيامة حيث يكون موعد الحساب. ويحتمل أن الأجل واحد، والتكرار لبيان أنّ هذا الأجل المجهول لدى الناس محدّد ومعلوم لديه تعالى، فلا مبرر للامتراء - الشك - بسبب طول الأجل وجهلهم بنهايته.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٧).

س ٢٦٩ - ما الفارق بين نزول القرآن على لسان النبي ﷺ ونزوله في قرطاس مع أنّ اتهامهم له بالسحر متحقق في كلا الفرضين؟

ج - حيث أريد للإسلام أن يكون خاتمة الأديان السماوية كانت معجزته الرئيسية القرآن الكريم - لا الإعجاز المادي المحسوس الذي يجبو سريعاً - ليجتذب بمضمونه العقل والوجدان لدى الأجيال المتعاقبة، ويكون مناراً لها.

وحيث كانت هناك رغبة أو طلب من بعض المعاصرين - ضيقي الأفق أو المعاندين - للرسول ﷺ بأن يكون أعجازه مادياً كأن يكون قرآنه في قرطاس مادي محسوس ينزل عليهم، فأوضحت الآية الكريمة أنّ الكافرين الذين لا يحتكمون لعقولهم ووجدانهم ولا يتأثرون بمضمون القرآن ومواعظه لا تؤثر فيهم المعجزة المادية أيضاً، بل سوف يصرّون على غيهم وعنادهم ويتهمون النبي بالسحر والباطل.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَفُضِيَ الأَمْرُ
ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا
يَلْبَسُونَ﴾ (٨ - ٩).

س ٢٧٠ - لماذا لم يكن للملك بصورته الطبيعية

أداء الرسالة الإلهية للبشرية؟

ج - شاء الله تعالى أن يجعل الحياة الدنيا محلاً للاختبار والتكليف
﴿الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وأن يمنح الإنسان
بعقله وجهده فسحة ليختار الطريق المستقيم بنفسه ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا
شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ من دون أن يفرض عليه الإيثار والطاعة ﴿وَلَوْ شَاءَ
اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى﴾ كما شاء سبحانه أن يحمل الإنسان المسؤولية
في الحياة الدنيا - بعد استعدادها لها - ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ
وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسانُ﴾ .
فكان من الطبيعي - على ضوء ذلك - أن يكون رسوله إلى البشرية
من جنسهم مدعوماً بالحجة والبرهان، لأنه على فرضية إنزال الملك لأداء
الرسالة السماوية حيث كان نزول الملك بهيئته لا يحقق الهدف من إرسال
الرسول إما لعدم انسجام هيئته أو طبيعته مع حياة الإنسان فلا يمكنه
معايشة الأمة ومشاركتهم في شعورهم وهمومهم، أو لكونه لا يصلح
أن يكون قدوة تقتدي به الأمة، لاختلافه معهم في الخلق والطبيعة بينما
يفترض أن يكون الرسول مثلاً أعلى وسراجاً لأمته، كما قال الله تعالى: ﴿يَا
أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا
مُنِيرًا﴾^(١) أو لغير ذلك - مما يعلمه الله - بحيث انحصرت مهمة الملائكة

(١) سورة الأحزاب: ٤٥ - ٤٦.

في نزولهم على هيتهم بتنفيذ الأمر الإلهي ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ فلا بد أن يكون الملك الرسول هيته البشر وطبيعته، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾، وذلك لا يحقق هدف المعاندين الذين يطالبون بأن يكون الرسول ملكاً على طبيعته وهيته الملكية.

نعم، عندما تكون المهمة مجرد تبليغ من دون أن يكون الرسول مصلحاً للأمة وقدوة لها، يمكن أن يتحملها الملك هيته الخاصة، ولذلك يكلف الله تعالى بعض الملائكة لإيصال تعاليمه إلى أنبيائه، ولكن هذا الدور يختلف عن دور الأنبياء في أهمهم.

﴿قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾ (١٢).

س ٢٧١ - ما معنى أن يأمر الله تعالى رسوله بالسؤال والجواب معاً؟

ج - هذا إرشاد من الله تعالى لنبيه في كيفية محاجة الكافرين وسؤالهم، وإلى الإجابة المناسبة لهذا السؤال. وقد لا يكون الهدف تعليم الرسول ﷺ نفسه، وإنما دعم موقفه بالنص القرآني. والسؤال المذكور تعبير عما يدور في خلد الإنسان الباحث عن الحقيقة، أو الشخص المجادل للرسول.

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣).

س ٢٧٢ - لماذا خص الساكن بالذكر مع أن المتحرك لله تعالى أيضاً؟

ج - ليس السكون هنا في مقابل الحركة، بل
بمعنى الاستقرار، قال الفيروزآبادي: سَكَنَ
سَكُونًا قَرًّا.. (١١).

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ
بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧).

س ٢٧٣ - كما أنَّ الضرَّ لا يكشفه إلا الله فكذلك
الخير، فلماذا لم يذكر ذلك؟

ج - نعم، ولكن حيث أنَّ الإنسان تَوَاقى إلى كشف الضر
تَبَهت الآية إلى أنَّ الكاشف له هو الله، بعكس الخير الذي
يرغب الإنسان فيه وفي استمراره. فلذلك قال: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ
بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولم يقل فلا كاشف له إلا هو.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ
إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ..﴾ (١٩).

س ٢٧٤ - كيف يجعل الله شهيداً بين الطرفين مع
أنَّ الكافرين لا يقرّون به؟

ج - حيث كانوا مزوّدين بالعقل الذي يرشدهم إلى الله تعالى
وكماله - لو احتكموا إلى عقولهم - صحَّ أن يكون الله شهيداً بينه وبينهم.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢٣ - ٢٤).

س ٢٧٥- كيف يكذبون على الله يوم القيامة مع علمهم بأنه تعالى عالم بكفرهم في الحياة الدنيا؟

ج- إن الكافر عندما يرى أهوال يوم القيامة ومصير الكافرين القاتم يحاول التشبث بكل حجة مهملتها وهنت للخلاص من العذاب، وبما أن الفطرة والعقل يرشدان كل إنسان- في الحياة الدنيا- إلى الإيمان بالله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وقال- حكاية لحال الكافرين في الدنيا- ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَتَحَدُّونَ﴾ فيحنج الكافرون يوم القيامة بما يعمله العقل ويتلك الفطرة التوحيدية التي فطروا عليها في الدنيا كدليل على إيمانهم بالله، غافلين أو متغافلين عن أن ذلك ليس هو معيار الإيمان، لأن الإيمان هو عقد القلب على ما يدركه العقل وتعلمه الفطرة، لا تجاهله وجحوده.

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا...﴾ (٢٥).

س ٢٧٦- إذا كان الله تعالى قد جعل على قلوبهم أكِنَّة- جمع كنان وهو السِّر- وفي آذانهم وقْرًا- الثقل في الأذن- فيكونون معذورين في عدم إيمانهم، فكيف يعذبهم على ذلك؟

ج- تقدم الكلام مفصلاً حول الموضوع في تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ

اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴿٧﴾ سورة البقرة
- فليراجع.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٣٦).

س ٢٧٧- أليس رجوعهم إلى الله من خلال
بعثهم فلماذا فرق بينهما؟

ج - كلا فإن البعث هو إحيائهم بعد الموت. ورجوعهم إليه وقوفهم
يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ
آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٧).

س ٢٧٨ - ألا توحى هذه الآية أن الله تعالى لم
ينزل على محمد ﷺ آية معجزة وآية، ولذلك
اكتفى في رد طلب خصومه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ
عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ ولم يقل انه أنزل آية بالفعل؟

ج - كلاً، لأنهم أرادوا آية مادية وشاخصة للنبي ﷺ على غرار
عصا موسى وناقة صالح، فردّهم بأن تحديد طبيعة الآية راجع لله تعالى،
لا لرغبات الأشخاص والجماعات، لأن الهدف من الآية إقامة الحجّة من
خلالها، وليس تلبية الطلبات التي لا تنضبط، وقد شاء الله تعالى أن تكون
الآية الشاخصة لنبي الإسلام خالدة بخلود رسالته، وهي القرآن الكريم،
حيث تحدى الأجيال المتعاقبة بالإتيان بسورة مثله. بالإضافة للمعاجز

الثانوية مثل شق القمر وكلام الذئب وحركة الشجرة وإخباره بالمغيبات وغيرها مما حفلت به المصادر التاريخية، وقد أشار القرآن الكريم الى صدور آيات مادية من النبي ﷺ قد رآها الكافرون بأم أعينهم، قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾^(١). فالآية الكريمة نصت على رؤيتهم لبعض الآيات منه ﷺ التي استكبروا عن قبولها وقالوا ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ إلا أن تلك المعاجز كانت آية، ولم تلازم مسيرة رسالته ﷺ، لأنها لم تكن معجزته الرئيسية.

﴿ ... أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥٤).

س ٢٧٩ - لماذا ذكر التوبة والمغفرة مع أن الجاهل معذور فهو لا يحتاج إلى توبة؟

ج - ليست الجهالة هنا بمعنى الجهل وعدم العلم، بل بمعنى السفاهة المقابلة للحكمة، لأن ارتكاب الذنب تبعاً للشهوة أو الهوى من السفه وخلاف الحكمة. وقد تم توضيح ذلك.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ... ﴾ (٦٠).

س ٢٨٠ - النوم ليس وفاة فكيف يقول: ﴿ يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾؟

ج - ليس المقصود من الوفاة الموت، وإنما هو قبض النفس عن أبرز مظاهر الحياة من الوعي والحيوية، من خلال ظاهرة النوم. وكان الآية الكريمة تشير إلى إحاطة الله تعالى بالإنسان في الليل والنهار.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (٦١).

س ٢٨١- ما هي مهمة هؤلاء الحفظة؟

ج- ذهب بعض المفسرين إلى أن مهمة هؤلاء حفظ الإنسان من الهلاك، وقد أشارت مجموعة من النصوص إلى ذلك، منها ما جاء في نهج البلاغة عن الإمام علي عليه السلام: «أَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَينَ يَحْفَظَانِهِ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدْرَ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ الْأَجَلَ جَنَّةٌ حَصِينَةٌ»^(١)، ولعل إلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

ويرى فريق آخر من المفسرين أن مهمة هؤلاء الملائكة حفظ أعمال الإنسان وإحصاؤها ليحاسب عليها يوم القيامة، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(٣)، ويبدو أن هذا الرأي هو الأرجح في تفسير الآية التي نتحدث عنها، لأن تعدية الفعل بـ (على) تناسب تحميل المسؤولية لا الامتنان والآل قال: «ويرسل لكم حفظة».

أقول: وربما يكون الحافظان للإنسان من الحوادث هما نفس الملكين اللذين يحفظان أعماله ويسجلان عثرته. والله العالم.

س ٢٨٢- كيف يقول: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ مع

أن الذي يتوفى الإنسان حين الموت ملك الموت

كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي

(١) تصنيف نهج البلاغة: ص ١٤٠.

(٢) سورة الرعد: ١١.

(٣) سورة الانفطار: ١٠-١٢.

وَكُلِّ بِكُمْ ﴿٢٨٣﴾

ج - لعل المقصود أعوان ملك الموت وجنوده، فيصح نسبة التوفي لهم باعتبارهم المباشرين كما يصح نسبته إلى ملك الموت باعتباره المسؤول عن ذلك والموجه لأعوانه، وتصح نسبته لله تعالى أيضاً باعتباره المقدر لذلك، وكل شيء خاضع لإرادته، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١) ولا محذور في تعدد نسبة الفعل الواحد، مادامت طولية، لا عرضية.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٣)

س ٢٨٣ - لماذا خص ذلك بالظلمات، مع أن الشدائد

التي تواجه الإنسان قد تكون في وضوح النهار؟

ج - الظلمات كناية عن الشدة، قال الزجاج: العرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة: يوم مظلم، حتى إنهم يقولون يوم ذو كواكب، أي اشتدت ظلمته حتى صار كالليل، وأنشد:

بني أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يومٌ ذو كواكبٍ أشهب^(٢)

س ٢٨٤ - لماذا خص الدعاء بالخفية، مع أن

الإنسان كثيراً ما يبهر بدعائه عند الشدة؟

ج - ربما تتحدث الآية عن دعاء الكافرين عند الشدة، فانهم لا

(١) سورة السجدة: ١١.

(٢) سورة الزمر: ٤٢.

(٣) تاج العروس: ٨ / ٣٨٤.

يجهرون بدعائهم لله وإنما يتوجهون إليه خفية.

ويمكن أن يكون المقصود من التضرع الضراعة الملازمة عادة لإظهار التذلل فيكون إشارة للجهر بالدعاء، قال ابن منظور: المعنى تدعونه مظهرين الضراعة، وهي شدة الفقر والحاجة إلى الله عز وجل^(١). وعلى هذا الوجه تكون الآية متعرضة للدعاء جهراً وخفية.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَا عَلَى الَّذِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٦٨ - ٦٩).

س ٢٨٥ - كيف يُنسى الشيطانُ النبي عن أداء

تكليفه؟

ج - الآية الكريمة لم تخبر عن إنساء الشيطان للنبي بالفعل، وإنما هو مجرد فرضية، ولذلك تقدمته أداة الشرط، لأن (إمّا) مركبة من «إن» الشرطية و«ما». والخطاب يتجنب مجالسة الظالمين - عند استهزائهم بآيات الله - لا يختص بالنبي ﷺ - وإن جاء بصيغة المفرد - بل يعم كل المسلمين، ولذلك نفت الآية اللاحقة تحمّل المتقين مسؤولية عمل الكافرين. وعلى كل حال فحيث كان المقصود بالخطاب كل المسلمين لا خصوص النبي ﷺ فيتضح أن الآية لا تدل على تحقق النسيان بالفعل من كل المخاطبين وإنما تضمنت بيان الحكم الشرعي لحالة أو فرضية قد تتحقق بالنسبة لبعضهم. والله العالم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٤)

س ٢٨٦ - كيف ينسجم مضمون الآية مع ما عُرف بين شيعة آل البيت عليهم السلام من أن أبا إبراهيم كان موحداً لله تعالى ؟

ج - الملاحظ أن النسابين ينسبون إبراهيم عليه السلام إلى تارخ، قال الزجاج : « ليس بين النسابين اختلاف أن اسم أبي إبراهيم تارخ .. »^(١). وقال الطبري : « .. وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور .. »^(٢).
ولعل إطلاق لفظ الأب على «آزر» لكونه جده من أمه، أو عمه - كما قيل - حيث قد يطلق الأب عليه. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : «ردوا عليّ أبي» يعني عمه^(٣) العباس فاستعمل الأب بمعنى العم.
وقيل : ان كثيراً من الجمهور وافقوا الشيعة في ذلك، قال الألويسي في تفسيره : وعلى هذا جَمَّ غفير من أهل السنة^(٤).

ومما يشهد بأن «آزر» لم يكن والد إبراهيم أن القرآن الكريم نص على أن إبراهيم قد تبرأ من «آزر» بعدما تبين له أنه عدو لله ومصرّ على الكفر ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَ فَلْيَا تَبِينَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾^(٥)، وكان ذلك في فترة

(١) مجمع البيان : ٤ / ٤٩٧ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ١ / ١٦٢ .

(٣) تراجع التفسير الكبير : ١٣ / ٤٠ .

(٤) التفسير الكاشف - نقلاً عن الألويسي - : ٣ / ٢١٣ .

(٥) سورة التوبة : ١١٤ .

شبابه بعد بدايات دعوته لقومه بعبادة الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ... وَأَعْفِرُ لَأبي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾^(١). بينما نجده عليه السلام بعد ذلك وفي فترة شيخوخته - حيث ولد له إسماعيل وإسحاق - يدعو لوالديه بالمغفرة كما حكى عنه تعالى في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(٢)، وهذا يؤكد أن «آزر» الذي تبرأ منه في فترة شبابه وبدايات دعوته لله تعالى، ليس والده، وأن والديه مؤمنان بالله تعالى، ولذلك استحقا الدعاء بالمغفرة والرحمة منه عليه السلام وهو في مرحلة الشيخوخة.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٧٦)

س ٢٨٧ - هل كان إبراهيم جاهلاً بربه حتى يقول مثل هذا؟

ج - احتمال بعض المفسرين أن يكون الرب هنا بمعنى المدبر، وأن هذه الآيات تتحدث عن مرحلة بحث إبراهيم عليه السلام عن المدبر للكون بالرغم من اعتقاده بوجود الله تعالى واختصاصه بالألوهية، وأنه كان يبحث عن إمكانية إسناد تدبير الكون لبعض مخلوقاته كالكواكب والقمر والشمس، خصوصاً مع انتشار هذه الأفكار ضمن المجتمع الذي كان يعيش فيه. ولكن ملاحظة مجموع الآيات الكريمة توحى بأن إبراهيم عليه السلام

(١) سورة الشعراء: ٧٠-٧١، ٨٦.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٩-٤١.

كان في مقام محاصمة قومه وأفكارهم بالأسلوب المؤثر من خلال افتراض هذه المدّعيّات وردّها بالحجة والبرهان، ولذلك نراه بعد أن استعرض هذه الفرضيات وردّها، وتجه خطاب له لقومه قائلاً ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ مما يؤكد أن عملية الافتراض والردّ لم تكن مخترنة في نفسه ضمن تكوين معتقده الشخصي، بل في ضمن جوّ الحوار مع الخصم.

ومما يؤيد ذلك أن قضية أفول هذه الكواكب ليست مما تخفى على الطفل المميّز فضلاً عن مثل إبراهيم عليه السلام الواعي لعملية الاستدلال والاستنتاج المعقّدة، ولذلك اضطر أصحاب الاتجاه الأول - وكذلك الذين توهموا جهل إبراهيم لخالفه آنذاك - إلى التشبّث بروايات واهية وغير معقولة تتضمن أنه كان يعيش في مغارة، وأنه لم ير إلى ذلك الوقت كوكباً ولا شمساً ولا قمراً، وأنه فوجئ بحركتها وأفولها^(١).

س ٢٨٨ - لماذا استند في نفي ربوبية الكوكب إلى عدم حبه للأفلين، مع أن قضية الربوبية غير مرتبطة بالمشاعر كالحب والبغض؟

ج - الموضوع ليس مجرد مشاعر، وإنما باعتبار أن عدم حب الأفل بسبب نقصه وخضوعه لغيره في حركته وأفوله، فيمتنع أن يكون هو الخالق أو المدبّر لهذا الكون الواسع المعقّد وما فيه.

والذي يبدو من ملاحظة مجموع الآيات الكريمة أن إبراهيم عليه السلام كان بصدد رفض ومناقشة الفرضيات المختلفة المعارضة للتوحيد، فبدأ بنفي فكرة ألوهية الأصنام، باعتبارها من نتاج الإنسان وأنها جمادات لا تعي

(١) يراجع تاريخ الأمم والملوك: ١ / ١٦٤ .

ولا تعقل ولا تقدر على شيء، أما الكواكب فحيث إنها لم تكن نتاجاً إنسانياً ولا في متناول يده وسلطانها فاستدل على رفض ربوبيتها، من خلال أفولها الذي هو مظهر الضعف والنقص فيها، بادئاً بأصغرها وأقلها إشعاعاً وهو الكواكب، وانتهاءً بنفي الأكبر والأشد إشعاعاً وأقوى نوراً، وهو الشمس.

﴿وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨٠).

س ٢٨٩ - ما وجه الاستثناء بقوله ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ فهل يعقل أن يشاء الله تعالى أن توقع الأصنام أو الكواكب ضرراً بإبراهيم حتى يذكر هذا الاستثناء؟

ج - يبدو أن محاجة قومه اعتمدت تخويفه من آلهتهم وأربابهم، باعتبارها الفكرة السائدة التي ربطتهم بها - بإيحاء من كهنتهم - خصوصاً بالنسبة للكواكب، حيث كانوا يتصورون أن سقوط الشهب وخسوف القمر وكسوف الشمس دلالة على غضب هذه الإلهة، ولذلك كانوا يقدمون لها القرابين خلال هذه الفترة، لإرضائها، فهددوا إبراهيم من مغبة غضبها، وبعد أن رفض إبراهيم خوفه منها: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ استدرك بأن ما قد يصيبه من أمراض وما يواجهه من أخطار - باعتباره بشراً معرضاً لكل ذلك - إنما هو بمشيئة الله تعالى وقدرته، لا بسبب غضب آلهتهم وفعلها، فقال ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾. فالمقصود إلا أن يشاء ربي ابتلائي.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرٍ مِنْ

شَيْءٍ﴾ (٩١).

س ٢٩٠ - كيف يكون إنكار ارسال الرسالة على
البشر منافياً لتعظيم الله تعالى ومعرفة قدره، مع
أن هؤلاء إنما انكروا ارسال البشر من جانب الله
تعظيماً له تعالى بزعمهم؟

ج - هؤلاء قاسوا عظمة الله تعالى وكبرياءه بالطغاة وكبرياتهم حيث
يتمون بمظاهر العظمة في اختيارهم لرسولهم ومثليهم، فقالوا: «ليس من
المعقول أن يختار الله لرسالته بشراً ضعيفاً» بينما الباري تعالى يراعي الحكمة
ومصلحة العباد وإقامة الحجة عليهم التي تنسجم مع كون الرسول بشراً
مثلهم، من دون أن يكون محتاجاً لهم، بعكس الطغاة الذين يحرصون على
التكبر وابرار قوتهم وسلطانهم أمام الآخرين، وهذا الحرص إنما يعبر عن
نقص فيهم، فقياس الباري عز وجل عليهم ينم عن جهل بحقيقة عظمتهم
وقدره تعالى.

س ٢٩١ - من هؤلاء الذين تشير الآية إلى
إنكارهم إرسال البشر؟ فاليهود لا ينكرون
ذلك، لأنهم يعترفون بأن نبيهم بشر، والمشركون
لا يعترفون بنبو موسى فكيف يحاججهم بقوله:
﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً
وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَ قَرَأَتِهِ قِرَاطِينَ بُدُونَهَا وَخُفُونَ
كَثِيراً وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ

ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

ج- ليس من الضروري أن يكون صدر الآية وذيلها مرتبطاً بفئة واحدة، بل يمكن أن يكون صدر الآية يعرض بالمشركين الذين ينفون كون البشر رسلاً من الله تعالى، وذيلها يرد على اليهود المتلاعبين بكتاب موسى ﷺ. ويمكن أيضاً افتراض وحدة الفئة الذين تتحدث عنهم الآية بصورها وذيلها وأن المقصودين في الآية بعض اليهود الذين كانوا يظهرون المشركين على المسلمين و يوادونهم ويصرفونهم عن الرسول ﷺ - عندما يسألهم أولئك المشركون - كما أكدتها المصادر التاريخية وأشار إليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾^(١). فكان هؤلاء اليهود يوهمونهم أن الله لا يرسل البشر رسلاً منه إلى عباده، خاصة إذا لاحظنا سطحية الثقافة الدينية لكثير من المشركين، وجهلهم بأسس الديانة اليهودية وكون نبيهم موسى ﷺ بشراً، بل قد لا يعرفون عنها إلا أنها ديانة سماوية فحسب، وقد ساعد انطواء اليهود على أنفسهم وعدم التبشير بدينهم على جهل المشركين به.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢).

س ٢٩٢ - إذا كانت مهمة النبي محمد ﷺ

(١) سورة الأنعام : ٩١ .

(٢) سورة النساء : ٥١ .

إنذار أم القرى - مكة - ومن حولها، فكيف تكون رسالته عالمية؟

ج: ١ - منشأ هذا التوهم تفسير (الحول) بالمحيط القريب، بينما نجد الاستعمال القرآني لهذه اللفظة في غير ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾^(١). قال الطبرسي: «معناه: ولقد أهلكنا - يا أهل مكة - ما حولكم، وهم قوم هود، وكانوا باليمن، وقوم صالح بالحجر، وقوم لوط على طريقهم إلى الشام»^(٢). وكذلك في سورة العنكبوت: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(٣).

٢ - الملاحظ أن الآية لم تعبر (مكة وما حولها)، وهذا يوحي أنه ليس المنظور إليها هي بقعة خاصة وما يحيط بها جغرافياً، بل في كلتا الآيتين استخدم لفظ (أم القرى) وكأنه لتأكيد مركزية مكة بالنسبة للبقاع الأخرى، بسبب وجود الكعبة البيت الحرام فيها، والعرب تسمي كل أمر جامع (أمًّا)، وقد حكى عن ابن عباس أن سبب تسمية مكة بذلك أن الأرضين دحيت من تحتها ومن حولها، وقال أبو بكر الأصم: «سميت بذلك، لأنها قبلة أهل الدنيا فصارت هي كالأصل وسائر البلاد والقرى تابعة لها»^(٤) واختصاص هذا الاسم بمكة شاهد على عدم النظر إليها بأنها بقعة معينة.

٣ - لو فرضنا ظهور الآية في البقعة الجغرافية المحددة فقد يكون من باب التأكيد أو باعتبار أن ذلك كان الأفق المتيسر للرسول ﷺ آنذاك،

(١) سورة الأحقاف: ٢٧.

(٢) مجمع البيان: ٩ / ١٣٨.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٧.

(٤) التفسير الكبير: ١٣ / ٨٦.

ولذلك نراه ﷺ قد وسَّع دائرة رسالته فيما بعد لتشمل أهل يثرب ثم الجزيرة العربية، ومن بعدها الروم والفرس وغيرهم من الشعوب، من دون أن يعترض عليه أحد من المسلمين وغيرهم بمثل هذه الآية.

س ٢٩٣ - كيف يقول ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ مع أن اليهود والنصارى يؤمنون بالآخرة ولا يؤمنون بالنبي ﷺ ولا بالقرآن؟

ج - لعل المقصود منهم الذين يحركهم إيمانهم ويدعوهم إلى تحري الحقيقة حيث يوصلهم ذلك إلى صدق الرسول ﷺ والإيمان برسالة الإسلام والعمل بأحكامه - دون الفئة الأخرى منهم المصرة على عدم الإيمان بالنبي ﷺ والقرآن رغم قيام الحجة عليهم، فانهم يحكم الكافرين غير المؤمنين بالآخرة، لعدم انسجام موقفهم مع إدعاء الإيمان بالآخرة - ولذلك عطف على الإيمان بالرسول أو القرآن المحافظة على الصلاة، مع أن ذلك لا يعم كل أهل الكتاب، بل القسم الأول منهم فحسب.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (٩٥).

س ٢٩٤ - هل أن فلق الحب والنوى مختص بالله تعالى؟

ج - نعم، لأن المقصود منه فلق الحبة ليخرج منها النبات وقلق النوى ليخرج منها النخل والشجر، لا مجرد الشق الذي هو من الأمور العادية.

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ ﴾ (١٠٣)

س ٢٩٥ - لماذا خصّ الأبصار بالذكر مع أن كل
الحواس لا تدركه وهو يدركها؟

ج - لعلّه باعتبار أن البصر هو الحاسة الوحيدة التي هي مشار توهم إدراك الله تعالى بها، ولذلك اقتصر ادعاء المنحرفين بإدراكه بالبصر دون غيره من الحواس، وصارت مسألة رؤيته تعالى من مسائل علم الكلام - العقائد - دون غيرها.

﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠٥)

س ٢٩٦ - الهدف من تصريف الآيات هو هداية
الناس لا ضلالهم، فكيف يقول ﴿وَلِيُقُولُوا
دَرَسْتَ﴾ أي حفظته وتعلّمته من أهل الكتاب،
فهل ضلالهم المذكور هدف لتصريف الآيات؟

ج - هذه اللام ليست للتعليل - كما ابنى عليه السؤال - وإنما هي لام
العاقبة والصيرورة التي تدخل على نتيجة الفعل غير المقصودة للفاعل مثل
اللام في قوله تعالى ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرْنًا﴾^(١) مع
أن النقاطهم لموسى عليه السلام لم يكن بهذا الهدف، وإنما ترتب ذلك من دون أن
يكون مقصوداً لهم.

(١) سورة القصص : ٨ .

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ

عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٧)

س ٢٩٧ - ما هو الفرق بين الحفيظ والوكيل ؟

ج - قال الطبرسي : «.. فَإِنَّ الْحَافِظَ لِلشَّيْءِ هُوَ الَّذِي يَصُونُهُ عَمَّا يَضُرُّهُ، وَالْوَكِيلَ عَلَى الشَّيْءِ هُوَ الَّذِي يَجْلِبُ الْخَيْرَ إِلَيْهِ»^(١)، وربها يكون المقصود من الحفيظ المسؤول، ومن الوكيل المهيمَن، والمعنى أن الله تعالى لا يحاسب رسوله على كفرهم لأنه ليس مسؤولاً عن موقفهم، ولم يجعل له سلطة وقدرة تكوينية تردعهم عن كفرهم لأنه ليس مهيمناً عليهم.

﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٠٨)

س ٢٩٨ - كيف ينسب الله تعالى التزيين لنفسه،

وفي آيات أخرى نسبة للشيطان، منها قوله تعالى:

﴿وَزَيْنَ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ؟

ج - نسبة التزيين للشيطان لأنه سببه، ونسبته لله تعالى باعتبار أن

كل شيء بقضائه وقدره، كما قال تعالى: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢)، مع أن للهداية والضلال أسبابها.

(١) مجمع البيان : ٤ / ٥٣٦ .

(٢) سورة إبراهيم : ٤ .

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبُهُمْ إِنَّمَا
الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠٩)

س ٢٩٩ - إذا كانوا يؤمنون عند مجيء الآية التي
طلبوها - كما توحى به الآية الكريمة - فلماذا لم
ينزلها الله تعالى وهو اللطيف بعباده الذي يريد لهم
الهداية والسعادة؟

ج - أولاً : إن الهدف من إنزال الآيات إقامة الحججة عليهم، وينزل
الله الآيات التي تكفي لإقامة الحججة على الناس، ولو ابتنى إنزال الآيات
على الاستجابة لطلب وأهواء الأشخاص والجماعات لارتبكت مواقف
الأنبياء، لأن طلبات ورغبات الأشخاص وتوقيتها غير منضبطة.

ثانياً : ذكر بعض المفسرين أن (لا) ليست نافية، وأن المعنى : وما
يشعركم أنهم يؤمنون؟ فيكونون مثل قوم صالح الذين طلبوا الناقة
وعقروها فيما بعد، فاستحقوا العذاب والفناء في الدنيا، بينما شاء الله أن
لا يفتني هؤلاء، بل يفسح لهم الفرصة أو لأبنائهم للإيمان برسالة الإسلام
الذي أراد لهم أن يحملوها إلى الأمم الأخرى لتبقى خالدة وتنتشر.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ
كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
يَجْهَلُونَ﴾ (١١١)

س ٣٠٠ - لماذا لم يشأ الله هدايتهم؟

ج - لأن هذه المشيئة - لو تحققت - تكوينية، فلا يكون إيمانهم

اختيارياً، وذلك لا فائدة فيه، لأن الله تعالى أراد لهذه الدنيا أن تكون دار اختبار بحيث يتحمل الإنسان مسؤوليته باختياره.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١١٧)

س ٣٠١ - حيث أن لفظة (أعلم) مضافة إلى اسم
الموصول، فيكون معناه أن الله تعالى من المضلين
كما تقول: «فلان أعلم الفقهاء»؟

ج - كلاً، ليست هي مضافة إلى اسم الموصول، بل اسم الموصول
(مَنْ) إما مفعول به لفعل محذوف، والتقدير: إن ربك هو أعلم يعلم من
يُضِلُّ.. الخ كما ذهب إليه بعض النحاة، أو منصوب بنزع الخافض أي
ب حذف حرف الجر، والتقدير: أعلم بمن يضل، والذي حسن الحذف
كونُ المجرور طويلاً - أي اسم الموصول وصلته - ووجود الباء في قوله
: بالمهتدين، فحذفها هناك اعتماداً على وجودها هنا وذلك تجنباً لتكرارها.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٢٣)

س ٣٠٢ - إذا كان علة جعل الأكابِر في كل قرية
مكرهم فيها، فيكون مكرهم مراداً لله تعالى؟

ج - كلاً، لأن هذه اللام ليست لام التعليل، وإنما هي لام الصيرورة،
ويسمى النحاة لام العاقبة، وهي تدخل على النتيجة من دون أن تكون

هي الغاية والهدف، نظير اللام في قوله تعالى ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ فإن هدفهم من التقاط موسى عليه السلام أن يصير لهم ولداً مؤنساً، لا عدواً وحزناً، لكن النتيجة كانت غير ذلك.

﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١٢٨)

س ٣٠٣ - إذا كان الكفار خالدين في النار - كما تضمنته بعض النصوص - فما هو وجه الاستثناء بقوله : ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ؟

ج - هناك عدة وجوه لهذا الاستثناء، فقد يكون الملحوظ فيه بعض المنحرفين من غير الكافرين بالله تعالى، أو لاستثناء خصوص المستضعفين من الكفار حيث لا دليل على خلودهم، أو للإشارة إلى أن الأمر لا يخرج عن مشيئة الله تعالى حتى بعد إدخالهم النار واستحقاقهم الخلود فيها لكفرهم.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ (١٣٦)

س ٣٠٤ - من هؤلاء الشركاء؟

ج - يبدو أن المقصود من الشركاء الأصنام التي كانوا يعبدونها، وإنما اعتبروها شركاء، لأنهم فرضوا لها نصيباً في أموالهم، فصارت شركاء لهم.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمُ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرْثُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ (١٣٧)

س ٣٠٥ - إذا كان الشركاء هم الأصنام فكيف تزين لهم ذلك وهي جمادات غير عاقلة؟

ج - لعل نسبة التزيين للأصنام باعتبار آتھن وسيلة الإضلال الذي أوجب ابتعادهم عن الفطرة وشرع الله تعالى، كما نسب الإضلال إليها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴿١﴾.

ويمكن أن يكون المقصود من الشركاء هم الذين يقومون بشؤون الأصنام، وهم بمنزلة رجال دينهم، أو أن المقصود الشياطين - من أي جنس كانوا - الذين أغروهم وحرفوهم عن الحق، فيشمل شخصياتهم القبلية الذين يشاركونهم في أموالهم - بأخذ الاتاوات المتعارفة من أفراد العشيرة - فيحثونهم على قتل البنات، لأنهم لا يأملون منهن نفعاً مادياً وقوة للقبيلة.

﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتُرُونَ﴾ (١٣٨)

س ٣٠٦ - توحى الآية أنهم كانوا يذكرون اسم الله على بعض الأنعام الأخرى مع أنهم - لكفرهم - لم يكونوا يذكرون اسم الله على الجميع؟

ج - كثير من العرب أو أكثرهم كانوا مشركين، فهم يؤمنون

(١) سورة إبراهيم : ٣٥ - ٣٦ .

بالله ويشركون معه غيره. وبالنسبة للآية الكريمة يبدو أنها تشير - كما ذكره بعض المفسرين - إلى ما كانوا يعتقدونه من حرمة الركوب للحج - وما يتخلله من ذكر الله - على صنف من الأنعام. فيكون المقصود أنهم لا يستخدمونها للركوب في سفر الحج الذي يقترن بذكر الله، وليس المقصود عدم ذكر اسم الله على هذا الصنف عند الذبح.

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ بَكُوتِي بِعِلْمٍ إِنَّكُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٣ - ١٤٤).

س ٣٠٧ - إن ثمانية أزواج تعددها ستة عشر فكيف يقصد منها عدد ثمانية حيث عددها من كل من الضأن والمعز والأبل والبقر اثنين؟

ج - كلاً، فإن ثمانية أزواج عددها ثمانية وليس ستة عشر، لأن مفردة «الأزواج» هي «الزوج» والمقصود منه هنا، واحد وهو أحد الزوجين، وليس المقصود منه عدد اثنين. قال ابن سيده: الزوج: الفرد الذي له قرين... قال أبو بكر: العامة تخطئ فتظن أن الزوج اثنان، وليس ذلك من مذاهب العرب، إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحداً في مثل قولهم زوج حمام، ولكنهم يشنونه فيقولون: عندي زوجان من الحمام، يعنون ذكراً

وانثى.. قال ابن سيده: ويدل على أن الزوجين في كلام العرب اثنان قوله الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(١) فكل واحد منهما - كما ترى - زوج، ذكراً كان أو انثى... وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَرْوَاهُ﴾ أراد ثمانية أفراد... ويقال للرجل والمرأة: الزوجان^(٢).

﴿...إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾ (١٤٥)

س ٣٠٨ - لماذا خصّ الدم المحرّم بالمسفوح؟

ج - كأنه لاخراج الدم غير المسفوح مثل ما يكون في الكبد والعروق الدقيقة فإنه غير محرّم. وعلى أن الآية الكريمة تشير إلى ما كان متداولاً بين بعض الجاهليين من شرب الدم المسفوح، فنهت عنه وحرّمته.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ (١٥١)

س ٣٠٩ - إذا كان بصدد بيان ما حرّمه الله فكيف يستعرض ما كان مطلوباً لله تعالى مثل عدم الشرك والإحسان للوالدين وعدم قتل الأولاد؟

ج - كأن التحريم هنا مضمّن معنى التشريع والجعل لا خصوص التحريم، أو باعتبار أن هذه التشريعات والتعاليم وإن تضمّنت صيغة الطلب، لكن جوهرها التحريم، لأنها عبارة عن حرمة^(٣) الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل الأولاد وممارسة الفاحشة وقتل النفس المحترمة.

(١) سورة النجم : ٤٥ .

(٢) لسان العرب: ٢/ ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٣) أهم من الحرمة الإرشادية، كما في الشرك بالله تعالى، والحرمة التشريعية، كما في الباقيات.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠)

س ٣١٠- ما معنى مضاعفة أجر الحسنة مع أن كل زيادة هي ضمن الأجر لتلك الحسنة لا أضعافها؟

ج - تصوّر التضعيف بالنسبة للإحسان إلى الناس واضح، فمن تصدق على فقير بدينار يعطى ثواب من تصدق على عشرة فقراء أو ثوب الصدقة بعشرة دنانير كرمًا وتفضلاً من الله تعالى، وبالنسبة للعبادات ونحوها يعطى ثواب من ضاعفها عشر مرات، كما أشارت إليه بعض النصوص، ففي الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام ثلاثة أيام في الشهر، فقبل له: أنت صائم الشهر كله؟ فقال: نعم. فقد صدق، لأنه قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾»^(١).

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢)

س ٣١١- ما معنى كون حياته ومماته لله تعالى؟

ج - باعتبار أن الله تعالى فاعلها وأنها بيده، فهو المحيي والمميت.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (١٦٤)

س ٣١٢ - كيف ينسجم ذلك مع مضمون قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ

أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿١١﴾؟

ج - تلك الآية تتحدث عن براءة كل إنسان عن تحمّل الأوزار التي لا ترتبط به، ولا ينافي ذلك تحمّل رموز الضلالة لأوزار من خدعواهم وأضلّوهم ومشاركتهم إياهم في المسؤولية - كما تضمنته الآية - لأن هذه الأوزار تنسب إليهم وتكون من جملة أوزارهم، لكونهم السبب فيها حيث سنّوها، كما جاء في الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «وأبيا عبد من عباد الله سنّ سنة ضلالة كان عليه وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(٢). وذلك باعتبار أن نفس سنّ البدعة والضلالة معصية مستقلة غير نفس فعل الضلالة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٦٥)

س ٣١٣ - كيف يوصف الله تعالى بأنه سريع العقاب من أن حلمه طويل وعقابه مؤجل في العادة إلى يوم القيامة؟

ج - إن ما نراه بعيداً قريب عند الله تعالى، لأنه أزلّ سرمدى، فكل فاصل زمني كلاً شيء بالنسبة إلى سرمديته ودوامه، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾^(٣) أو باعتبار أن الزمن في الحقيقة يجري سريعاً حيث لا يلبث العمر بل الحياة أن تفتى وتنتهي، كما قال الشاعر:

دقائق قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

والذي أوجب غفلة الإنسان عن هذه الحقيقة انشغاله بشؤونه وبما يحيط به من أحداث. اللهم بصّرنا في أنفسنا ولا تجعلنا من الغافلين.

(١) سورة النحل : ٢٥ .

(٢) بحار الأنوار : ٧١ / ٢٥٨ .

(٣) سورة المعارج : ٦ ، ٧ .

سورة الأعراف

﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ
وَذِكْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

س ٣١٤ - ما هو وجه الحرج المذكور في الآية؟

ج - باعتبار عظم المسؤولية الملقاة على النبي ﷺ بتبليغه كتاب الله تعالى، وما يتوقعه من معارضة المشركين وغيرهم ومواجهتهم له.

﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا
كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (٨ - ٩).

س ٣١٥ - إذا كان الوزن هو الحق، فكيف تعدد الموازين فيكون بعضها ثقيلاً وبعضها خفيفاً؟

ج - الوزن هو المقياس، ففي يوم القيامة يكون المقياس هو العدل من دون شائبة ظلم وإجحاف، ولذلك قال تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾، وأما الموازين فالمقصود منها الموزونات من الأعمال الصالحة، وهي التي تكون ثقيلة أو خفيفة تبعاً لمواقف أصحابها وأعمالهم في الحياة الدنيا.

س ٣١٦ - ما معنى ظلمهم بآيات الله تعالى؟

ج - كأن الظلم هنا مضمّن معنى الإنكار والجحود، فكأنه قال : (بها كانوا بآياتنا يجحدون) أي بسبب جحودهم بها .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لِآدَمَ﴾ (١١)

س ٣١٧ - أليس خلق الله أبا البشرية آدم بعد

تصويره فيكف يقول: ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾؟

ج - بما أن المادة التي خُلق منها آدم هي الطين، فكانت هذه مرحلة الخلق - خلق المادة - قبل التصوير، ومن بعد التصوير كان نفخ الروح فيه والأمر الفعلي للملائكة بالسجود.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي

مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢)

س ٣١٨ - كيف قال ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ مع

أن إبليس امتنع من السجود لا من عدم السجود

فكان يفترض القول «ما منعك أن تسجد»؟

ج - كأن المنع هنا مضمّن معنى السبب، أي ما الذي أوجب عدم السجود؟ ولعلّ النكتة البلاغية في ذلك أن الذي تحقق بالفعل هو عدم السجود لا السجود، فكان من المناسب السؤال عن المبرّر لعدم السجود، واستخدم لفظة المنع باعتبار أن جواب إبليس تضمّن ذكر المانع له من السجود. وهذه اللفظات البلاغية تزيد من روعة البيان القرآني وبلاغته.

﴿فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْتَصِمَانِ عَلَيْهَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ
الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٢)

س ٣١٩ - ما هو الوجه في غرور ابليس ؟

ج - المقصود من الغرور هنا الخديعة، كما تقول غرني فلان أي خدعني.

س ٣٢٠ - ما هي العلاقة بين الأكل من الشجرة

وظهور السوءة؟

ج - السوءة كباقي أعضاء الجسم، وإنما اعتبرت سوءة وعورة بحيث يستحيي الإنسان من كشفها، باعتبارها محلاً لخروج الفضلات وكذلك كونها الأعضاء التناسلية، والذي يبدو من الروايات وغيرها أن هذه الشجرة تختلف بطبيعتها عن شجر الجنة، فلعل آدم وحواء بعد الأكل من تلك الثمرة أحسّا بتفعيل تلك الأعضاء، من خلال خروج فضلات ثمرة تلك الشجرة، فأصابها الحياء من كشفها، فسعى إلى التغطية من ورق الجنة، وعلى هذا الوجه يكون ظهور السوءة بمعنى الإحساس بأن هذه الأعضاء عورة ينبغي سترها بعد أن لم تكن كذلك قبل الأكل من الشجرة، فكانت طبيعة النظام التكويني في الجنة - قبل أكل الثمرة - حاجباً ومانعاً من تفعيل هذه الأعضاء، فأزاله إبليس باغوائه، فكانه رفع ذلك الحاجب وأبرز العورة. وذلك يؤكد أن الجنة ليست من جنان الأرض، وإنما لها عالم ونظام تكويني يختلف عما في الأرض.

وربما اقترن بأكل ثمرة تلك الشجرة تغيرات فسلجية لدى آدم وحواء أوجبت ظهور العورة - كما أشارت إلى ذلك بعض الروايات - وبذلك انعدمت

تلك الميزة التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾^(١).

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣٤).

س ٣٢١- إذا حلَّ الأجل فلا يعقل تقدّمه حتى
يصح نفيه بقوله: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾؟

ج- يبدو أن المقصود حلول الأجل بالمعنى العرفي لا حلوله بالدقة العقلية، كما تقول «حلّ وقت مجيئ الحجيج» إذا كان قريباً. وكأن المنظور في الآية الكريمة حتّ الأمم على تحمّل مسؤولياتها، قبل فوات الفرصة، لأن لكل أمة أمداً محدداً، فإذا قرب ذلك الأمد تفوت الفرصة على الأمة. لأن ذلك الأجل محدّد لا يقبل التقديم والتأخير.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (٣٧)

س ٣٢٢- ما هو نصيبهم من الكتاب؟

ج- هو العذاب الذي تضمّنه الكتاب، كما في قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿ قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأَعِيمْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٨)

س ٣٢٣- كيف ينسجم مضاعفة العذاب للأتباع مع قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١) وهم لم يسئوا سنة الضلالة كالمتبعين؟

ج- لعل المقصود من الضعف شدة العذاب ومضاعفته عما كان يخطر في بالهم، فإن ما يواجههم من العذاب فوق ما يتصورونه، لأن سادتهم كانوا يهونون عليهم العذاب الموعود ويستخفون به، كما كان بعض المشركين يستخف بعدد زبانية جهنم الذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٢).

ومن خلال ما ذكرناه يظهر أنه ليس المقصود من الآية مضاعفة العذاب الذي يستحقونه.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيَاهِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ (٤٦).

س ٣٢٤- من هم أصحاب الأعراف؟

ج- اختلف المفسرون في ذلك على أقوال:

(١) سورة الأنعام: ١٦٠.

(٢) سورة المدثر: ٣٠.

(منها) أنهم من استوت حسنتهم وسيئاتهم، يكونون في المنطقة الفاصلة بين الجنة والنار.

(ومنها) أنهم ذوا مقامات شامخة كالأنبياء والأئمة، وقيل الملائكة يكونون على الأعراف، وهو مرتفع يشرف على الجنة والنار، ويشهد لهذا الرأي مجموعة من النصوص^(١)، وكذلك اهتمام القرآن بهم، وطبيعة الخطاب المحكي عنهم ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيَاهِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٠﴾ أَهْلَ الَّذِينَ أَلْسِنَتُهُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

س ٣٢٥ - لماذا خصّ الماء بالذكر مع أن أهل النار فاقدون لكل شيء؟

ج - لأن أهم ما يطلبه الداخل في النار والمحترق فيها هو الماء.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ ﴿٥٣﴾﴾.

س ٣٢٦ - ما معنى انتظار تأويله؟

ج - التأويل هنا بمعنى مآل الوعد الإلهي وتطبيقه على الأرض الواقع.

(١) تراجع تفسير العياشي: ٢ / ٢١ - ٢٢ وغيره.

(٢) سورة الأعراف: ٤٨، ٤٩.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ﴾ (٥٤).

س ٣٢٧ - كيف نفترض وجود اليوم قبل خلق
السموات والأرض مع أنه متفرع على وجود
الأرض والشمس؟

ج - ذكر اللغويون أن من معاني اليوم الوقت، قال ابن منظور: «وقد
يراد باليوم الوقت مطلقاً»^(١).

وعلى هذا فيكون المعنى أن الله تعالى خلق السماوات والأرض
في ستة أوقات أي ست مراحل. وربما يكون المقصود من الأيام الستة
مقدارها. والله العالم.

س ٣٢٨ - ما معنى الاستواء على العرش؟

ج - ذكر العلماء أن العرش هو عالم التكوين، لأنه هو مساحة مُلك
الله تعالى الفعلي، فهو تعالى أحاط واستولى على عالم التكوين، كما ان استواء
المَلِك على العرش كناية عن سيطرته على مُلك بلده.

س ٣٢٩ - ما هو الفرق بين الخلق والأمر؟

ج - الخلق إيجاد الشيء من العدم، والأمر إدارة شؤونه، وكل ذلك
بيد الله تعالى فهو الخالق والمدبّر.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦)

س ٣٣٠- لماذا لم يتبع خبر ﴿إِنَّ﴾ اسمها في التانيث، فيقول: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبَةٌ) وليس: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ...﴾؟

ج - هذا جائز لعدة وجوه..

الأول: ان الوصف الذي يكون على وزن «فعليل» اذا وقع وصفاً او خبراً للمؤنث يجوز الحاق التاء به ويجوز عدم الحاقها^(١).

الثاني: ان المضاف قد يكتسب حكم المضاف إليه اذا صح الاستغناء عنه، فالرحمة تكتسب حكم التذكير من المضاف إليه «لفظ الجلالة» فيكون خبرها مذكراً^(٢).

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَغَصَبٌ أُنْجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (٧١)

س ٣٣١- ما هو الرجس الواقع عليهم من الله؟

ج - الرجس هنا بمعنى العذاب، فبعد أن أصرّوا على الكفر صار عذابهم محتوماً فكأنه قد وقع عليهم.

(١) يراجع شرح ابن عقيل على الألفية ٢ / ٤٣١.

(٢) يراجع شرح ابن عقيل على الألفية ٢ / ٥٠.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَيَّ تَأْمُرُونَ﴾ (١١٠).

س ٣٣٢ - ان موسى ﷺ دعاهم إلى عبادة الله،

فكيف اتهموه بأنه يريد أن يخرجهم من أرضهم؟

ج - يبدو أن الهدف من هذا الاتهام إثارة حفيظة العامة وتأليبهم على موسى ﷺ، لتصوير الخلاف بينه وبين فرعون مصلحياً للسيطرة على الحكم والملك لا عقائدياً، وبما أن فرعون من الأقباط وموسى من بني إسرائيل - الجماعة المسحوقة والمستضعفة - فمن الطبيعي أن يلتفت الأقباط حول فرعون وعبادته ويعارضوا دعوة موسى، لاصطدامها بمصلحتهم ومصيرهم. ومن ناحية أخرى يوفر هذا الاتهام ذريعة لفرعون للبطش بمن يؤمن بدعوة موسى ﷺ، باعتباره خائناً لوطنه ومواطنيه وقد أكد ذلك خطاب فرعون للسحرة - بعد أن آمنوا بالله تعالى - : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ أَمْثَمَّ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَّ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(١)، كما يفعل كل الطغاة حينها يوحون أن معارضتهم خيانة عظمى للأمة والوطن.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (١٣٨).

س ٣٣٣ - لماذا طلبوا أن يجعل لهم إلهاً

مع أنهم كانوا مؤمنين بالله، وإذا كانوا معجبين بفكرة تعدد الآلهة فكان المفروض أن يطلبوا أن يجعل لهم آلهة لا إلهاً واحداً؟

ج- إن هؤلاء لم يستوعبوا تجرد الإله عن المادة، فكانوا يطلبون إلهاً مادياً يشاهدونه، وقد بقيت هذه الأمنية في أنفسهم حتى أن أكابرهم وعلماءهم أبرزوها في مناجاتهم لله تعالى في الميقات فقالوا ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (١١).

والحقيقة أن هذه المشكلة لا تقتصر على بني اسرائيل، بل الأمم الأخرى أيضاً تعيش وهم الإله المادي الملموس، حتى ان اتباع الأديان التوحيدية لم يلبثوا طويلاً بعد رحيل أنبيائهم حتى انحرفوا، فتشوهت فكرة الإله عندهم.

ومن هنا نعرف عظمة الإسلام وأهمية جهود رموز الإسلام وبحوثهم، خاصة الدور المتميز لآل البيت عليهم السلام، ومن بعدهم تلامذتهم ورواد مدرستهم الذين تمكنوا من تثبيت فكرة التوحيد ناصعة لدى الأمة.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٤٣).

س ٣٣٤- كيف يطلب موسى عليه السلام رؤية الله تعالى مع أنه سبحانه منزّه عن الجسم والرؤية؟ ولماذا لم يعاقبه الله تعالى كما عاقب النخبة من بني اسرائيل

بالصاعقة عندما قالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(١)؟

ج - أولاً: هناك فرق بين عدم التجسيم واستحالة مطلق الرؤية، كما نلاحظ أن النائم يرى في منامه مشاهد غير مادية، - يطلق عليها الفلاسفة عالم المثال المتصل - ولا دليل على أن موسى عليه السلام طلب خصوص الرؤية المألوفة للأجسام، بل لعل هدفه مجرد زيادة الوضوح والتجلي، وهي تتحقق بأي نحو من أنحاء الرؤية، ولو من خلال عوالم أخرى غير مادية. والله العالم.

ثانياً: الفرق بين موسى عليه السلام وأولئك النخبة من بني اسرائيل ان موسى عليه السلام لم يربط إيمانه برؤية الله تعالى، بينما أولئك تعنتوا في طلبهم وعلقوا ايمانهم برؤيته تعالى فقالوا: ﴿... لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً...﴾^(٢). ولعله لذلك عاقبهم الله ولم يعاقب موسى عليه السلام.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَاخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٤٥).

س ٣٣٥ - ما هو الأحسن الذي أمر بنو اسرائيل
بالأخذ به؟

ج - ليس المقصود انتقاء بعض تعاليم التوراة دون غيرها، بل حيث كانت التوراة تتضمن الموعظة من خلال الإشارة إلى ممارسات وقصص الأمم السالفة الإيجابية منها والسلبية، فيفترض بيني اسرائيل الاعتبار بذلك من خلال الاقتداء بالمؤمنين وتجنب ممارسات الفاسقين، وهذا

(١) سورة النساء: ١٥٣.

(٢) سورة البقرة: ٥٥.

هو معنى الأحسن الذي أمروا بأخذه في مقابل النموذج السيء - الذي تعرضت له التوراة - الذي يفترض فيهم تحببه.

س ٣٣٦ - ما هي دار الفاسقين؟

ج - لعله إشارة إلى تمكينهم من دخول الأرض المقدسة حيث كان يحكمها العاقبة الكافرون بالله آنذاك، فُنُسِبَت إلى سكانها الفاسقين، والنسبة تصح لأدنى علاقة.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِثْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٥٠ - ١٥١).

س ٣٣٧ - أليس غضب موسى على أخيه بنافي

عصمته؟

ج - كلا، فإن من الطبيعي أن يسائل القائد نائبه عندما يجد انحرافاً لدى قومه في غيبته، ومن الطبيعي أن ينعكس غضبه من سلوك قومه على حالته النفسية عند مساءلة أخيه الذي حمّله مسؤولية رعايتهم في غيابه، ولم يصدر من موسى عليه السلام اعتداء أو تفسيق لأخيه حتى بنافي عصمته.

س ٣٣٨ - ألا يعني دعاؤه بالمغفرة له ولأخيه

صدور المعصية منها؟

ج- كلاً، لأن المغفرة هي الستر، وهي كما تتعلق بالمعصية تتعلق بغيرها من مواطن الضعف الإنساني التي يرغب الإنسان بسترها وتجاوزها، ومن الواضح هنا أن موسى وهارون لم يصدر منها ذنب في قضية عبادة العجل حتى يطلبها غفرانه، إذ موسى عليه السلام لم يكن حاضراً بينهم، وهارون استنفذ طاقته في ردعهم، لكنهم استضعفوه وكادوا يقتلونه.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنِي عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّماً...﴾ (١٦٠).

س ٣٣٩ - لماذا لم يذكر العدد ويأت بمعدود مفرد فيقول: «اثني عشر سبطاً»، وليس «اثني عشر عَشْرَةَ أَسْبَاطًا» كما هي القاعدة المعروفة في اللغة العربية؟

ج - المعدود - الذي يسميه النحاة التمييز - ليس هو «أسباطاً» كما قد يتوهم، بل المعدود محذوف وهو «فرقة»، وبها إن المعدود مؤنث، ألحق التاء مكررةً بالعدد «اثني عشرة»، لأن العدد - فوق العشرة - يؤنث إذا كان معدوداً مؤنثاً.

وأما «أسباطاً» فهي جمع «سبط» بمعنى «قبيلة» خاص في أحفاد اسحاق، قال ابن منظور: «قالوا: والصحيح أن الأسباط في ولد اسحاق بن ابراهيم بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل عليهم السلام، فولد كل ولد من وُلد اسماعيل قبيلة، وولد كل ولد من ولد اسحاق سبط. وإنما سمي هؤلاء بالأسباط وهؤلاء بالقبائل ليفصل بين وُلد اسماعيل وولد اسحاق..»^(١).

وعلى هذا الأساس تعرب «أسباط» بدلاً من «اثني عشرة» وليست تمييزاً حتى تكون بصيغة المفرد، والمعنى «وقطعناهم أسباطاً» للإشارة إلى

(١) لسان العرب ٧ / ٣١٠.

انّ هذا التقطيع الى اثنتي عشرة فرقة على اساس انتساب أفراد كل فرقة الى سبط خاص من أسباط اسحاق عليه السلام، وليس عشوائياً.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾.

س ٣٤٠ - كيف أخذ الله هؤلاء الذرية وكيف أشهدهم على أنفسهم؟

ج - هناك عدة آراء للعلماء والمفسرين، أهمها قولان:

القول الأول: ان الآية الكريمة أشارت إلى ما تضمنته النصوص المروية في العديد من المصادر الحديثية^(١) من الله تعالى أخرج ذرية آدم - في عالم الذر أو ما قبل النشأة الدنيوية -.

القول الثاني: ان مضمون الآية اشارة إلى خلق البشرية من الأصلاب وتكاملهم واقامة الحججة عليهم من خلال تزويدهم بالعقل القادر على ادراك الحقيقة ومعرفة ربهم.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١).

س ٣٤١ - من هذه الأمة الذين يحملون لواء الحق ويحكمون به؟

(١) مراجع الكافي: ٢ / ١٢ - ١٣ باب فطرة الخلق على التوحيد، وسنن الترمذي: ٥ / ٢٦٦ - ٢٦٧.

ج - ليس المقصود من الأمة عشيرة أو شعباً معيناً، بل الجماعة الذين تجمعهم العقيدة أو الموقف، وهم - في الآية - الدعاة إلى الله تعالى وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل وأوصياؤهم، كما قال تعالى ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ إشارة إلى الجماعة المؤمنة الرسالية من بني إسرائيل، فهم أمة في مقابل غيرهم.

س ٣٤٢ - كيف أشهد الله ذرية آدم على أنفسهم؟

ج - فسر ذلك بعض المفسرين بعالم الذر، وانه تعالى قد أقام الحجة على البشرية - ذرية آدم - قبل خلقهم الجسماني وأشهدهم على ذلك، واستدل هؤلاء بمجموعة من النصوص التي تتحدث عن ذلك العالم وتلك الشهادة فيه. بينما حمل آخرون الآية على الإشارة إلى طبيعة خلق الإنسان ومنحه العقل الذي يؤهله لتمييز الحق من الباطل ومعرفة ربه، وأنه يكون الحجة عليه رغم الظروف التي يعيشها بعض الناس في المجتمعات والأسر الكافرة، فانها لا تحجب عقولهم عن إدراك الحقيقة وقيام الحجة عليهم.

﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾ (١٨٧).

س ٣٤٣ - ما معنى ثقل الساعة في السموات

والأرض؟

ج - باعتبار ما يقترن بها من أحداث وأحوال تنعكس على السموات والأرض، كما تقول: «هذا اليوم عصيب»، باعتبار ما اقترن به من حوادث.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبِّهَا لَنْ يَأْتِيَنَا صَالِحًا لَنُكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾

س ٣٤٤ - من هذان الزوجان اللذان جعل الله شريكاً بعد أن أنعم عليهما بالولد؟

ج - قد لا تكون الآية مشيرة إلى شخصين معينين، وإنما هي إشارة إلى موقف كثير من الناس الذين يلحون على الله تعالى في حاجاتهم - مثل دعوة الوالدين بالولد الصالح - متعهدين آنذاك بشكره تعالى، ثم بعد أن يستجاب دعاؤهم ينكصون وينسون ربهم أو يحدونه، كما تحدثت آيات أخرى عن الذين يدعون ربهم عند الشدة ويشركون به بعد رفعها مثل قوله تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٩٤)

س ٣٤٥ - كيف جعل الذين يدعونهم عباداً مع أنها أصنام جامدة؟

ج - كأن المقصود من الـ ﴿عِبَادٌ﴾ معناها الاشتقاقي، لأن التعبد في اللغة

التذلل، يقال طريق معبّد أي مسلوّك مدلّل، فيكون في الآية إشارة إلى أنّ هذه الأصنام مخلوقة وذليّة لا تملك أمراً ولا نفعاً ولا ضرراً، فلا تستحق العبادة.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٩٩)

س ٣٤٦ - ما معنى العفو والعرف ؟

ج - قيل: العفو هو المتيسر والفاضل من نفقتهم، أي لا تثقل عليهم بالضريبة، وقيل: انه يشمل قبول عذرهم من دون محاسبة وتدقيق، والعرف هو المعروف.

سورة الأنفال

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١)

س ٣٤٧ - ما هي الأنفال؟

ج - ذكر الفقهاء الشيعة - تبعاً للنصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام - أن الأنفال كل ما يصطفيه النبي صلى الله عليه وسلم أو الإمام عليه السلام من الغنيمة، وكل أرض مُلكت بغير قتال، وكل أرض موات، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية، والغابات، وصفايا الملوك وقطائعهم - غير المغصوبة - وميراث من لا وارث له، وما غنمه المقاتلون بغير إذنه ^(١). بينما اختلف غيرهم من الفقهاء على عدة أقوال ^(٢). والأنفال في الأصل جمع نفل، وهي الزيادة.

س ٣٤٨ - ما علاقة الأمر بإصلاح ذات البين

بكون الأنفال لله والرسول؟

ج - يبدو أن منحة النبي صلى الله عليه وسلم أو وعده بزيادة حصة بعض المقاتلين في معركة بدر أثار حفيظة فئة أخرى حتى اختلف المسلمون فيما بينهم، فنزلت الآية لتؤكد أن ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يرتثيه

(١) تراجع وسائل الشيعة: ٦ / ٣٦٤ وما بعدها، أبواب الأنفال وما يختص بالإمام.

(٢) تراجع بداية المجتهد: ١ / ٤١٢ وما بعدها.

وتحتهم على إصلاح ذات بينهم. وفي الحديث عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال. فقال: فينا - معشر أصحاب بدر - نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فانتزع الله من أيدينا، وجعله إلى رسول الله ﷺ فقسّمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء، يقول: على السواء^(١).

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ (٥)

س ٣٤٩ - متى أخرج الله من بيته؟

ج - إشارة إلى خروج النبي ﷺ من المدينة إلى بدر بوحى من الله تعالى وتقديره، رغم تلوؤ بعض المسلمين عندما علموا بأنهم سوف يواجهون المشركين في معركة بدر.

﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ التُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (١١)

س ٣٥٠ - ما هو الارتباط بين التعاس وشعور المقاتل بالأمن؟

ج - حيث لم يكن كل المسلمين متهيئين للقتال في ذهابهم إلى بدر، لأن الكثير منهم تخيل أن الهدف هو السيطرة على القافلة التجارية لقريش، وعندما واجهوا - بعد ذلك - جيش المشركين الذي يفوقهم عدداً دب

(١) مستأحد: ٣٧٩/٥: حديث: ٢٢٨١٤.

فيهم الخوف والوجل فمنعهم من النوم والاستقرار، فغشاهم الله تعالى بالنعاس رحمةً بهم لتستقر نفوسهم ويزول وجلهم ويتهيأ القتال عدوهم.

س ٣٥١ - لماذا جعل سبب إنزال المطر عليهم تطهيرهم؟

ج - لأنهم كانوا بحاجة إلى التنظيف والاعتسال، لرفع جنابتهم وإزالة الأوساخ والغبار العالق بهم.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٧).

س ٣٥٢ - ألا يتضمن نفي الرمي وإثباته مناقضة؟
ولا أقل من تثبيت فكرة الجبر حتى كأن المسلمين لم يصدر منهم فعل؟

ج - كلاً، لا شك في صدور الفعل وبذل الجهد منهم، لكن حيث كان الله سبحانه هو الذي هيأ ظروف النصر وعوامله، وهو صاحب القضاء والتقدير فينسب الفعل والنتيجة إليه. وإن صحت نسبة الفعل كالرمي للمقاتل أيضاً. كما أوضحناه سابقاً.

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...﴾ (١٩).

س ٣٥٣ - كيف ينسب الفتح للمشركين مع أنهم لم يكسبوا سوى الهزيمة والخذلان؟

ج - يبدو أن الآية الكريمة في مقام التبكيت والرد على المشركين

حيث كانوا يطلبون الفتح، فردّهم بأن ما طلبتموه من الفتح قد ظهرت حقيقته لكم، وفي حديث أبي حمزة الثمالي: قال أبو جهل: اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث، فأبي الدينين كان أحب إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم^(١).

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٢٣).

س ٣٥٤ - إذا كان الإسراع بوجوب إعراضهم فكيف يُسمعهم؟

ج - الجملة الثانية تتحدث عن حالتهم الفعلية وهي عدم الفائدة والخير فيهم، وإسماعهم الأول - المتفني - افتراضي فيما لو علم الله تعالى فيهم خيراً، وهو غير متحقق بالفعل، فلا مناقضة بينهما.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢٥).

س ٣٥٥ - الأمم والأشخاص إنما يتقون الفتنة الإلهية بإيمانهم، أما إذا كان إيمان هؤلاء لا يقبهم منها فكيف يتقونها؟

ج - اتقاء الفتنة لا ينحصر بالإيمان، لأن المؤمن معرّض للفتنة والتمحيص أيضاً، فيتقونها بالإخلاص لله تعالى والبصيرة في دينه والصبر وتحمل ما يصيبه من البلاء ونحو ذلك، وقد يساهم الأمر بالمعروف

(١) يراجع تفسير القرآن لأبي حمزة الثمالي: ١٨٤.

والنهي عن المنكر في تجنب المجتمع الفتنه، لأنه يمنع من انتشار المنكر أو يقضي عليه، فيكون اتقاء الفتنه بتعميم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢٩).

س ٣٥٦ - ما هو الفرقان الذي يجعله الله للمتقين؟

ج - هو البصيرة التي تمكنتهم من تمييز الحق من الباطل، وتعصمهم من الفتن والانحراف.

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ * وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ... ﴾ (٣٣-٣٤).

س ٣٥٧ - أليس قوله: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ... ﴾ مناقضاً لمدلول الآية التي قبلها؟

ج - كلاً، لأن هذه الآية تذكر وجه استحقاقهم للعذاب الدنيوي، وتلك الآية ذكرت المانع من تعذيبهم، فما دام أحد المانعين متحققاً فلا عذاب، ومع انتفائها فيعذبون بسبب أعمالهم.

س ٣٥٨ - كيف ينسب لأهل مكة الصدّ عن المسجد الحرام، ولم يعرف عنهم ذلك؟

ج - باعتبار أنهم كانوا يصدّون المسلمين عنه، وعن عبادتهم لله وإقامة طقوسهم وشعائرهم فيه.

﴿فَإِمَّا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مِّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ
يَذَكَّرُونَ﴾ (٥٧).

س ٣٥٩ - كيف يكون تشريد من خلفهم؟

ج - من خلال التنكيل بأوثاك الناقضين للعهد يخشى غيرهم من
نقض العهد، فينتابهم التفرق والارتباك والاضطراب، وهو التشريد.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٨).

س ٣٦٠ - مجرد الخوف من الخيانة لا يسوغ

نقض العهد؟

ج - الآية الكريمة لم تسوغ الخيانة بمجرد ذلك، بل حيث كان العهد
اتفاقاً بين الطرفين فدوامه رهين بكليهما، وعندما تلوح شواهد الخيانة من
طرف فمن حق الطرف الآخر إعلام خصمه بايقاف العمل بالاتفاق
والعهد، وهو معنى: ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي ألق اليهم العهد وأبلغهم
بتجميده، فيعرف الطرفان ذلك، كي لا يعتبر خيانة للطرف الآخر. فنلاحظ
من خلال الأمر بالنبذ ابلاغ الخصوم بتجميد العهد رفضها للخيانة.

﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ
مِنٌّ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ..﴾ (٦٦).

س ٣٦١ - كيف ينسب العلم لله الآن وهو يستلزم

جهله سبحانه من قبل؟

ج - هناك وجهان للجواب:

الوجه الأول: ان لفظة ﴿الآن﴾ من ضمن الجملة الأولى ظرف متعلق بـ ﴿حَقَّفَ﴾ فهو زمان التخفيف وهو التشريع الذي تضمنته الآية بجهاد المسلمين لمن يضاعفهم عدداً لا أكثر، وليس ﴿الآن﴾ زماناً للعلم الإلهي الذي هو سابق على التشريع المذكور.

الوجه الثاني: ان هناك علمين بالحوادث:

الأول: هو العلم بأن الحادث سوف يحدث، وكذلك أوصافه وخصوصياته كوقت ومكان حدوثه، ومثل هذا العلم يمكن سبقه على حدوث الحادث، وهو ثابت لله قبل حدوث الحوادث.

الثاني: هو العلم بالحدوث الفعلي للحادث، وهذا العلم يقترن زماناً بالحدوث ويتأخر - رتبة -، ولا يعقل تقدمه على حدوث الحادث، لأنه ما دام لا يوجد حدوث فعلي للحادث لا معنى للعلم بحدوثه الفعلي. فالعلم المذكور في الآية هو العلم الإلهي الثاني بضعفهم، والذي استتبعه التخفيف عنهم، ولا ينافي ذلك ثبوت العلم الإلهي الأول بضعفهم من قبل.

ومما لا بد أن نشير إليه أن علم الباري تعالى ليس حصولياً، وإنما هو حضور الأشياء لديه. وتفصيل الكلام حول ذلك في البحوث الفلسفية.

﴿... وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَايَتِهِم مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٧٢).

س ٣٦٢ - إذا كانت النصره في الدين فتجب حتى

إذا كان الخصوم كفاراً معاهدين فلماذا استثناهم؟

ج - كلاً، فإن ذلك يتبع طبيعة العهد والميثاق بين المسلمين والطرف الآخر، فقد لا يدخل ذلك ضمن بنود العهد، كما حدث نظيره في صلح الحديبية - تبعاً لمصالح انكشف سرّها فيما بعد - حيث التزم النبي ﷺ بارجاع من يُسلم من قريش ولم يتعهد القريشيون بارجاع من يرتد من المسلمين عن دينه.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (٧٣).

س ٣٦٣ - ما هو وجه الارتباط بين ولاية الكافرين

لبعضهم وفعل المؤمنين المانع من الفتنة والفساد؟

ج - النصف الثاني من الآية يرتبط بالآية السابقة^(١) على هذه الآية لا بولاية الكافرين المذكورة في هذه الآية، والمعنى أن المؤمنين إذا لم ينصروا إخوانهم في الدين - وهو ما تضمنت الآية السابقة الأمر به - تكن فتنة وفساد كبير.

(١) وهي قوله تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٢).

سورة التوبة

س ٣٦٤ - لماذا لم تبدأ السورة بالبسملة كما في بقية السور؟

ج - روي عن الإمام علي عليه السلام أنه لم ينزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ على رأس سورة براءة، لأنَّ بسم الله للأمان والرحمة، ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف^(١).

﴿بِرَّاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١).

س ٣٦٥ - ما هو المبرر لنقض العهد، خاصة مع تأكيد الإسلام على حفظ المعايير الأخلاقية؟

ج - العهد اتفاق بين الطرفين، يرتبط اعتباره بكلا الطرفين. وإنهاء العهد من جانب المسلمين - بمقتضى هذه الآيات - شمل طائفتين فقط: الطائفة الأولى: الذين لم يلتزموا ببند العهد.

والطائفة الثانية: الذين كان أمانهم وعهدهم غير محدد بفترة محددة، وإنما كان تابعاً لرغبة الطرفين حيث امتنع النبي صلوات الله عليه من تجديد ذلك الأمان وأعطيت لهم فسحة مدّة أربعة أشهر يتنقلون فيها ويعودون إلى

(١) تراجع مجمع البيان: ٤ / ٥.

مأمنهم، كي لا يكون رفع عهدهم غدراً بهم.

ولعلَّ الحكمة من إنهاء العهد مع هذه الطائفة أن دأب القبائل والمجتمعات آنذاك على اغتنام الفرص للكيد والغدر بالآخرين، فمن الطبيعي أن يكون موقف المشركين تجاه الإسلام والمسلمين كذلك، خاصة أن المسلمين قد تنكروا لأهنتهم ودينهم، نظراً لهذه المشاعر والمواقف العدائية المتريصة أصبح وجود المشركين وتردادهم على بلاد المسلمين يشكل ثغرة أمنية ومحدوراً لا يمكن التغاضي عنه، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى - فيما بعد - ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَاذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاحِهِمْ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾^(١) وأكدّه سلوك القبائل العربية وغدرهم المتكرر بالنبي ﷺ وأصحابه.

أما الطائفة الثالثة، وهم الذين التزموا ببنود عهدهم وكان عهدهم ممتداً لفترة محددة فلم ينقض عهدهم، كما أوضح ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٢).

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ...﴾ (٣).

س ٣٦٦ - ما هو الهدف من تكرار البراءة؟

ج - هذا ليس مجرد براءة، وإنما هو أذان وإعلام عام لتلك البراءة في موسم الحج حيث يجتمع الحجاج من كل البقاع، ليصل ذلك إلى الجميع

(١) سورة التوبة: ٨.

(٢) سورة التوبة: ٤.

ولا يبقى لأحدٍ عذر، وقد أمر النبي ﷺ الإمام علياً عليه السلام بإبلاغ ذلك بدلاً من أبي بكر الذي كان قد كلفه من قبل، فقال ﷺ: «لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي، فبعث علياً»^(١).

وفي الحديث عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «خطب علي عليه السلام الناس، واخترط سيفه فقال: لا يطوفنَّ بالبيت عريان ولا يحجَّنَّ البيت مشرك، ومن كانت له مُدَّة فهو إلى مُدَّته، ومن لم يكن له مُدَّة فمدَّته أربعة أشهر...»^(٢). والمقصود من المُدَّة هي مُدَّة الأمان التي أُعطيت سابقاً لبعض المشركين.

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ...﴾ (٥).

س ٣٦٧- ما هي الأشهر الحرم المذكورة هنا؟

ج- الظاهر أن المقصود الأشهر الأربعة التي تلت البراءة المذكورة أو اعلانها، وهي الفترة التي حرم خلالها قتال مشركي مكة آنذاك، وليس المقصود الأشهر الحرم المعروفة في السنة وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم، لأنها غير متعاقبة، والنداء كان في شهر ذي الحجة.

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩).

س ٣٦٨- هؤلاء كانوا بصرحون بكفرهم

(١) الطرائف: ابن طاووس: ص: ٣٨ ح ٢٨، تراجع مسند أحمد: ٣/١.

(٢) تراجع مجمع البيان: ٥/٦ و٧.

بالإسلام فكيف يقول عنهم ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؟

ج - باعتبار أنّ عقولهم تدعن بالحقيقة، إلا أنّ مصالحهم تصطدم
بانتمائهم إلى الإسلام فجحدوا بها، وتظاهروا بالكفر أمام أتباعهم رعاية
لتلك المصالح الدنيوية الزائلة.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ...﴾ (٣١).

س ٣٦٩ - كيف ولم يعرف عن اليهود
والنصارى ذلك؟

ج - روى الثعلبي بإسناده عن عدي بن حاتم قال: أتيت رسول
الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب. فقال لي: يا عدي اطرح هذا
الوثن من عنقك. قال: فطرحته، ثم انتهيت إليه وهو يقرأ من سورة
البراءة هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا...﴾ حتى فرغ منها.
فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. فقال: أليس يُحَرِّمون ما أحلَّ الله فتحرَّمونه،
ويُحَلِّون ما حرَّم الله فتستحلُّونه؟ قال: فقلت: بلى، قال: فتلک عبادتهم^(١).
ونظيره ما رواه أبو بصير المرادي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:
قلت له: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ...﴾ فقال: أما
والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا
لهم حراماً وحرَّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لا يشعرون^(٢).

(١) مجمع البيان: ٣٧ / ٥.

(٢) وسائل الشيعة: ٨٩ / ١٨.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
 يُجِلُّونَهُ عَامًا وَيُجَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاظِبُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا
 مَا حَرَّمَ اللَّهُ...﴾ (٣٧).

س ٣٧٠- كيف صار النسيء زيادة في الكفر؟

ج- باعتبار أنه تلاعب بالأشهر الحرم التي حرّمها الله تعالى، فكانوا
 ينقلون - بزعمهم - حرمة أحد الأشهر الحرم إلى شهر آخر، مخالفين بذلك
 حكم الله عزّ وجل بتخصيص الحرم بأشهر محدّدة.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذِنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي...﴾ (٤٩).

س ٣٧١- ما هي الفتنة التي طلب هذا القائل من
 النبي ﷺ أن لا يوقعه فيها؟

ج- روي ان الجّد بن قيس اعتذر من المشاركة في غزوة تبوك وطلب
 من النبي ﷺ الأذن له بعدم المشاركة، بحجة أنه يفتن بالنساء
 الروميات - في تبوك - وأنه لا يأمن من وقوعه في فتنتهن، قائلاً: إني أخشى
 إن رأيت نساء بني الأصفر - أي الروميات - أن لا أصبر عنهن، فأعرض
 عنه رسول الله ﷺ، وقال: قد أذنت لك، فنزلت هذه الآية فيه^(١).

(١) تراجع تاريخ الأمم والملوك: ٣٦٧/٢.

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتِ
قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٠).

س ٣٧٢ - لماذا كانت التعدية إلى الأصناف

الأربعة الأولى باللام وإلى الأربعة الأخيرة بـ(في)؟

ج - لعله باعتبار أن الأصناف الأربعة الأولى يستحقون الصدقة
بأشخاصهم، بينما الأصناف الأربعة الأخيرة يُعطون لتصرف في هذه
العناوين، فهي لا تعطى لهم ليصرفوها فيما يشاؤون، وإنما تصرف في عتق
الرقبة، ووفاء دين الغريم، وفي الجهاد وبأقبي مصالح المسلمين، ولإيصال
ابن السبيل إلى بلده وحل مشكلته. ولذلك كانت التعدية بـ «في».

﴿ ... قُلْ أَدُنُّ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ
لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ... ﴾ (٦١).

س ٣٧٣ - لماذا عدى الفعل الأول ﴿يُؤْمِنُ﴾

بالباء وعدى الثاني باللام؟

ج - لأن الأول بمعنى الإيمان، والثاني مضمَّن معنى التصديق
والاستماع لهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (١).

﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ (٦٢).

س ٣٧٤ - لماذا لم يثن الضمير العائد على الاثنين

فيقول: والله ورسوله أحق أن يرضوهما، وليس
«يرضوه»؟

ج - ليس ضمير المفرد هنا عائداً على المثني، وإنما هو عائداً على
أحدهما، وخبر الآخر محذوف لوجود القرينة عليه مثل قول الشاعر:
نحن بها عندنا وأنت بها عندك راض والرأي مختلف
أي نحن بها عندنا راضون.

ولعلّ النكتة البلاغية التي رجحت حذف الخبر في الآية الكريمة
الإشارة إلى أنّ ما يرضي الله هو نفس ما يرضي رسوله وكذلك العكس،
فإرضاء أحدهما إرضاء للآخر.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُبَيِّنُ لَهُمْ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ...﴾ (٦٤).

س ٣٧٥ - لماذا لم يقل «تُنزَلُ فِيهِمْ» إذ السورة تنزل
على النبي ﷺ لا عليهم؟

ج - لعلّه للإشارة إلى أن ما ينزل مكروه وثقيل عليهم، باعتبارهم
المعنيين بها. فناسب التعدية بـ «على».

وقيل إن «على» هنا بمعنى «في» كما في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ
سُلَيْمَانَ﴾^(١) وقولهم: «كان ذلك على عهد فلان..»^(٢) أي في عهده.

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) أسئلة القرآن الكريم وأجوبتها: الرازي: ١١٨.

﴿... وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ (٧٤).

س ٣٧٦ - كيف ينقمون ذلك، والغنى نعمة

يرغب فيها الإنسان؟

ج - إنه في مقام التعريض والذم لهم، لأنهم لم يشكروا نعمة الله ولم يعرفوا صلاحهم. وأنهم نقموا بدلاً من شكر الله ورسوله.

س ٣٧٧ - لماذا لم يقل: «من فضلها» ليرجع

الضمير إلى الله ورسوله؟

ج - لأن الغنى والنعم من فضل الله تعالى على من يشاء من خلقه.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً

فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ...﴾ (٨٠).

س ٣٧٨ - ما هي خصوصية عدد السبعين؟

ج - الظاهر أنه كناية عن الكثرة لا خصوصية العدد، وقيل: إن

العرب تبالغ بالسبعة، والسبعين، ولهذا قيل للأسد: «السبع»، لأنهم تأولوا فيه لقوته أنها ضوعفت له سبع مرات^(١).

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ

كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨٤).

س ٣٧٩ - كيف يعتبرهم من الكافرين مع أن

التخلف عن الجهاد لا يوجب الكفر؟

(١) مجمع البيان: ٥ / ٨٤.

ج- هذه الآيات تتحدث عن المنافقين الذين هم يضمرون الكفر، حيث كان النبي ﷺ يعاملهم بالتسامح والحسنى فيصلي على من مات منهم، وقد ورد أن النبي ﷺ امتنع عن الصلاة على المنافقين بعد نزول هذه الآية.

﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُتْرَضُوا عَنْهُمْ
فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ...﴾ (٩٥).

س ٣٨٠ - كيف يمكن أن يكون هدفهم من الحلف أن يُعرض النبي ﷺ والمسلمون عنهم مع أنهم كانوا يرومون إرضاءهم؟

ج - المقصود إعراض النبي ﷺ والمسلمين وغيض النظر عن تخلفهم عن الجهاد، لا أنهم يطلبون الإعراض عنهم ومقاطعتهم، لكن الله تعالى أمر المسلمين بالإعراض عنهم وعدم قبول عذرهم.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا
أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٩٧).

س ٣٨١ - من هم الأعراب، ولماذا وصفهم بذلك؟

ج - هم أهل البادية، واستحقوا هذا الوصف لبعدهم عن المدينة، وغلظتهم وتوغلهم في الجهل.

س ٣٨٢ - كيف وصف الأعراب بأنهم أشد كُفْرًا ونفاقاً مع أنه قال - بعد ذلك - ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾؟

ج - تشير الآية الأولى إلى خصوص غير المؤمنين منهم باعتبار أن حياتهم ابتنت على الغدر والنهب والسلب والجهالة، ويبدو أنهم كانوا أكثر عدداً ممن آمن منهم آنذاك. لذلك استعمل لفظ العام في الآية الأولى، وخصص بالمؤمنين في الآية الثانية.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٠٠).

س ٣٨٣ - هل يعني رضا الله عن السابقين صك الغفران الدائم لهم؟

ج - كلاً، بل هو رضي عنهم باعتبار مواقفهم آنذاك كسبقهم وهجرتهم وجهادهم، دون ما إذا أحدثوا بعد ذلك، وقد أشارت النصوص الكثيرة إلى ذلك، ففي حديث مالك بن أنس عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله: أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: «هؤلاء أشهد عليهم» فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم؟ أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله ﷺ: «بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي» فبكى أبو بكر، ثم بكى، ثم قال: أئنا لكاثنون بعدي^(١). وهناك شواهد كثيرة على ذلك ليس هذا مجال استعراضها^(٢)؟

(١) الموطأ: ٢٨٧، حديث ١٠٠٤.

(٢) يراجع في رحاب العقيدة: ٢: ٢٥.

﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا
عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى
عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠١).

س ٣٨٤ - كيف يعذبهم مرتين؟

ج - لعله اشارة إلى عذابهم حين الموت، كما أشار إليه قوله
تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَذْبَارَهُمْ...﴾^(١). وعذابهم في القبر، حيث ورد في النصوص أن قبر الكافر
حفرة من حفر جهنم^(٢).

(١) سورة الأنفال: ٥٠.

(٢) نهج السعادة: ٣/١٢١.

سورة يونس

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأٰخِرُ
دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠).

س ٣٨٥- لماذا يقتصر دعاؤهم وذكرهم على
التسبيح؟

ج- لأن في الجنة كل ما يشتهون ويريدون، فلا يبقى شيء لا ينالونه،
فيكون دأبهم تسبيح الله تعالى وتنزيهه وتعظيمه. أو لأنهم ينهرون بآيات
الله وعجائبه خلقه فينشغلون بتسبيحه وتمجيده.

س ٣٨٦- لماذا يكون الحمد آخر دَعْوَاهُمْ؟

ج- بإزاء كل نعمة ونعيم ينالونه بحمدون الله تعالى بعد أن ينعموا
بها. فهم يسبحون الله بإزاء ما يرون من عجائب الجنة وإبداعها، ويحمدونه
بعد ذلك كلها تنعموا بنعيمها.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمْرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦).

س ٣٨٧- كيف يكون مكث النبي ﷺ بينهم

قبل البعثة دليلاً على نزول القرآن عليه من الله وأنه
ليس من إنشائه؟

ج - باعتبار أنّ القرآن - بما فيه من إعجاز بلاغي ومضموني - لو
كان من إنشائه لظهرت آثار هذا النبوغ الخارق منذ بدايات شبابه، كما هي
العادة في البلغاء وأصحاب المواهب، ولما تأخر ذلك بعد عمر طويل قضاء
بينهم، ليظهر فجأة في سن الأربعين. وهذا من الأدلة القرآنية على أنّ القرآن
كتاب سماوي نزل من الله تعالى وليس من إنشاء النبي ﷺ.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ
هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ...﴾ (١٨).

س ٣٨٨ - إذا كانت الأصنام مجرد شفعاء عند الله
فكان المفروض أن يعبدوا الله تعالى ولا أقل من
أن يشركوه في العبادة، بدلاً من عبادتهم الأصنام
من دون الله؟

ج - العبادة هي الخضوع التام لمن يفترض أن يكون مدبر الكون،
وقد تخيلوا أن الله تعالى فوض الأمر والتدبير والشفاعة للأصنام، فكانوا
يخضعون لها ويعبدونها لتدبر أمرهم ولتشفع لهم عنده.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٩).

س ٣٨٩ - ما هي الكلمة التي منعت من القضاء
العاجل بين الأمم في الدنيا؟

ج - الظاهر أنها التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(١).

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ * هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ (٢٨ - ٣٠).

س ٣٩٠ - من هم شركاؤهم، وكيف نفوا عبادتهم عنهم، مع أن عبادتهم لشركائهم ثابتة ولا شك فيها؟

ج - لعل المقصود نفي الشركاء تحمّلهم لمسؤولية عبادتهم، لأن الموقف موقف حساب ومحاسبة فيكون حرص الشركاء على نفي مسؤولياتهم عن ذلك، هذا إذا كان الشركاء المعبودون وجودات عاقلة، وإذا كان المقصود الأصنام المعبودة، فيراد من النفي - نفي العلم - الغفلة لفقدها الحياة والوعي في الحياة الدنيا.

ويشهد لذلك قوله تعالى فيما بعد - حكاية عن هؤلاء الشركاء - :
﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ﴾^(٢).

س ٣٩١ - كيف تبلو كل نفس ما أسلفت؟

ج - حيث تختبر وتعرف نتيجة أعمالها ومواقفها في الحياة الدنيا وتشاهد جزاءها.

(١) سورة البقرة: ٣٦.

(٢) سورة يونس: ٢٩.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ
يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فذلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ
فَإِذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

س ٣٩٢- إذا كانوا يعترفون بأن الله تعالى هو الخالق
والرازق والمدبر فكيف كانوا يعبدون الأصنام؟

ج- كانوا يدركون بعقولهم أن الأصنام أعجز من أن تصدر منها هذه
الأمور، وإنما عبدوها لتخيلهم أنها وسيطة بين الله وخلقها، كما قال تعالى
- حكاية عنهم -: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(١). فحاجتهم
سبحانه أنه إذا اعترفتم أن الخالق والرازق والمدبر هو الله فكيف تكون العبادة
لغيره؟ خاصة أن هذا المقام والمكانة للأصنام ابتدعوها هم أنفسهم، من
دون أن يكون بأمر الله وبإذنه - وإن كان تعالى لا يأذن به على كل حال -

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا
لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٢).

س ٣٩٣- إن استماعهم للرسول صلى الله عليه وسلم دليل
رشدهم وانصافهم فكيف وصفهم بأنهم صم
لا يعقلون؟

ج- لأن استماعهم لم يكن طلباً للحقيقة، بل لأغراض أخرى، كالذين
كانوا يستمعون للقرآن ليكيلوا له التهم المختلفة كالسحر والشعر ونحوهما.

وربما يكون استماعهم لمجرد حب الاستطلاع من دون عزم على معرفة الحق وتحمل المسؤولية.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ...﴾ (٤٥).

س ٣٩٤ - لماذا شبه لبثهم في الحياة الدنيا بساعة من النهار؟

ج - لأن الليل وقت الركود والسكون بينما النهار وقت النشاط والحركة، في إشارة إلى صخب الحياة الدنيا والحركة والتنافس فيها، فكانت بمثابة ساعة من النهار.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٥).

س ٣٩٥ - ما معنى كونهم فتنة للظالمين؟

ج - روي عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر (الباقر) وأبي عبد الله (الصادق) **عليهما السلام**... قال: (لا تسلطهم علينا ففتنهم بنا) (١).

أي يظلموننا فنكون سبباً لفتنتهم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٧).

س ٣٩٦ - كيف يجعلون بيوتهم قبة؟

ج - أي يجعلونها محلاً لعبادتهم يتكتمون بها عن فرعون وأعدائه الذي يمنعهم من اتخاذ بيوت للعبادة والتظاهر بها.

(١) تفسير العياشي: ٢ / ١٣٥.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوْا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٨٨).

س ٣٩٧ - كيف يجعل الإضلال هدفاً للنعمة مع أن الله تعالى يُنعم على الناس ليؤدوا حقها ويشكروه؟

ج - هذه اللام ليست لام التعليل، وإنما هي لام العاقبة - كما يسميها النحاة - والتي تدخل على نتيجة ومآل الفعل من دون أن تكون هي العلة والهدف منه، كما في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(١) مع أنهم إنما التقطوه ليكون لهم ولداً وقرّة عين.

﴿قَالِيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (٩٢).

س ٣٩٨ - هل هناك شواهد على سلامة بدن الفرعون
الفرعون ليكون آية لمن خلفه من الأجيال؟

ج - قال الدكتور «موريس بوكاي»^(٢) - بعد أن أجرى دراسة على

(١) سورة القصص: ٨.

(٢) الدكتور «موريس بوكاي» رئيس الجراحين والمسؤول الأول عن دراسة مومياء الفرعون منتاح بن رمسيس الثاني. يقال أنه اعتنق الإسلام بعد اطلاعه على إخبار القرآن الكريم من خلال الآية الكريمة فوق على سلامة بدن الفرعون، وألف كتاب «القرآن والتوراة والإنجيل والعلم» تضمن دلائل على تطابق الحقائق العلمية المكتشفة حديثاً مع القرآن الكريم. بالإضافة إلى كتب أخرى متخصصة. يراجع جريدة المشاركة البغدادية: العدد التاسع: ٢٣ / آذار ٢٠٠٤ م الموافق ٢ صفر ١٤٢٥ هـ، الصفحة: ٨ (المؤلف).

موميااء الفرعون منتاح بن رمسيس الثاني - المكتشفة في عام ١٨٩٨ م في مصر عام ١٩٧٥ م وأشار الى دراسات واختبارات علمية متخصصة لفريق من الباحثين :-

«... فهذا الفرعون قد مات إما غريقاً على حسب روايات الكتب المقدسة، وإما بسبب رضوض عنيفة جداً سبقت ابتلاع البحر له أو ربما للسبين معاً... وسيكون من شأن هذه الإجراءات «يقصد الاختبارات والدراسات العلمية» أنها ستجيبنا فقدان الشاهد المادي الوحيد الباقي حتى يومنا... الشاهد على موت فرعون الخروج وعلى النجاة التي أرادها الله لجسده. وأنه لما يرجى دائماً أن يعمل الإنسان على الاحتفاظ بشواهد على تاريخه، ولكن المعنى به هنا هو شيء أكبر من هذا، إنها شهادة مادية في جسد محتفظ على من عرف موسى وعارض طلباته وطارده في هروبه ومات في أثناء هذه المطاردة. وأنقذ الله جثته من الهلاك التام ليصبح آية للناس كما هو مكتوب في القرآن.

إنه بيان رائع لآيات القرآن، ذلك الذي يخصّ بدن فرعون والذي تهبه قاعة المومياات الملكية بدار الآثار بالقاهرة لكل من يبحث في معطيات المكتشفات الحديثة على أدلة على صحة الكتب المقدسة»^(١).

ومضى الدكتور موريس بوكاي قائلاً:

وكما اثبتنا، يكتشف القارئ فيه «يقصد القرآن» مقولات ذات طابع علمي من المستحيل تصوّر أن إنساناً في عصر محمد ﷺ قد استطاع أن يؤلفها. وعلى هذا، فالمعارف العلمية الحديثة تسمح بفهم بعض الآيات القرآنية التي كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن.

(١) كتاب: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: ٢٧١.

إن مقارنة عديد من روايات التوراة مع روايات نفس الموضوعات في القرآن تبرز الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علمياً وبين مقولات القرآن التي تتوافق تماماً مع المعطيات الحديثة، ولقد رأينا دليلاً على هذا من خلال روايتي الخلق والطوفان. وعلى حين نجد في نص القرآن بالنسبة لتاريخ خروج موسى معلومة ثمينة تضاف الى رواية التوراة وتجعل مجموع الروايتين يتفق تماماً مع معطيات علم الآثار بما يسمح بتحديد عصر موسى، نجد فيها يتعلق بموضوعات أخرى فروقاً شديدة الأهمية تدحض كل ما قبل إدعاء - ودون أدنى دليل - عن نقل محمد ﷺ للتوراة حتى يعد نص القرآن.

... لذا فمن المشروع تماماً أن يُنظر الى القرآن على أنه تعبير الوحي من الله، وأن تُعطى له مكانة خاصة جداً، حيث إن صحته أمر لا يمكن الشك فيه، وحيث إن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة في عصرنا تبدو كأنها تتحدى أي تفسير وضعي، عقيمة حقاً المحاولات التي تسعى لإيجاد تفسير للقرآن بالاعتماد فقط على الاعتبارات المادية^(١).

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُتَرَدِّينَ﴾ (٩٤).

س ٣٩٩ - هل تعني هذه الآية أن هناك شكاً

انتاب الرسول ﷺ ؟

ج - كلاً، فإن النبي ﷺ عُرف عنه قوة البصيرة ووضوح الرؤية

منذ بدايات رسالته، كما تُنبئ عن ذلك كلمته الخالدة لعمه أبي طالب - في مواجهة عروض قريش وضغوطهم -: يا عماء لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك ما تركته^(١). وكذلك موقفه ﷺ الحازمة وتضحياته تؤكد تلك البصيرة في نفسه، وأما خطابه والتحذير الموجه له ﷺ في القرآن فهو أسلوب قرآني لتثبيت تلك الحقائق العقائدية وغيرها في نفوس الأمة، ولتحذير غيره من الانحراف أو التشكيك فيها، ولذلك نجد نفس هذا الأسلوب في الحالات التي عُرف عن النبي ﷺ موقفه الحازم منها كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) فإن موقفه ﷺ من عبادة الأوثان ورفضه لها واضح حتى قبل البعثة، فلا بد أن يكون المقصود الحقيقي من هذا الخطاب ونحوه غيره ﷺ على طريقة: «إياك أعني واسمعي يا جاره».

وفي الحديث: «عن محمد بن سعيد الأزدي أن موسى بن محمد بن الرضا عليه السلام أخبره أن يحيى بن أكثم كتب إليه يسأله عن مسائل، أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب فيها النبي ﷺ ليس قد شك فيما أنزل الله، وإن كان المخاطب به غيره فعلى غيره إذا أنزل الكتاب؟ قال موسى: فسألت أخي - يعني الإمام علي الهادي عليه السلام - عن ذلك، قال: فأما قوله: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فإن

(١) تاريخ الامم والملوك للطبري: ٦٧ / ٢.

(٢) سورة يونس: ١٠٥ - ١٠٦.

المخاطب بذاك رسول الله ﷺ ولم يك في شك مما أنزل الله، ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث إلينا نبياً من الملائكة، إنه لم يفرق بينه وبين نبيه في الاستغناء في المأكل والمشرب والمشي في الأسواق، فأوحى الله إلى نبيه ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَتْلُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ بمحضر الجهلة، هل بعث الله رسولا قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويشرب ويمشي في الأسواق ولك بهم أسوة، وإنما قال: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ﴾ ولم يكن، ولكن يتبعهم كما قال له ﷺ: ﴿... فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا يجيئون للمباهلة، وقد عرف أن نبيكم مؤدّ عنه رسالته، وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي عليه وآله السلام أنه صادق فيما يقول: ولكن أحب أن ينصف من نفسه^(١).

وعن ابن عباس: «لا والله، ما شك طرفه عين، ولا سأل أحدا منهم»^(٢).

(١) تفسير العياشي: ١٣٦/٢.

(٢) الكشاف: ٣٧٠/٢.

سورة هود

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ

خَبِيرٍ﴾ (١).

س ٤٠٠ - ما معنى إحكام آياته، ولماذا عطف

التفصيل عليه؟

ج - ذكر المفسرون عدة آراء في ذلك، لكن الذي نرجحه - والله العالم - أن الإحكام يرتبط بمضمون الآيات القرآنية، وأنه المنهج المستقيم والحقائق الثابتة المحكمة المنزهة عن الباطل، بعكس المناهج الجوفاء للمبادئ المنحرفة الفاقدة للأساس المحكم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * ... تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ...﴾ (١).

وأما التفصيل فهو في مرحلة التعبير عن تلك المضامين المحكمة وبيانها وهي مرحلة متأخرة عنها، فكان من الطبيعي - على هذا التوجيه - عطف التفصيل على الإحكام.

(١) سورة إبراهيم: ٢٤ - ٢٧.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا...﴾ (٣).

س ٤٠١ - لماذا أُخِرَ الأمرُ بالتوبة مع أن الاستغفار مكمل لها وليس سابقاً عليها؟

ج - إذا تعلقت التوبة بالذنب كقولك: «تبت من ذنبي» فهي قبل الاستغفار، وتعني الندم على الذنب، أما التوبة إلى الله فهي الرجوع والإنابة إليه، ومحلها بعد الاستغفار، حيث يتهج العبد طريق الاستقامة فيما يستقبل من حياته.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِبُهُ...﴾ (٨).

س ٤٠٢ - ما معنى تأخير العذاب إلى أمة؟

ج - الأمة هنا بمعنى الفترة، وهو إحدى معاني «الأمة» في اللغة.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٢).

س ٤٠٣ - هل يعني ذلك أن النبي ﷺ كان

يهم بترك تبليغ بعض الآيات؟

ج - كلاً، بل حيث إن الترجي وكل شك وتردد مستحيل في حق الله تعالى، فتحمل ألفاظها - مثل «العل» في الآية - على قصد معانٍ أخرى مثل الإرشاد والتذكير بعظم المسؤولية وتقوية عزيمة الرسول ﷺ ونحو ذلك.

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٤).

س ٤٠٤ - إذا كان الله يريد إغواءهم فكيف يعاقبهم على ذلك؟

ج - ليس المقصود جبرهم على ذلك، لأنه تعالى لا يجبر عباده على الغواية ولا على الهداية، وإنما ذلك يرجع إلى اختيار الإنسان نفسه، وطبيعة تفاعله مع آيات الله وحججه، فمن يعيها ويبصرها بموضوعية يهتدي بها، ومن يقابلها بالجحود والصدّ تصير سبباً لغيته وضلاله، وإنما يُنسب ذلك إلى الله تعالى باعتبار أنه هو الذي يُنزل تلك الآيات، وهو الذي تجري الأمور بقضائه وقدره من دون سلب اختيار الإنسان.

وقد أشارت إلى ذلك مجموعة من الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَآمَنَ الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

﴿وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦).

س ٤٠٥ - هل انحصار الإيمان بتلك الجماعة القليلة المؤمنة بوجوب عدم حزنه وابتئاسه بها كان

(١) سورة التوبة: ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

يصدر من غيرهم من الأذى والإصرار على الكفر؟

ج - كلاً، وإنما ذلك يوجب اليأس من إيمان الآخرين، مما يعني انتهاء مهمة نوح في سعيه لهداية قومه، وحلول وقت عقابهم، كما أشار إليه قوله تعالى عقيب ذلك: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (١).

فانتهاء معاناة نوح عليه السلام وحلول وقت عقاب الكافرين - بعد اليأس من إيمانهم - هو الذي يُنهي حزنه وابتئاسه.

﴿قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ...﴾ (٤٣).

س ٤٠٦ - كيف يستثنى من رحمه الله من العاصم الذي هو الله تعالى، والمفروض استثناءه من المعصوم؟

ج - الاستثناء هنا منقطع - كما يسميه النحاة - والمستثنى منه الحقيقي هو المعصوم المفهوم نفيه من خلال الملازمة بين نفي العاصم ونفيه، لأنه إذا لم يكن هناك عاصم فمن الطبيعي أن لا يكون هناك معصوم.

والذي حَسَّنَ هذا التعبير بلاغياً، أن هدف نوح عليه السلام نفي المعصوم أي إقناع ولده بأنه ليس هناك معصوم من الغرق إلا من يرحمه الله، بينما اعتمد ولده على الجبل مدعياً أنه عاصم من الماء، فكان على نوح عليه السلام أن ينفي كلا الأمرين - العاصم والمعصوم -، فجاء النفي بهذا الأسلوب الموجز الرائع.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ (٧٨).

س ٤٠٧ - كيف يعرض عليهم بناته وهم محرّمات عليهم؟

ج - لقد عرض عليهم الزواج المشروع منهنّ، ولذلك قال: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ كما يناسبه أيضاً قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾. إذ الفاحشة لا تنسجم مع الطهر وتقوى الله تعالى.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (١٠٦).

س ٤٠٨ - الزفير والشهيق يتحققان من كل إنسان ولا يختصان بالمعذّبين.

ج - المقصود منه المصاحبان للحزن والكرب؛ حيث ليس لأهل النار شاغل غير ذلك بعكس أهل الجنة الذين ينشغلون بأسباب النعيم، قال الزجاج: الزفر من شدة الأنين وقبيحه، والشهيق: الأنين الشديد المرتفع جداً^(١). وفي الآية إشارة إلى الشدة التي تلازمهم في كل نفس.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ (١٠٧ - ١٠٨).

س ٤٠٩ - كيف يربط خلودهم بدوام السماوات

(١) لسان العرب: ٤ / ٣٢٥.

والأرض مع أنها ليست خالدة، بل هي تفضى قبل
 يوم القيامة، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا
 دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ
 نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^(٢)؟

ج- إما أن يكون ذلك جرياً على العرف العام الذي يعتبر دوام السماوات
 والأرض رمزاً وتعبيراً عن التأبيد، أو يكون المقصود من السماوات والأرض
 ما يُظلل الإنسان وما يستقر عليه، وهما متحققان في الدار الآخرة وخالدان
 بخلودها، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾^(٣).

س ٤١٠ - ألا يعني استثناء المشيئة الإلهية أن
 الكافرين قد لا يُخلدون في النار وأن المؤمنين قد
 لا يُخلدون في الجنة؟

ج- بالنسبة لأهل النار- وهم أعم من الكافرين - لا مانع من شمول
 رحمة الله وعفوه لبعضهم، فيخرجهم من النار، كما تضمنت ذلك بعض
 النصوص، ففي الحديث عن حمران عن الإمام الباقر عليه السلام عندما سأله عن
 ذلك فقال: «هذه في الذين يخرجون من النار»^(٤).

وهناك وجه آخر ينطبق على كلتا الآيتين، وهو أن استثناء المشيئة في كليهما
 لتأكيد أن خلود كلا الفريقين خاضع لمشيئة الله، وليس أمراً مفروضاً عليه، ولا
 يخرج الفريقان بذلك عن مشيئته وإرادته، ولا عن سلطانه تعالى وملكه

(١) سورة الفجر: ٢١.

(٢) سورة الانبياء: ١٠٤.

(٣) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٤) تفسير العياشي: ١٧٠ / ٣.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءِ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٣).

س ٤١١ - كيف يكون الركون إلى الظالم؟

ج - الظاهر أنه مأخوذ من الركن بمعنى القوة، قال ابن منظور: ركن الإنسان: قوته وشدته^(١). فيكون الركون إلى الظالم بمعنى الاستناد إليه والتقوي به، فينطبق على الخروج عن التعاليم الدينية عمالأة ومداراة للمشركين، كما ينطبق على السير في ركاب الطغاة والانتساب إليهم واتباعهم في ظلمهم. وعن تفسير القمي: قال عليه السلام: (ركون مودة ونصيحة وطاعة)^(٢). ولذلك نلاحظ الآية الكريمة تؤكد - بعد ذلك - أنه ليس هناك مَنْ ينصر الإنسان من دون الله تعالى، وهو يوحي أن المقصود من الركون الاعتساذ على عدوه وهو الظالم، وذلك - بالإضافة إلى كونه معصية لله - لا فائدة فيه مهما توفرت فيه من قوة، ويوجب إعراض الله تعالى عن الإنسان.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ...﴾ (١١٦).

س ٤١٢ - من هم أولوا بقیة، وما هو وجه

وصفهم بذلك؟

ج - البقية كناية عن الفضل والتعقل، والمقصود بهم القلة الواعية من الأمم السابقة.

قال الطبرسي: والبقية ما بقي من الشيء بعد ذهابه، وهو الاسم من الإبقاء. ويقال: في فلان بقية أي فضل مما يمدح به وخير، كأنه قيل: بقية

(١) لسان العرب: ١٣ / ١٨٥.

(٢) تفسير القمي: ١ / ٣٣٨.

خير من الخير الماضي...^(١).

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾
إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١١٨ - ١١٩).

س ٤١٣ - ما هو مرجع اسم الإشارة في قوله:
﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؟

ج - يمكن أن يرجع إلى الرحمة، باعتبار أن الله تعالى أرحم الراحمين
خلق الخليقة ليرحمهم.

وقد تكون اللام للعاقبة، ويكون ذلك إشارة إلى اختلافهم المتقدم في
قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ حيث
لم يفرض عليهم الإيمان تكويناً ويخلقهم مؤمنين، لأن الهدف من خلق
الإنسان في هذه الحياة الدنيا بما يمتلك من عقل واختيار هو ابتلاؤه
واختباره وتحميله المسؤولية، ليمتيز المطيع من العاصي، كما جاء في قوله
تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢) وقوله
تعالى: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٣). وربما يشير إلى
هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ﴾. فإن الله تعالى لم يخلق الجن والأنس ليملؤوا جهنم، وإنما خلقهم
ليختبرهم ففشلوا بسوء اختيارهم، وكانت النتيجة أن امتلأت جهنم بهم.
نعوذ بالله تعالى من الخذلان وسوء العاقبة.

(١) مجمع البيان: ٥ / ٣٠٤.

(٢) سورة الملك: ٢.

(٣) سورة الأنبياء: ٣٥.

سورة يوسف

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢).

س ٤١٤ - أليس نزول القرآن باللغة العربية تمييزاً

للعرب مع أنه كتاب هداية لجميع الشعوب؟

ج - بما أن الجزيرة العربية مهد الإسلام وموطن نزول القرآن والعرب هم البذرة التي حملت مسؤولية نشر الدين الجديد فمن الطبيعي أن ينزل بلغتهم كما هو حال كل الكتب السماوية حيث نزلت بلغة الوسط والمجتمع الذي نزلت فيه ، بذلك تتأكد الحججة على أبناء ذلك المجتمع من دون أن تقتصر عليه، كما لا يعني ذلك تفضيل ذلك الشعب أو المجتمع على الآخرين من حيث المقام والقرب لله تعالى، بل يتحدد ذلك بموقف المجتمع والأشخاص ومدى التزامهم بتعاليم الله تعالى.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٤).

س ٤١٥ - لماذا قال : ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ مع أن ضمير

الجماعة للعقلاء، والكواكب غير العاقلة؟

ج - باعتبار أن السجود والخضوع الذي رآها عليه من شؤون العقلاء، فأرجع عليها ضمير العقلاء.

﴿إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٨).

س ٤١٦ - كيف فضل يعقوب يوسف وأخاه علي

باقي أبنائه مع أن المفروض أن يعاملهم بالسوية؟

ج - لم يكن تفضيله لهما اعتبارياً، وإنما باعتبار ما رآه وتوسمه فيها من الفضائل. ولعله لم يكن تفضيلاً، وإنما مجرد شفقة خاصة عليها باعتبار صغرهما ووفاة والدتهما. فانتاب إخوتها الغيرة والعصية بسبب ذلك.

س ٤١٧ - كيف نسبوا أباهم إلى الضلال مع

علمهم بأنه نبي من الأنبياء وليس كافراً؟

ج - ليس المقصود الضلال في الدين، بل الخطأ في التعامل مع يوسف بزعمهم، لأن الضلال ينطبق على الخطأ وعدم الصواب، ولا يختص بالضلال في الدين.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤).

س ٤١٨ - كيف هم يوسف عليه السلام بالفحشاء، ولماذا

صرفه الله عن ذلك مع أنه تعالى لا يجازي بين عباده؟

ج - اختلف المفسرون في ذلك على آراء، فبينما ذهب بعض المفسرين من الجمهور إلى أنه عزم على الفحشاء كما همّت زليخا بذلك، ذهب آخرون إلى أنه لم يعزم على الفحشاء بالفعل بقريته قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾. الذي يدل على أن البرهان الإلهي حال دون تحقق العزم منه عليه السلام.

وهناك رأي آخر لبعض المفسرين بأن يوسف همّ بعقابها لا بالفاحشة،

ولعلّ مما يشهد لذلك امتناعه - منذ البداية - من مطاوعتها بدلالة قوله تعالى: - في الآية السابقة - ﴿... وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾^(١).

ومما يشهد بعدم صدور العزم المذموم من يوسف هو ثناء الآيات الكريمة عليه، وإلا لواجهته باللوم والعقاب على الأقل.

س ٤١٩ - ما هو الفرق بين السوء والفحشاء؟

ج - الفحشاء هي الرذيلة، وأما السوء فربما يقصد منه العقاب الشديد الذي كان يواجهه لو طاعها ورآها زوج المرأة الذي أقبل من دون علمها، ومن الطبيعي أن تتهمه المرأة أمام زوجها بالمبادرة للفاحشة، ولا يكون له شاهد يشهد في حقه وينجيه من العذاب والفضيحة.

﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَضْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣).

س ٤٢٠ - كيف نسب الدعوة للفحشاء إلى جمع النساء والكيدهن، مع أنه كان من امرأة العزيز فقط، وقد لُئها على ذلك؟

ج - تضمنت بعض الروايات آتتهن شاركنها في ذلك بعد أن رأين يوسف عليه السلام وانبهرن بجماله، فـ في حديث أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام وخرجن النسوة من عندها فأرسلت كل واحدة منهن إلى يوسف عليه السلام سرّاً من صاحبها تسأله الزيارة فأبى عليهن..^(٢).

(١) سورة يوسف: ٢٣.

(٢) تفسير القرآن الكريم: أبو حمزة ثابت بن دينار الثمالي: ٢٠٨.

ولعل ذلك وما يصاحبه عادةً من لفظ اجتماعي هو الذي دعاهم إلى سجنه رغم علمهم ببراءته، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُتُهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾^(١). حيث نصّت الآية على أن سجنهم ليوسف عليه السلام كان رغم الآيات والشواهد على براءته ونزاهته. ولذلك طلب يوسف عليه السلام إيضاح الحقيقة على الملأ عندما راموا إخراجه من السجن بعد أن فسّر لهم رؤيا الملك، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ اشْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ اذْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَأَسْأَلُهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ الَّذِي قَطَعْتَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾^(٢). كل ذلك يؤكد اللفظ الاجتماعي آنذاك بخصوص هذا الموضوع، وأتهم قد سجنوه ظلماً حفظاً لسمعة عوائلهم.

﴿قَالَ لَا يَا نَيْكَمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إني تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣٧).

س ٤٢١ - لماذا ذكر فاصلاً طويلاً بين ما طلبه الرجلان منه واستجابته لهما بتفسير الحلمين بقوله: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ...﴾؟

ج - إنه تعبير عن الشعور بالمسؤولية والموقف الرسالي، حيث استثمر فرصة حوار الرجلين وانفتاحهما عليه ليدعوهما إلى نبذ الأصنام، وعبادة الرحمن بدلاً من ذلك، خاصة بعد أن توسّما فيه الصلاح، وتأكّدت ثقتهما به كما أشار إليه قوله تعالى: - حكاية عنهما - ﴿إِنَّا تَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. مما يقوي احتمال تأثير نصحه لهما بعبادة الله الواحد الأحد ونبذ الشرك.

(١) سورة يوسف: ٣٥.

(٢) سورة يوسف: ٥٠.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ...﴾ (٧٧).

س ٤٢٢ - ما هو منشأ اتهامهم ليوسف بالسرقة مع براءته منها؟

ج - روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «كانت لإسحاق النبي منطقة يتوارثها^(١) الأنبياء والأكابر، فكانت عند عمه يوسف، وكان يوسف عندها، وكانت تحبّه، فبعث إليها أبوه أن ابعثيه إلي وأردّه إليك. فبعثت إليه أن دعه عندي الليلة لأشتمّه ثم أرسله إليك غدوة. فلما أصبحت أخذت المنطقة فربطتها في حقوه وألبسته قميصاً وبعثت به إليه، وقالت: سرقت المنطقة، فوجدت عليه - وكان إذا سرق أحد في ذلك الزمان دُفع إلى صاحب السرقة - فأخذته فكان عندها^(٢). فيبدو أن هذه الحادثة هي السبب في اتهامهم ليوسف بالسرقة رغم براءته منها في الواقع.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٣).

س ٤٢٣ - لماذا اتهمهم بذلك مع كونهم صادقين في عدم التفریط بأخيهم بنيامين؟

ج - لم يصرح يعقوب عليه السلام باتهامهم بخصوص قضية بنيامين، بل في مجمل موقفهم الذي بدأ مع يوسف، وكان من نتائجه غياب بنيامين، ويشهد لذلك قوله: ﴿يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ﴾.

س ٤٢٤ - لماذا استخدم ضمير الجمع في قوله:

(١) المنطقة: ما يشدّ بها الوسط.

(٢) تفسير العياشي: ١٩٧/٢.

﴿أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ مع أن المناسب هو ضمير
التثنية ليعود إلى يوسف وبنيامين؟

ج- كلاً، لأن كبيرهم لم يرجع إلى يعقوب أيضاً، فأراد عليه السلام رجوعهم جميعاً.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ
الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤).

س ٤٢٥ - لماذا تأسف على يوسف فقط دون بنيامين؟

ج- لطول غيبته وجهالة مكانه أو مصيره، بخلاف بنيامين، فإن أولاد
يعقوب أخبروا أباهم بسلامته وأنه وديعة عند عزيز مصر، فكانت حادثة
بنيامين مذكورة بقضية غياب يوسف عليه السلام ومهيجة لأحزان يعقوب عليه السلام.

س ٤٢٦ - ما معنى بياض عينيه من الحزن؟

ج- لعل هذا من تأثير وافرازات العامل النفسي على الجسم، المعروف
طياً بـ (سايكوسامائيك) - كما أكده اخصائي في طب العيون - فإن الحزن
الشديد الذي اصاب يعقوب عليه السلام وحرصه على كظم حزنه أوجبا فقدان
بصره خلال تلك الفترة، وقد زال بعد ارتفاع سبب الحزن حين جاؤوا بقميص
يوسف عليه السلام ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّدَ بَصِيرًا...﴾^(١).

﴿وَرَفَعَ أَبْوَابَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا...﴾ (١٠٠).

س ٤٢٧ - كيف سجدوا ليوسف مع أن السجود

لشخص عبادة له؟

(١) سورة يوسف: ٩٦.

ج - كلاً، فإن السجود إنمّا يكون مظهراً لعبادة المسجود له إذا جيء به بنية الخضوع العبادي لا مطلقاً كالتحية والتعظيم المجردين، فإنه لا مانع من كونه مشروعاً في بعض الشرائع السابقة.

وقد يكون سجوداً لله تعالى تكريماً وابتهاجاً بيوسف عليه السلام، ففي الحديث الوارد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام حينما قال له يحيى بن أكثم: أخبرني أسجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟ فأجاب أبو الحسن عليه السلام: «أما سجود يعقوب وولده فإنه لم يكن ليوسف، وإنما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية ليوسف، كما أن السجود من الملائكة لآدم كان منهم طاعة لله وتحية لآدم»^(١).

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٦).

س ٤٢٨ - كيف يجتمع الإيمان بالله مع الشرك؟

ج- قد يكون إشارة إلى بعض العرب، وبعض أهل الكتاب حيث يخلطون إيمانهم بالله بالشرك به، فزعم أولئك أنّ الأصنام تقرّبهم إلى الله زلفى فعبدوها، كما التزم النصارى بالتثليث - الذي هو نوع من الشرك - رغم إيمانهم بالله. وفي بعض النصوص أنه إشارة إلى الشرك الذي لا يبلغ حدّ الكفر، وهو ما يسمّى شرك الطاعة، فينطبق على العصاة الذين يطيعون الشيطان في سلوكهم، رغم أنهم موحدون لله تعالى في عقيدتهم وعبادتهم^(٢).

(١) مجمع البيان: ٥ / ٤٠٦.

(٢) تراجع تفسير العياشي: ٢ / ٢١١.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠).

س ٤٢٩ - كيف يظن الرُّسُل أن الله تعالى يكذبهم؟

ج - ذكر بعض المفسرين أن الضمير في قوله: ﴿ظَنُّوا﴾ يعود إلى الناس لا إلى الرُّسُل أنفسهم.

ويمكن أن يرجع الضمير إلى الرُّسُل، ويكون المقصود أنهم حيث استبطأوا النصر - رغم شدة المحنة المحيطة بهم وبالمؤمنين - ظنوا أن ذلك ليس من القضاء المحتوم، وأنه أرجىء أو رُفِع لبعض المصالح الخفية عنهم، فيكون إطلاق لفظ الكذب هنا باعتبار عدم تحقق الموعد به، كما أطلق الكذب على الخطأ المجرد في كلام العرب، قال الأخطل: «كذبتك عينك أم رأيت بواسط»^(٢). أي أخطأت عينك، كما يقال: «كذب ظني» بمعنى: أنه لم يصب.

وقرأ عدد من القراء (كُذِّبُوا) بالتشديد، فيكون المعنى أن الرُّسُل قد حسبوا أو علموا أنهم قد كُذِّبُوا من قبل أهمهم. فيكون التكذيب - على هذه القراءة - من الناس لرُّسُلهم، لا من الرُّسُل لله تعالى.

(٢) لسان العرب: ١/٧٠٩.

سورة الرعد

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٧).

س ٤٣٠ - ألا يعني ذلك أن النبي ﷺ لم تنزل عليه آية أو معجزة لتصديقه؟

ج - كلاً، وإنما ذلك إشارة إلى ما كان يقترحه كل شخص أو كل مجموعة من آيات معينة، ولو استجيب لبعضهم لاحتج الآخرون وطلبوا الآيات التي يقترحونها، وكان بعضها تعجيزياً، لأنه من طلب المحال، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (١١)، وقد رفض القرآن هذه الاقتراحات مذكراً أن دور الرسول هو الإنذار والتبليغ، وأن الله تعالى يختار لكل قوم الآية التي تصلح أن تكون حجة عليهم.

ويبدو أن هؤلاء طلبوا أن تكون الآية العظمى الملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن - من دون أن ينكروا الآيات الثانوية التي حدثت في زمانه -، ولذلك ردّ الله عليهم بقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فكما أن عصا موسى عليه السلام كانت الإعجاز الرئيسي لموسى عليه السلام، لمناسبتها لظروف عصره ودورها في هداية مَنْ بُعث لهم، وكذلك إحياء عيسى عليه السلام للأموات وإبرأؤه الأكمه والأبرص، فكذلك القرآن بمضمونه الخالد يناسب رسالة الإسلام الخالدة وظروف عصره والمجتمعات المختلفة والأجيال المتعاقبة ما دامت الحياة الدنيا.

﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (١١)

س ٤٣١ - ما هي (المُعَقَّبَات) وكيف تحفظ

الإنسان من أمر الله؟

ج - المُعَقَّبَات الجماعة التي تتابع الإنسان وتحيط به، ولعلّه إشارة إلى ما تضمنته بعض النصوص من أن بعض الملائكة موكّلون بالإنسان لحفظه، وفي حديث عن الإمام علي عليه السلام: «إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه...»^(١). وليس المقصود في الآية أن هؤلاء الموكّلين يمنعون الإنسان مما قدره الله تعالى له من مصير محتوم، وإنما يحفظانه من الأمر الإلهي غير المحتوم أو مما من شأنه أن يصيبه من أسباب الضرر الطبيعية لولا حفظ هؤلاء الموكّلين. والله العالم.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ...﴾ (١٣).

س ٤٣٢ - كيف يسبح الرعد وهو غير حي ولا عاقل؟

(١) تصنيف نهج البلاغة: ١٤٠.

ج - قيل: إن تسبيح الرعد من خلال خضوعه تكويناً للأمر الإلهي، فهو تسبيح تكويني لا شعوري، وعلى ذلك يُحمل كل مورد نُسب فيه التسبيح والسجود ونحوهما لغير العقلاء، مثل قوله تعالى: ﴿... يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿... وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ...﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ...﴾^(٣).

وربما يكون السجود المذكور شعورياً بناءً على نظرية الملازمة بين الوجود والشعور - ولو بمراتبه الدنيا التي لا يدركها الإنسان - وقد بدأ العلم الحديث باكتشاف مظاهر شعورية - بعضها بالغة التعقيد - لبعض الكائنات الحية التي كان التصور العام السابق يبتني على سلب الشعور عنها. علماً أن بعض الآيات وكثيراً من النصوص تضمنت الإشارة إلى ذلك والتنبه على أن مثل هذا السلوك الشعوري لهذه الكائنات غير مدركة للإنسان، مثل قوله تعالى: ﴿... وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٤). وفي الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «نهى رسول الله ﷺ عن أن تؤسم البهائم في وجوهها، وأن يضرب وجوهها فإنها تسبح بحمد ربها»^(٥). كما تضمنت بعض الآيات إثبات حوارات وسلوكيات واعية لبعض العجاوات كالنمل والهدهد مع نبي الله سليمان بن داود عليه السلام. والله سبحانه هو العالم بأسرار خلقه.

(١) سورة الحشر: ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٧٩.

(٣) سورة الحج: ١٨.

(٤) سورة الإسراء: ٤٤.

(٥) تفسير العياشي: ٣١٧ / ٢.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا...﴾ (١٦).

س ٤٣٣- كيف يؤمر النبي ﷺ بالسؤال والإجابة معاً والمفروض أن يكون السائل غير المجيب؟

ج- إنه ﷺ لا يجيب على سؤاله مباشرة، بل بعد أن يطرح سؤاله عليهم وهم يختلفون في الجواب، أو يجيبون بغير الصواب، يذكر الجواب الصحيح بأن ربّ السموات والأرض هو الله تعالى.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١٧).

س ٤٣٤- ما هو الزبد الثاني الذي يشبهه به الباطل؟

ج- هو خبث المعادن كالذهب والفضة والنحاس الذي يطفو عند ذوبان هذه المعادن بالنار في عملية التصفية، حيث يرمى الزبد ويبقى المعدن صافياً نقياً.

﴿... أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (١٨).

س ٤٣٥- كيف يكون لهم سوء الحساب والله سبحانه عادل مع جميع خلقه؟

ج - ليس المقصود أن حسابهم سيء وغير عادل، وإنما لهم ما يسوؤهم من الحساب الذين كانوا هم السبب فيه، وأضيف السوء إلى الحساب باعتبار أنه يترتب عليه. والإضافة تصح لأدنى علاقة بين المضاف والمضاف إليه.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَتْ بِهِ الْمُؤْتَىٰ بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَتَّسِرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ (٣١).

س ٤٣٦ - ما هو جواب «لو» الشرطية؟

ج - حذف جواب الشرط لدلالة القرينة عليه، والتقدير «لكان هذا القرآن» أو بمعناه.

س ٤٣٧ - كيف يتأسر الذين آمنوا أن لو يشاء

الله هدى الناس جميعاً، مع أنه حقيقة ثابتة لا يلبق بالمؤمن انكاره واليأس منه؟

ج - لعل اليأس بمعنى العلم، كما ذكر ذلك علماء اللغة، وأنشدوا قول الشاعر:

أقول لأهل الشعب إذ يسروني ألم تياسوا أني ابن فارس لازم^(١)

أي ألم تعلموا. ولذلك رُفِعَ الفعل «يشاء»، لأنَّ «أنَّ» المصدرية لا تنصب الفعل الذي بعدها إذا تقدّم عليها ما يدلّ على العلم، كما نصّ على ذلك النحويون.

(١) يراجع لسان العرب: ٦ / ٢٦٠.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُم أَزْوَاجًا
وَذُرِّيَّةً...﴾ (٣٨).

س ٤٣٨ - لماذا نصّ على الأزواج والذرية مع أنه لا
علاقة للرسالة بذلك؟

ج - إنه ردّ على الذين كانوا يستنكرون ممارسات الرسول الطبيعية
ويزعمون أنّ طبيعة الرسول لا بدّ أن تختلف عن الطبيعة البشرية، كما قال
تعالى: - حكاية عنهم - ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي
الْأَسْوَاقِ...﴾^(١).

سورة إبراهيم

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٣).

س ٤٣٩ - كيف يذمهم على حب الحياة الدنيا والناس جميعاً يحبونها؟

ج - إن ذمهم باعتبار تفضيلهم الحياة الدنيا على الآخرة، لأن الاستحباب هو حب الشيء والتعرض له، فهؤلاء أفرطوا في حبهم وتعرضهم للدنيا حتى فضلوها على الآخرة، فالفعل هنا مضمن معنى التفضيل، ولذلك تعدى بـ «على».

س ٤٤٠ - ما معنى أن يكون الضلال بعيداً؟

ج - الضلال عدول عن الحق وانحراف عنه، فهؤلاء كان انحرافهم عن الحق كثيراً، فعبر عنه بالضلال البعيد.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾ (٤).

س ٤٤١ - ألا يترتب على ذلك أن يكون النبي محمد ﷺ مبعوثاً للعرب فحسب؟

ج - إن وحدة اللغة بين الرسول وقومه لا تعني حصر رسالته بهم، بل يكفي أن يكون قومه قاعدة للإيمان بالرسالة، وتكون الانطلاقة بعدها

إلى الأمم الأخرى - كما كان الأمر مع الأنبياء السابقين - بينما إذا لم يكن الرسول بلسان قومه فلا يكونون القاعدة لرسالته.

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ (٩).
س ٤٤٢ - ما معنى ردّ الأيدي في أفواههم؟

ج - إنه كناية عن رفضهم ومواجهتهم لرسالات الأنبياء، إما باعتبار أن الغاضب يضع أصبعه في فمه بسبب الغضب كما قال تعالى: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(١). أو باعتبار أن من يريد إسكات شخص يضع يده على فمه، في إشارة لمخاطبه بالسكوت.

س ٤٤٣ - الكفر هو الإنكار والرفض فكيف يقول:

﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾ والشاك متردد وليس منكراً؟

ج - لا يشترط في الكفر الجزم بالإنكار، بل يكفي البناء العملي على رفض الرسالة مع الشك فيها، بل حتى مع العلم بصحتها، ولذلك يعتبر الجاحد كافراً رغم أنه في قرارة نفسه مؤمن بصحتها.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣).

س ٤٤٤ - ألا يعني قولهم: ﴿أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي

مِلَّتِنَا﴾ أن الرسل كانوا سابقاً على دين قومهم؟

ج - كلاً، بل حيث أن الرسل يبدؤون برسالتهم ودعوة قومهم في فترة معينة من حياتهم، فتخيّل أولئك أن الرسل قبل هذه الفترة كانوا على دينهم.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا
ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ
اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ
خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (٢٤ - ٢٦).

س ٤٤٥ - ما معنى أن يكون للكلمة الطيبة أصل

ثابت وفرع ممتد؟

ج - حيث ان الكلمة الطيبة تعبر عن الحقيقة الراسخة التي لا تتغير
﴿أَضَلُّهَا ثَابِتٌ﴾ ولا تحجبها الشبهات والأباطيل، وتتفع منها الأجيال
المتعاقبة، فهي ممتدة بامتداد الحياة - كالشجرة الممتدة الشاهقة - ولا يقتصر
ثمرها على قوم أو فئة خاصة، بينما الكلمة الخبيثة هي التعاليم والمبادئ الهدامة
والمنحرفة التي ليس لها أصالة وامتداد، فهي كالشجرة الخبيثة أي يجثث ثمرها
كالحنظل وليس لها جذور عميقة في الأرض، لا يبقى لها أصل عند قلعها.

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾ (٣١).

س ٤٤٦ - بما أن قوله: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَيُنْفِقُوا﴾ مقول القول، فكان يفترض رفع

الفاعلين بإثبات النون فيها لا جزمها بحذفها؟

ج - كلاً، يمكن أن لا يكونا ضمن مقول القول، وإنما هما جواب
فعل الأمر (قل) ولذلك جاء مجزومين، ومقول القول حذف لدلالة
الجواب عليه، والمعنى قل لعبادي الذين آمنوا: «يقيمون الصلاة وينفقون
مما رزقناهم» يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم. أي إذا قلت لهم ذلك

يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فحذف مقول القول - وهو «يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقناهم» - اعتياداً على قرينة جواب الأمر - وهو «يقيموا الصلاة وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ» - باعتبار أن مقول القول نفس مضمون الجواب.

﴿وَأَنَا كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤).

س ٤٤٧ - كيف ينسجم قوله: «وَأَنَا كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ» مع ما نلاحظه من عدم استجابة كثير من الأدعية؟

ج - الآية بصدد بيان وفرة نعم الله تعالى على الجنس البشري وأنه تعالى وقر له ما يحتاجه ويطلبه ويطمح إليه ضمن نظام الأسباب، حيث وقر الخيرات في هذه الحياة الدنيا، ومنح القدرة والموهبة للإنسان، لاستثمارها. وليست الآية ناظرة إلى كل فرد من الناس، إذ قد لا يستجيب الله تعالى لبعض الناس تبعاً لمصالح ومقتضيات أو موانع معينة.

﴿... أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ (٤٤).

س ٤٤٨ - كيف يقسمون في الدنيا على عدم الزوال مع أن كل إنسان يعلم بأنه يموت ولا يخلد فيها؟

ج - من معاني الزوال في اللغة: «الاستحالة والحركة»، فهم أقسموا على عدم تحوّلهم من الدنيا إلى الآخرة. وربما يكون ذلك مقتضى طغيانهم الذي أعمى بصيرتهم، كما يلاحظ سلوك الطغاة وممارساتهم التي تعكس غفلتهم عما ينتظرهم من الموت والفناء. اللهم بصرنا في أنفسنا، ولا تجعلنا من الغافلين المبعدين.

سورة الحجر

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ (١٦).

س ٤٤٩ - ما هي البروج المذكورة؟

ج - إشارة إلى منازل الشمس والقمر، وكل منزل عبارة عن هيئة رائعة لاجتماع مجموعة من الكواكب كالحمل والميزان والقوس، وتسمى بالبروج أي القصور، لما لها من روعة وجمال.

﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ (٢٤).

س ٤٥٠ - من هم المستقدمون والمستأخرون؟

ج - المستقدمون هم السابقون، والمستأخرون هم المتأخرون بحسب الخلق والوجود.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ﴾ (٢٦).

س ٤٥١ - كيف ينسجم ذلك مع قوله تعالى:

﴿فَأَنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ ^(١) وقوله تعالى:

﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ ^(٢) ؟

(١) سورة الحج: ٥.

(٢) سورة آل عمران: ٦٠.

ج - لا منافاة بينهما، لأنَّ كلاً منهما من حالاته، قال الطبرسي: (وأصل آدم طيناً كان من تراب، وذلك قوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ ثم جعل التراب طيناً، وذلك قوله: ﴿وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١) ثم ترك ذلك الطين حتى تغير واسترخى، وذلك قوله: ﴿مَنْ حَمَلِ مَسْنُونٍ﴾ ثم ترك حتى جف، وذلك قوله: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ فهذه الأقوال لا تناقض فيها، إذ هي إخبار عن حالاته المختلفة^(٢).

﴿... وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٨٥).

س ٤٥٢ - كيف تنسجم الدعوة للصفح الجميل مع الدعوة للجهاد والغلظة على الكفار والمنافقين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾^(٣).

ج - ان الآية الأولى نزلت في مكة حيث كان الرسول ﷺ يواجه أذاهم بالصبر في مقابل دعوتهم للإسلام، قبل تشريع الجهاد، فكانت هذه الآية ونحوها تسلية للرسول وحثاً له على تحمل الأذى في سبيل الله تعالى، بينما الآية الثانية نزلت بعد فتح مكة أو حينه حيث أسس الرسول ﷺ دولة الإسلام وخاض المعارك الجهادية في مواجهة عدوان الكافرين على الكيان الإسلامي الفتى، فكان الأمر بالجهاد والغلظة طبيعياً لردعهم عن الاستمرار في عدوانهم، وكذلك بالنسبة للمنافقين حيث كانوا يمثلون الطابور الخامس الذي يزرع الفتنة وعدم الاستقرار داخل البنية الإسلامية،

(١) سورة الأعراف: ١٢.

(٢) مجمع البيان: ٥١٦/٦.

(٣) سورة التوبة: ٧٣.

علماً أن المقصود من جهاد المنافقين ليس هو القتال بالسيف وإنما هو الردع والغلظة في التعامل.

وعلى كل حال فليس هناك تناقض بين مدلولي الآيتين، وإنما اختلف الموقف تبعاً لاختلاف الظرف الموضوعي عما كان عليه في مكة قبل الهجرة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧).

س ٤٥٣ - إذا كان السبع المثاني هي سورة الفاتحة -

كما تضمنته بعض النصوص - فكيف يعطف عليه

القرآن، والعطف يعني المغايرة بين المتعاطفين؟

ج - كلاً، بل يجوز العطف بين البعض والكل أيضاً تعبيراً عن

الاهتمام ببعض الأفراد من خلال تخصيصها بالذكر.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنُ عَلَيْهِمْ

وَاحْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨).

س ٤٥٤ - كيف ينسجم الإعجاب بنعمة الله

عليهم مع الحزن عليهم؟

ج - «أزواج» هنا بمعنى أصناف، في إشارة إلى أصحاب النعم الوافرة

من الكافرين، حيث نبه تعالى أن توفر هذه النعم عندهم لا يعني قربهم من

الله وفوزهم برضوانه ما داموا كافرين، فهو نظير قوله تعالى في سورة طه:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ

وَرَزَقْنَاكَ مِنْ حَيْثُ وَابَقَىٰ﴾ (١).

(١) سورة طه: ١٣٦.

وأما قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنُ عَلَيْهِمْ﴾ فالمقصود منه الحزن على المجتمع الكافر بشكل عام لا خصوص هذه القلة فالضمير في قوله (عليهم) يعود على الكافرين لا خصوص أصحاب النعم الوافرة منهم، باعتبار أن النبي ﷺ كان - بسبب شفقتة - يحزن على قومه ويتحسر عليهم بسبب غضب الله تعالى عليهم وما ينتظرهم من عذابه، حتى خاطبه ربه بقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾^(١).

سورة النحل

﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢).

س ٤٥٥ - ما هو الروح، ولماذا قال هنا: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ وقال في مواطن أخرى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾^(١)، ﴿تَخْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾^(٢)؟

ج - الروح الذي يُعطف عليه الملائكة - كما في آيتي المعارج والنبأ - هو جبرئيل أو ملك آخر - كما تضمنته بعض النصوص. وأما الروح في آية سورة النحل فهو الوحي أو أمر النبوة، قيل: سمي روحاً، لأنه حياة من موت الكفر، فصار بحياته للناس كالروح الذي يحيا به جسد الإنسان^(٣).

﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩).

س ٤٥٦ - كيف يكون على الله قصد السبيل؟

(١) سورة النبأ: ٣٨.

(٢) سورة المعارج: ٤.

(٣) لسان العرب: ٢ / ٤٦٣.

ج - القصد بمعنى الاستقامة، أي على الله بمقتضى لطفه بعباده بيان الطريق المستقيم لهم، وفي مقابل ذلك السبيل والمبادئ الجائرة أي المنحرفة.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨).

س ٤٥٧ - ما معنى إلقائهم السلم؟

ج - من معاني السلم الانقياد والاستسلام، فهؤلاء عندما لمسوا ضعفهم تركوا عنادهم وكبرياءهم، وخضعوا للأمر الواقع، فحاولوا التنصل من سيئاتهم وكفرهم، بإنكار ذلك كذباً وزوراً.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ (٦١).

س ٤٥٨ - كيف يفني كل دابة بسبب ظلم الظالمين

مع أن مقتضى العدل أن يقتصر العذاب عليهم؟

ج - حيث إن كل الناس - ما عدا المعصومين - مذنبون مع ربهم، فهم يستحقون عذابه، إلا أن رحمة تعالى وسعتهم، فأمهلتهم لكي يتوبوا ويستقيموا، وأما غير المكلفين من الدواب فقد خلقت لأجل الإنسان، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾^(١) فيكون فناؤها تبعاً لفناء من خلقت من أجله، وليس انتقاماً منها.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّشِيقُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (٦٦).

س ٤٥٩ - لماذا قال: ﴿فِي بُطُونِهِ﴾ مع أن مرجع الضمير ﴿الأنعام﴾ جمع لغير العاقل فيفترض أن يكون مؤنثاً مجازياً؟

ج - ذكر النحاة أن جمع التكسير يمكن اعتباره مذكراً بإرادة «الجمع»، ويمكن اعتباره مؤنثاً بإرادة «الجماعة»، فيصح أن يقال: جاءت النساء، وجاء النساء.

وهناك توجيه آخر لتذكير الضمير في: ﴿بُطُونِهِ﴾ وهو أن المقصود من «الأنعام» الجنس والطبيعة، فالضمير يعود على جنسها، لا أفرادها، فلذلك جاء مذكراً لا مؤنثاً.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ...﴾ (٧٧).

س ٤٦٠ - كيف يكون أمر الساعة أقرب من لمح البصر؟

ج - بسبب سعة قدرة الله تعالى، فهو لا يحتاج إلى توفر ظروف وتهيئة مقدمات، بل: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١٠٣).

س ٤٦١ - اختلاف اللسان لا ينفي ادعاءهم، إذ يمكن أن يعلمه المضمون فيصوغها محمد ﷺ بزعمهم - صياغة عربية؟

ج - كلاً، لأن من أهم ما انبهر به المشركون العرب وتحذاهم النبي ﷺ هو بلاغة القرآن العربية وفصاحته المتميزة التي يعجز عنها البلغاء العرب، والكاشفة عن كونه من الله تعالى، لا من غيره.

﴿... فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١١٥).

س ٤٦١ - المضطر المذكور - غير الباغي ولا المعتدي - ليس مذنباً في أكله الميتة فلماذا يحتاج للمغفرة؟

ج - ليس المقصود بيان كون المضطر المذكور مذنباً، بل حيث إن الله تعالى يغفر ذنوب عباده ويغض عنها رحمة بهم، فهو - بطريق أولى - يراعي ظروفهم ولا يفرض على المضطر المذكور تجنب الميتة رحمة به، بل يجوز له سد رمقه ورفع ضرورته. فمن خلال رحمته وغفرانه للذنوب العاصين يعرف سماحة تعالى للمضطر - غير الباغي والعادي - بسد رمقه من الميتة.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١١٩).

س ٤٦٣ - إذا كان عملهم للسوء بسبب جهلهم فلا يكون معصية، فكيف احتاجوا إلى توبة ومغفرة؟

ج - الجهالة هنا في مقابل الحكمة لا في مقابل العلم، فهؤلاء غلبهم هواهم فعملوا السوء من دون إصرار ثم عادوا إلى رشدهم، فتابوا وأصلحوا. ونظير ذلك ما جاء في حديث الإفك: (ولكن اجتهته الحمية)^(١) أي حملته العصبية على الجهل أي الحمق.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠).

س ٤٦٤ - ما معنى أن يكون إبراهيم أمة؟

ج - قال أبو عبيدة: كان أمة أي إماماً^(٢). ولعلّه إشارة إلى قوله تعالى - لإبراهيم -: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(٣).

وقيل: الأمة: الرجل الذي لا نظير له، وكل من كان على دين الحق مخالفاً لسائر الأديان، فهو أمة وحده، وكان إبراهيم خليل الرحمن - على نبينا وعليه السلام - أمة^(٤).

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (١٢٥)

س ٤٦٥ - كيف ينسجم الأمر بالدعوة إلى سبيل

الله بالحكمة والموعظة الحسنة في هذه الآية وقريب

منها الآيات التي نفت الإكراه في الدين مثل

(١) لسان العرب: ١١ / ١٢٩.

(٢) لسان العرب: ١٢ / ٢٧.

(٣) سورة البقرة: ١٢٤.

(٤) يراجع لسان العرب: ١٢ / ٢٧.

قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ...﴾^(١) . مع الآيات التي تأمر بتحريض المؤمنين على القتال، والأمر بقتال الكافرين حتى قول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ...﴾^(٢) . و﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ...﴾^(٣) و﴿قَاتِلُوا ... حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٤) و﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ...﴾^(٥) ؟

ج- قبل أن نتحدث عن الآيات الواردة في السؤال نرثأي أن نمرّ سريعاً على سيرة الرسول ﷺ مع أعدائه من المشركين وأهل الكتاب منذ بداية الرسالة الإسلامية، حيث نجده ﷺ قد اعتمد المنطق والحوار في دعوة الناس للإسلام والإيمان بالله، وبرغم العنف والإرهاب الذي واجهه به المشركون إلا أنه ﷺ لم يعاملهم بالمثل فلم يعتمد أسلوب التنظيمات السرية المسلحة مثلاً، بل دعا أصحابه إلى الصمود وتحمل قساوة التعذيب والعدوان حتى ضرب المسلمون الأوائل الأمثلة الرائعة في الصبر والصمود في سبيل العقيدة، فنرى الرسول ﷺ عندما يمرّ بمشاهد التعذيب القاسي الذي يعانیه الصحابي الجليل ياسر وزوجته سمية وولدهما عمّار، لا يزيد على قوله ﷺ: (صبراً آل ياسر إنّ موعدكم الجنة)، وكذلك

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) سورة الأنفال: ٦٥.

(٣) سورة الأنفال: ٣٩.

(٤) سورة التوبة: ٢٩.

(٥) سورة النساء: ٨٤.

بالنسبة لباقي أصحابه الذين كانوا يعانون من ضغوط المشركين وبطشهم. واستمر الوضع الرهيب يتخيم على أوساط المسلمين حتى هاجر بعضهم الى الحبشة، وتمادى المشركون فكانت محاولتهم - الفاشلة - في إرجاع المهاجرين الى قبضتهم... وبعدها كانت الهجرة العامة الى المدينة المنورة فجوبهوا بمصادرة أموالهم وممتلكاتهم في مكة، وملاحقة الرسول ﷺ وأصحابه خلال مسيرة الهجرة بهدف قتلهم وإبادتهم.

وعندما حاول المسلمون استرجاع جزء من حقوقهم من قافلة أبي سفيان التجارية تجهز المشركون للحرب بهدف القضاء على المسلمين - رغم علمهم بسلامة القافلة من سيطرة المسلمين - فخاض المسلمون الأوائل أول حرب دفاعية في (بدر)، وتلتها معارك مصيرية أخرى كان موقف المسلمين فيها كلها دفاعياً، كما تشهد بذلك مواقع المعارك الجغرافية وأنها جميعاً في أطراف المدينة لا اطراف مكة.

واستمر الرسول ﷺ في مساعيه لتجنب الحرب والعنف حتى عندما تجاوز المشركون الخط الأحمر في التعامل مع القبائل والجماعات المناوئة عندما منعوا الرسول والمسلمين من أداء مراسم العمرة، متجاوزين كل الأعراف السائدة في الجزيرة العربية التي تحظر - في كل الأحوال والظروف - منع حجاج البيت الحرام وتهديدهم وقتالهم^(١)، فتنازل الرسول ﷺ عن حقه في زيارة البيت الحرام واستعد للرجوع مع الكم الهائل من المسلمين إلى المدينة المنورة رغم أنهم وصلوا إلى أطراف مكة.

وتم الاتفاق بين الطرفين على صلح الحديبية، وتحمل الرسول ﷺ

(١) ذكر المؤرخون أن قريشاً بعثوا الى النبي ﷺ وهو في الحديبية الخليس بن علقمة او ابن زيان وكان سيد الأحابيش - وهم خلفاء قريش - ليحاوره ويمنعه من دخول مكة، <

تبعات وآثار الصلح خصوصاً فيما يرتبط بالبند الذي ينص على أن "من أتى محمداً من قريش بدون إذن وليه ردّه عليهم ومن جاء قريشاً من أتباع محمد لم يردوه عليه" حيث واجه الرسول احتجاجاً عنيفاً من بعض الصحابة - الذين جهلوا حكمة هذا البند - ومع كل ذلك التزم النبي ﷺ بتبني الصلح ليؤكد حرصه على السلام ونيل الحرب، ومرت الأيام القليلة وإذا بالمشركين ينقضون معاهدة الصلح ويغدرون بقبيلة (خزاعة) احناف المسلمين... ورغم المواقف العدائية والركام الهائل لعدوان المشركين لم ينتقم الرسول ﷺ منهم وهو في اوج قوته وهم في منتهى ضعفهم عند فتح (مكة)، بل اوصى المسلمين بعدم سفك الدماء، وخاطب أعداءه بكلمته الخالدة: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

وأما موقف النبي ﷺ من أهل الكتاب فكان هو اعتماد منطق الحوار الهادئ والحكمة امتثالاً لقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ حتى انه عقد معاهدة الدفاع المشترك مع الجماعات اليهودية التي كانت متواجدة في المدينة، الآن اليهود واجهوا النبي وأصحابه بمواقف الغدر والطعن من الخلف في احلك الظروف الحرجة التي مرّت بهم، واستمرت كل طائفة

→ فلما رآه رسول الله ﷺ قال: ان هذا من قوم يتأهلون، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه. فلما رأى الهدي وعرف علامته رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله ﷺ إعظماً لما رأى. فقال: يا معشر قريش إنّي قد رأيت ما لا يعلم، صدّ الهدي في قلاته قد أكل اوباره من طول الحيس عن محله. قالوا له: اجلس فإنها أنت أعرابي لا علم لك، فغضب الحليس وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالناكم ولا على هذا حالناكم أن تصدّوا عن بيت الله من جاء معظماً له، والذي نفس الحليس بيده لتخلنّ بين محمد وبين ما جاء له أو لأنقرن بالأحابيش نفرة رجل واحد. فقالوا له: مه كفّ عنّا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به. يراجع الطبري ٢ / ٢٧٦.

منهم تتحین الفرصة تلو الفرصة للتحالف السري مع المشركين والغدر بالنبی ﷺ فاضطر ﷺ للتخلص منهم، ورغم غدرهم ومواقفهم المشينة لم يستخدم العنف مع كثير منهم.

وكان للرسول ﷺ موقف مماثل مع الكافرين خارج الجزيرة العربية حيث كانت دعوته لهم للدخول في الإسلام سلمية من خلال الرسائل التي أرسلها للملوك والرؤساء آنذاك، لكن بعض هؤلاء - مثل كسرى والحارث الغساني - واجهوا هذا الموقف السلمي بالتحدي والاستخفاف حتى قتل بعضهم رسول النبي ﷺ إليهم.

بعد هذه اللمحة الموجزة عن سيرة النبي الأعظم ﷺ ومواقفه السلمية مع أعدائه ومناوئيه من المشركين وأهل الكتاب نعود إلى الحديث حول الآيات الواردة في السؤال فنقول...

ليس هناك مناقضة بين الآيات من القسمين المذكورين في السؤال لأن القسم الأول منها يتحدث عن ان الإيمان الحقيقي يكون عن عقيدة وإرادة من صاحبه، ولا يتحقق بالحث والإكراه النفسي عليه بسبب الرغبة والحرص في هدايتهم الذي عرف به الرسول ﷺ كما تشير بعض هذه الآيات إلى مدى حرص النبي على إيمان الناس وإخراجهم من ظلمات الجهل والشرك ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾^(١).

وأما القسم الثاني من الآيات..

أ) فالآية الأولى ﴿حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾^(٢) تدعو إلى حث المسلمين على التهيؤ والاستعداد للجهاد في مواجهة أعداء الإسلام، ولا

(١) سورة فاطر: ٨.

(٢) سورة الأنفال: ٦٥.

ترتبط باكراه غير المسلمين على الدخول في الاسلام.

ب) والآية الثانية ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾^(١) نزلت بعد فتح مكة ونقض العهد من جانب المشركين، فكانوا هم السبب في انتهاك حرمة انفسهم.

ج) وأما الآية الثالثة ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ...﴾^(٢) فهي تتحدث عن التزامات أهل الكتاب المالية في الدولة الإسلامية التي توفر لهم الأمن وحرية المعتقد والعبادة والأنشطة الاقتصادية المتنوعة، حتى أنهم أعفوا من واجب الجهاد في مواجهة العدوان الذي يواجه البلاد وفرض على المسلمين تحمله عنهم.

د) وأما الآية الرابعة و﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾^(٣) فهي تتحدث عن تحريض المسلمين على الجهاد لدفع عدوان الكافرين عليهم، وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية ان أبا سفيان لما رجع إلى مكة يوم (أحد) واعد رسول الله موسم بدر الصغرى، فتناقل المسلمون عن تلبية نداء الجهاد فنزلت هذه الآية تدعو النبي إلى حث المؤمنين وتحريضهم على الجهاد الدفاعي كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٤) فهذه الآية لا ترتبط بقضية الإكراه على الإسلام، خلافاً لما جاء في السؤال.

(١) سورة الأنفال: ٣٩.

(٢) سورة التوبة: ٢٩.

(٣) سورة النساء: ٨٤.

(٤) سورة النساء: ٨٤.

سورة الإسراء

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

س ٤٦٦ - لماذا قال: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾؟

ج - لأن تلك البقاع التي تحيط ببيت المقدس مقرّ الأنبياء وآثارهم.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ... وَلَيَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَيَبْرُؤُنَّ مَا عَلَّمُوا تَجِيرًا﴾ (٤ - ٧).

س ٤٦٧ - ما هما الوعدان اللذان تشير اليهما هذه

الآيات الكريمة؟

ج - اختلف المفسرون في تحديدهما على عدة أقوال:

منها: انه إشارة إلى بختنصر وملك فارس.

ومنها: ان الأولى إشارة إلى بختنصر والثانية إشارة إلى الإمام

المهدي عليه السلام وأصحابه.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (١١).

س ٤٦٨ - كيف يدعو الإنسان باستعجال الشر مع أنه بطبيعته يتجنبه ولا يريد؟

ج - لعله إشارة إلى استعجال الكافرين لعذاب الله تعالى أو ليوم القيامة، تعتاً وتحدياً للرسول ﷺ كما أشار إليه القرآن مراراً، مثل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ (١).

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٣).

س ٤٦٩ - ما هو الطائر الذي في عنق الإنسان؟

ج - قال الطبرسي: (معناه وألزمنا كل إنسان عمله من خير أو شر في عنقه - عن ابن عباس ومجاهد وقتادة - يريد جعلناه كالطوق في عنقه فلا يفارقه. وإنما قيل للعمل طائراً على عادة العرب في قولهم: «جرى طائره بكذا».)
ومثله قوله سبحانه: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ (٢) وقوله: ﴿إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٣) (... (١).

(١) سورة العنكبوت: ٥٣.

(٢) سورة يس: ١٩.

(٣) سورة الاعراف: ١٣١.

(٤) مجمع البيان: ٦ / ٦٢٢.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ (١٦).

س ٤٧٠ - كيف يأمر الله تعالى بالفسق؟ وكيف يعاقب عليه بعد ذلك؟

ج - لم تتضمن الآية الكريمة أن المأمور به هو الفسق، بل المأمور به هو الطاعات إلا أن هؤلاء لم يفعلوها ففسقوا وعصوا.

ولو فرضنا أن المتعلق المحذوف للأمر هو الفسق فهو من باب المجاز باعتبار أنه تعالى هتأ لهم أسباب ذلك كالترف والنعم المتتالية التي لم يحسنوا التعامل معها، فيكون نظير نسبة الإضلال والهداية إليه تعالى في عدة آيات، من دون أن يعني ذلك أنه يجبر الناس على ذلك.

س ٤٧١ - إذا كان الفاسقون هم المترفين فلما يعذب الجميع، مع أنه تعالى قال: ﴿وَلَا تَمَرُّ وَازِرَةٌ وَازِرَةٌ أَخْرَى﴾؟

ج - إن الفسق لم يقتصر على المترفين، وإنما نص عليهم باعتبار أنهم هم السبب في إفساد المجتمع، بسبب تأثيرهم الاجتماعي الفاعل، بينما الفقراء ليس لهم ذلك التأثير الاجتماعي.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (٤٢).

س ٤٧٢ - لرُبَّ قائل يقول إن الإلهة تتفق فيما بينها في خلق الكون وإدارته دفعاً للتنازع والفساد؟

ج - إن الذي يحتاج إلى الاتفاق مع الآخرين هو المخلوق المحدود في قدراته وسلطانه، والمفروض في الإله استغناؤه المطلق بذاته ولا حد لقدرته وسلطانه، فالحاجة إلى الاتفاق والمساومة مع الآخرين دليل نفي الألوهية.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى...﴾ (٤٧).

س ٤٧٣ - ما معنى ما يستمعون به؟

ج - كأنه يشير إلى الغاية والهدف من استماعهم للرسول ﷺ، وهو الواقعة والمؤامرة يعني نحن نعلم هدفهم الذي يستمعون بسببه أي من أجله.

﴿... وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ...﴾ (٦٠).

س ٤٧٤ - ما هي الرؤيا وما هي الشجرة الملعونة

في القرآن؟

ج - قيل: إن النبي ﷺ رأى شجرة الزقوم التي أشار إليها القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْإِيْمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾^(٢)، حيث تضمن القرآن ذمها ودم آكلها.

وتضمنت بعض النصوص من الفريقين أن الشجرة الملعونة كناية عن بني أمية وحكمهم الظالم، وأن النبي ﷺ رأى ولد مروان بن

(١) سورة الدخان: ٤٣ - ٤٦.

(٢) سورة الصافات: ٦٢ - ٦٣.

الحكم ينزون على منبره كالقروء، فاغتم لذلك وما رؤي ضاحكاً إلى أن مات، وأن الآية نزلت في هذه المناسبة^(١).

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ
وَكَيْلاً﴾ (٦٥).

س ٤٧٥ - كيف نفى سلطان الشيطان على عباده مع أن الغاوين عباده أيضاً ولذلك استثناهم في سورة الحجر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٢) ؟

ج - لعل الفارق بين الموردين أنه اعتمد هنا على قرينة ما سبق قبل ثلاث آيات حيث استثنى من عباده من تبع الشيطان: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً﴾^(٣) بينما في سورة الحجر لم يتقدم على الآية المذكورة ما يوضح طبيعة المستثنى بالضبط، إذ الذي تقدم على تلك الآية حكاية قول إبليس: ﴿... وَالْأَغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٤)، فلو لم ينص على المستثنى لتوهم أن الناجين خصوص العباد المخلصين، ولا يشمل غيرهم كالمستضعفين الذين قد تشملهم رحمة الله تعالى لعدم اتباعهم لإبليس. والله العالم. وننوه هنا أن السلطان بمعنى السيطرة التكوينية لإبليس منتفية بالنسبة للصالحين والطارحين على السواء، إلا أن الطالحين يطيعونه بسوء إختيارهم.

(١) مراجع الكشاف: ٦٧٦ / ٢. والتفسير الكبير: ٢٠ / ٢٣٧.

(٢) سورة الحجر: ٤٢.

(٣) سورة الإسراء: ٦٣.

(٤) سورة الحجر: ٣٩، ٤٠.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ (٦٩).

س ٤٧٦ - ما هو التبع؟

ج - الذي يتابع ويطلب بهم. قال الزمخشري: (التبع: المطالب، من قوله: ﴿فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي مطالبة، يقال: فلان على فلان تبع بحقه أي مصيطر عليه مطالب له بحقه. والمعنى: أنا نفعل ما نفعل بهم، ثم لا تجد أحداً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منا ودركاً للثأر من جهتنا. وهذا نحو قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾^(١).

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٧٢).

س ٤٧٧ - كيف يكون في الآخرة أعمى والحقائق

هناك تتضح للجميع وتزول الحجب كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٢)؟

ج - لا شك أنه ليس المراد من الأعمى في الدنيا فاقد البصر، وإنما يراد منه فاقد البصيرة والمنحرف، باعتبار اشتراكه مع فاقد البصر في إضاعة الطريق وحرمانه من بلوغ سعادته. وبهذا الاعتبار أطلق على المنحرفين والكافرين في الآخرة الذين أضاعوا حظهم وسعادتهم وخسروا أنفسهم.

بل إطلاقه على هؤلاء أولى لأن الإيمان والاستقامة في الدنيا وسيلة للسعادة الأخروية، وليس هدفاً، بينما سعادة الآخرة هي الهدف، فضياعها

(١) الكشاف: ٢ / ٦٨٠.

(٢) سورة ق: ٢٢.

- من جانب الفاسقين - أولى باطلاق العمى ، وبتعبير آخر أنه إذا كان من أضاع - في الدنيا - الوسيلة إلى السعادة والرضوان أعمى فاطلاق العمى على من أضاع - في الآخرة - نفس السعادة والرضوان الإلهي أولى، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ بَشَّرْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤-٧٣).

س ٤٧٨ - ألا يعني ذلك أن الرسول ﷺ قد

عزم على الافتراء على الله تعالى؟

ج - ليس في الآيتين ما يشير إلى العزم المزعوم، وإنما كان النبي ﷺ - لفرط شففته على الناس ورغبته في هديتهم وإيمانهم - يلين معهم، وعندما طلب منه بعضهم إمهال أصنامهم أو الكف عن تسفيهاها أو نحو ذلك - على اختلاف الروايات - ربا خطر في نفسه أن يستجيب لهم رغبة في جذبهم للإسلام من دون أن يعزم عليه، ولما وجد عدم انسجام طلبهم مع مسؤوليته التي يتحملها أعرض عنه، وذلك كما تلوح في نفس الإنسان عدة خيارات قبل أن يصمم على أحدها.

والثبوت والتسيد الإلهي لا يعني تصميم الرسول ﷺ وعزمه على المخالفة، وإنما هو اللطف الإلهي الذي يشمل عباده المخلصين - كلاً حسب مقامه ومرتبته - كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨).

س ٤٧٩ - لماذا خصَّ قرآن الفجر أي صلاة الفجر بذلك، مع أن باقي الصلوات اليومية الأربع التي تحدث عنها الآية مشهودة أيضاً؟

ج - تضمنت النصوص الواردة عن النبي ﷺ وآل بيته أن صلاة الفجر تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار، ولذلك وُصفت بأنها مشهودة^(١). وفي بعض النصوص أن ذلك يختص بأول طلوع الفجر، ففي الحديث عن اسحاق بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله - الصادق - عليه السلام: «أخبرني عن أفضل المواقيت في صلاح الفجر». قال: مع طلوع الفجر، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ يعني صلاة الفجر تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، فإذا صلى العبد صلاة الصبح مع طلوع الفجر أثبت له مرتين، تثبت ملائكة الليل وملائكة النهار^(٢).

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِنُحُورِنَا أَوْ تَكُونُ لَنَا حُكَّةً أَوْ حِجَابًا مُبِينًا﴾ (٩٢).

س ٤٨٠ - إذا كان النبي ﷺ قد وعدهم بإسقاط السماء كيف يُخلف وعده؟

ج - إنها أخبر عن حدوثها ضمن أشراف الساعة ويوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(٣) و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا

(١) الجامع الصحيح: ٣ / ٢٥٢.

(٢) وسائل الشيعة: ٣ / ١٥٤، حديث: ١.

(٣) سورة الانفطار: ١.

وَحَقَّتْ^(١) وهؤلاء استعجلوا بها على خلاف ما وعدهم.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (٩٥).

س ٤٨١ - لماذا لا يصلح الملك رسولا للبشر؟

ج - حيث كان الهدف من بعثة الأنبياء هداية البشرية وإصلاح شؤونهم وأن يكون منارا لهم وقدوة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(٢)، فإذا كان الرسول مخالفا لهم في طبيعته فلا تقوم به الحججة عليهم، ولا يهتدون به، بل يرتابون في أمره ولا يقتدون به، خاصة إذا كان ملكا فاقدا للهوى والشهوة بطبيعته - كما هو المعروف - بعكس ما إذا كان مشاركا لهم في طبيعتهم ويعيش بينهم ويصيبه ما يصيبهم.

نعم، من الموارد التي لا يكون الملك قدوة للمرسل إليه يمكن أن يحمل الرسالة الإلهية ولذلك يرسل الله تعالى الملك رسولا إلى أنبيائه، ولا يُرسلهم إلى المجتمع البشري لإصلاحه وإقامة الحججة عليه، لأن دور الملك المرسل إلى النبي مجرد إبلاغ رسالته وتعاليمها بخلاف دور الأنبياء في أممهم، فأنهم قدوة لهم. والله العالم.

س ٤٨٢ - إذا كان يفترض في الرسول أن يكون

من جنس من يُرسل إليه فكيف صح أن يكون

النبي ﷺ هاديا للجن، كما أشارت إليه آيات

من سورة الجن وبعض النصوص؟

(١) سورة الانشقاق: ١ - ٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٥ - ٤٦.

ج - انّ الجنّ يشاركون الإنس في الهوى والشهوة والطاعة والمعصية، ومع ذلك قد يكون دور النبي ﷺ بين الإنس أقوى من دوره بينهم - كما يبدو - حيث لا تشير الآيات والنصوص إلى الارتباط الوثيق والدور الفاعل له ﷺ بين الجن، كما هو بين الإنس، حيث الجهاد والتضحيات والتعاليم الإسلامية المفصلة، ولعلّ شمول رسالته ﷺ للجن، لعدم وجود من هو مؤهل منهم لحمل الرسالة الإلهية الخاتمة لأبناء نوعه. والله العالم.

س ٤٨٣ - لماذا قال: ﴿يَمْشُونَ مُنْمَئِينَ﴾ وهل

الملائكة وجلون في الأرض؟

ج - الطمأنينة هنا بمعنى السكون والاستقرار. قال الزجاج: معناه مستوطنين في الأرض^(١)، وليست هي بمعنى الأمن، في مقابل الوجل والخوف.

﴿... وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكَيًّا وَصُفًّا...﴾ (٩٧).

س ٤٨٤ - كيف يكونون كذلك وقد تحدث القرآن أنهم يبصرون ما حولهم ويتكلمون ويسمعون الكلام؟

ج - أشرنا قبل قليل إلى إضاعتهم حظهم وخسرانهم سعادتهم وعدم انتفاعهم بأعضائهم وملكاتهم مثل الصم والبكم والعمي.

وربما يكون ذلك أيضاً إشارة إلى مدى الهلع والارتباك الذي يتناهم بسبب شدة عذابهم.

(١) لسان العرب: ١٣ / ٢٦٨.

سورة الكهف

﴿مَا كَثِيرٌ فِيهِ آيَاتٌ﴾ (٣).

س ٤٨٥ - ما هو مرجع الضمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾.

ج - هو الأجر المتقدم، أي يتنعمون في ذلك الأجر أبداً.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا

عَجَبًا﴾ (٩).

س ٤٨٦ - ألتوحي هذه الآية نفي العجب من قضية

أصحاب الكهف مع آتيا مدعاة للتعجب فعلاً؟

ج - قال الطبرسي: فلخلق السموات والأرض أعجب من هذا - عن

مجاهد وقتادة - ويحتمل أنه لما استبطأ الجواب حين سأله عن القصة قيل

له: أحسبت أن هذا الشيء عجب، حرصاً على إيمانهم حتى قوي طمعك

أنك إذا أخبرتهم به آمنوا^(١).

﴿... لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصُرْ بِهِ وَأَسْمِعْ...﴾ (٢٦).

س ٤٨٧ - ما معنى: ﴿أَبْصُرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾؟

(١) مجمع البيان: ٦ / ٦٩٧.

ج - هذه من الصيغ العربية للتعجب، والمعنى ما أبصره وأسمعه!

﴿كَلِمَاتٍ الْجَعْبَتِينَ أَنْتَ أَكَلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا...﴾ (٣٣).

س ٤٨٨ - كيف يتصور الظلم هنا حتى ينفيه؟

ج - الظلم هنا بمعنى النقصان، أي لم تنقص منه شيئاً.

﴿وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ

مَرَّةٍ...﴾ (٤٨).

س ٤٨٩ - كيف يكون مجيئهم كما خلقوا في الدنيا؟

ج - يُحْشَرُ كُلُّ إِنْسَانٍ وَحْدَهُ عَجْرَدًا مِنَ الْأَعْوَانِ وَالْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِفَاةً عَرَاةً غُرْلًا»^(١) (٢).

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٨٢).

س ٤٩٠ - كيف لم يلتزم موسى بوعدده واعتراض

على العالم - الذي يقال إنه الخضر - ولم يصبر؟

ج - إن اعتراض موسى ﷺ كان ضمن الإدراك العام للحكمة

والصواب، بينما كان سلوك الرجل العالم منسجماً مع ما اختص به من العلم، ولذلك قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾.

(١) جمع أعرج وهو الأقف غير المختون.

(٢) مجمع البيان: ٦ / ٧٣٢.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْمَعُونَ سَمْعًا﴾ (١٠١).

س ٤٩١ - الذُّكْرُ لَيْسَ مِنْ شُؤْنِ الْعَيْنِ حَتَّى
تَكُونَ فِي غِطَاءٍ عَنْهُ.

ج - هذا التعبير كناية عن العمه وانعدام الوعي والبصيرة، ولذلك امتد أثره إلى السمع، فلم يستوعبوا ما يسمعون. فليس الخلل في عضوي البصر والسمع، بل في البصيرة والاستيعاب.

سورة مريم

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (١٠).

س ٤٩٢ - كيف يكون سكوته آية؟

ج - باعتبار أن لسانه اعتقل عن الكلام العادي، ولذلك نُصب الفعل بأن المصدرية بعد (لا) النافية، وقد تقدم توضيحه. ^(١)

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (١٣).

س ٤٩٣ - ما معنى الزكاة هنا؟

ج - لعل المراد به الطهر - كما ان تزكية المال تطهيره - أي ان الله تعالى حباه بالحنان عليه والطهر.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (١٨).

س ٤٩٤ - كيف تقول ذلك مع أن الفاسق هو الذي يتعوذ منه؟

ج - كلاً، لأن هذا الخطاب وإظهار التعوذ بالرحمن إنما يجدي بالنسبة لمن

(١) يراجع ص ٩١ - ٩٢.

يتقي الله ويخشاه إذا خيف منه، كما حصل بالنسبة لمريم حيث كان هدفها ردع المخاطب عما تخشاه منه، أما الذي لا يتقي الله فلا يرتدع بالتعوذ بالله تعالى.

﴿فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا
فَلَنْ أَكَلَمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (٢٦).

س ٤٩٥ - لماذا دعاها إلى صوم الصمت؟

ج - لعل الحكمة في ذلك أن تتجنب الجدل مع الناس ويتكفل عيسى عليه السلام محاورتهم والرد عليهم، فيظهر الاعجاز الإلهي وتثبت براءتها - كما حصل ذلك بالفعل -.

س ٤٩٦ - إذا كانت صائمة بصوم الصمت

فكيف تحدثهم بذلك؟

ج - لعل المقصود من القول (فقولي) هو البيان والإفهام بأية وسيلة أخرى دون الكلام اللفظي، كما تقول عندما تكتب أمراً لصديقك: قلت له كذا، مع أنك كتبت إليه ولم تلفظ بذلك. ويؤيد هذا الذي ذكرناه قوله تعالى - فيما بعد - ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾^(١) فكانت إشارتها قرينة على صومها المذكور، ولذلك لم تقل لهم ذلك لفظاً.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٣٤).

س ٤٩٧ - ما معنى أن يكون عيسى قول الحق؟

ج - المقصود - والله العالم - أن القول الحق في عيسى هو ما ذكرناه، كما تقول: إن قصة عيسى وأمره كذا حقاً.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا...﴾ (٦٢).

س ٤٩٨ - كيف يستثنى السلام من اللغو مع أنه ليس من اللغو بل مباين له؟

ج - هذا الاستثناء منقطع - كما يسميه النحاة - حيث لا يندرج المستثنى ضمن المستثنى منه، بل لما نفى سماعهم للغو، فقد يتوهم أن ذلك يكشف عن صمت الملائكة بحيث لا يسمع منهم أهل الجنة أي كلام، لأن سماع اللغو مألوف في الحياة الدنيا التي عاشوا فيها من قبل، فنفى هذا التوهم بأنهم يسمعون السلام الذي هو مباين للغو، ويكون بشرى لهم حيث تستقبلهم الملائكة بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (١).

﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ (٧١-٧٢).

س ٤٩٩ - هل يعني ذلك ورود المؤمنين والأنمة والأنبياء إلى النار؟

ج - هناك اختلاف بين المفسرين في معنى الورد وكيفية، ففسره بعضهم بالإشراف على النار، بينما حمله آخرون على الجواز على الصراط، وأن الناس يتفاوتون في العبور وفي سرعته. وقد يستثنى البعض المعصومين ^{عليهم السلام} من ذلك.

(١) سورة الزمر: ٧٣.

سورة طه

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥).

س ٥٠٠- بما أن الرحمن منزّه عن أن يكون جسماً فكيف يستوي على العرش؟

ج- لقد تقدم في الآية (٢٩) من سورة الأعراف أن العرش عالم الإيجاد، والاستواء هو السيطرة والاستيلاء.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (١٥).

س ٥٠١- لماذا قال: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ مع أنه قد أخفاها بالفعل كما قال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾^(١)؟

ج- قيل أي أريد أن أخفيها. ولعل التعبير بـ(أَكَادُ) إنما صح باعتبار أن هناك أشراطاً وعلامات على قرب حلول الساعة تظهر لمصالح خاصة في أظهارها. فقوله: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ للإشارة إلى ذلك، وأنه لو لا المصالح المذكورة لكانت الساعة مخفية تماماً، مفاجئة من دون تلك العلامات والأشراط.

﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَىٰ ﴾ (٢٢).

س ٥٠٢ - لماذا قال : ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ ؟

ج - حيث كان المألوف أن يكون البياض غير المتعارف بسبب مرض معين كالبهق والبرص، فأراد أن يطمئنه أن البياض ناصع وليس من ذلك النوع المرضي.

﴿ وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانٍ * بِفَقَّهُوا قَوْلِي ﴾ (٢٧ - ٢٨).

س ٥٠٣ - لماذا طلب ذلك؟ وماهي العقدة في لسانه؟

ج - قيل: انه كان في لسانه رُتة لا يفصح بسببها بالحروف، وروي أن سبب ذلك جمره طرحها في لسانه عندما كان صغيراً في بيت فرعون، وذلك لما أراد فرعون قتله، لأنه أخذ بلحية فرعون وشفها وهو طفل. فقالت آسية بنت مزاحم لفرعون: لا تفعل فانه صبي لا يعقل، ولا يميز بين الدرة والجمرة، فأمر فرعون فأحضرت دُرَّة وجمرة بين يديه، فأراد موسى أن يأخذ الدرة، فصرف جبرئيل يده إلى الجمرة فأخذها ووضعها في فيه، فاكتوى لسانه بها، فأصابته الرُتة، وقد رفعها الله تعالى بعد دعائه هذا^(١).

﴿ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾ (٣٢).

س ٥٠٤ - هل شارك هارون موسى في النبوة بمعنى أنه صار نبياً مثله؟

ج - نعم، فقد جعله الله تعالى نبياً إلى جنب موسى عليه السلام وفي حياته،

(١) يراجع مجمع البيان: ١٥ / ٧.

كما نصّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ...﴾^(١)،
ولذلك استثنى الرسول ﷺ النبوة في حديث المنزلة الوارد في حق
الإمام علي عليه السلام حيث قال له: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من
موسى، إلا أنه ليس نبيّ بعدي»^(٢).

﴿قَالَ رَبِّنَا إِنَّمَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ (٤٥).

س ٥٠٥ - كيف لا يفتدان الأمر الإلهي أو
يترددان فيه خوفاً من القتل أو طغيان فرعون؟

ج - كلاً، ليس هو من باب الامتناع عن التنفيذ ولا التردد فيه،
والمقصود هو توقع عدم إمكانية تحقيق وتنفيذ المهمة الموكلة إليها بإصلاح
فرعون، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ
يَخْشَى﴾ لما يعرفان من طغيانه وكبريائه، ولذلك لم يرّد الباري عليها ولم
يعتفها، بل أشار إلى أن هناك مهمة أخرى وراء ذلك، وهي تخلص
بني اسرائيل من فرعون: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ...﴾.

﴿قَالَ رَبِّنَا الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٥٠).

س ٥٠٦ - ما معنى إعطاء الأشياء خلقها؟

ج - المقصود ايجادها وتكوينها، وأنه تعالى قد وقرها الطبيعة
أو الغريزة وحدها - بالنسبة لغير العقلاء أو مع العقل لنموها
وصلاح شأنها.

(١) سورة طه: ٤٧.

(٢) الجامع الصحيح للبخاري: ١٧٦/٣. حديث: ٤٤١٦.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ * قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥١ - ٥٢﴾.

س ٥٠٧ - لماذا سأل فرعون عن الأمم الماضية؟

ج - يبدو أن فرعون بعد أن فوجئ بالدعوة إلى عبادة الله تعالى، أراد أن يعرف مصير الذي لا يستجيب لذلك، وأنه هل يُترك وشأنه أو يحاسبه الله ويعاقبه عليه فسأل عن الأمم الماضية التي ماتت على كفرها. فأجابه موسى بأن الله لم يهمل شأنهم، بل ثبت مواقفهم في اللوح المحفوظ، وفي ذلك إشارة إلى حسابهم، لأن تثبيت المواقف السيئة وحفظها ليس عبثاً، وإنما ليترتب الثواب والعقاب على ضوء ذلك.

﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ (٦٣).

س ٥٠٨ - لماذا لم ينصب اسم (إن) فيقول: إن

هذين لساحران، وليس: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ الذي قد يبدو غلطاً؟

ج - أولاً: إن هذا ليس غلطاً، بل قد يكون جريماً على لغة (كنانة) الذين يثبتون ألف المثني في كل الأحوال فيقولون إن الرجال نائمان قال بعض شعرائهم:

واهاً لريثم واهاً واهاً يا ليت عيناها لنا وفاها
وموضع الخال من رجلاها بثمان نعطي به أباهها
إن أباهها وأبا أباهها قد بلغا في المجد غايتهاها

فلم يقل: عينيها، فيها، رجليها، أبيها، وغيبتها.

وقال آخر:

تزوّد متّابين اذناه طعنةً دعته الى هابي التراب عقيم

فلم يقل: أذنيه.

وقال آخر:

فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساعاً لناباه الشجاع لصماً

فلم يقل: لنابيه. علماً أن الآيات القرآنية لم يقتصر تنزيلها على لغة قريش.

وثانياً: ان هناك قراءات اخرى للآية، فقد قرأ ابو عمرو «ان هذين»

وقرأ ابن كثير وحفص «أن هذان» فالاشكال المزعوم إنما هو على القراءة

المعيّنة لا على القرآن نفسه.

﴿... فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ...﴾ (٧١).

س ٥٠٩ - ما معنى: ﴿مِنْ خِلَافٍ...﴾؟

ج- هو أن تكون اليد المقطوعة مخالفة للرجل المقطوعة، كأن يقطع اليد

اليمنى والرجل اليسرى، وهو أبلغ في التنكيل، لما فيه من المثلة والتشويه.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ قال هم أولاء على

أثري وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (٨٣ - ٨٤).

س ٥١٠ - كيف استعجل موسى؟

ج- قيل: انّ الله جعل ميعاد موسى وقومه أو الصفوة من قومه

جانب الطور الأيمن ليُنزل عليه الألواح والشريعة، فسبق موسى قومه

للميعاد ليناجي ربه، ولعله للتمهيد إلى جلبهم للميقات، فأخبره الله تعالى

بالفتنة التي عصفت بهم في غيابه.

﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْ زَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ (٨٧).

س ٥١١ - كيف وجهوا عذرهم بذلك، وتغيير

العقيدة أمر تابع لاختيار الإنسان ولا يجبر عليه؟

ج - كأن عذرهم أن هذا الانحراف والكفر لم يكن مقصوداً لهم من أول الأمر، وإنما كان بسبب الفتنة التي داهمتهم فأفقدتهم صوابهم وسيطرت على عقولهم.

ويلاحظ التعبير الرائع عن حلي القوم بالأوزار - بمعنى الأثقال - ، باعتبار ما آلت إليه، حيث صارت سبباً لضلالة بني اسرائيل وإثقال كاهلهم بالمعاصي، وبالعقوبات الإلهية لهم في الدنيا من التيه في الصحراء وأمرهم بقتال بعضهم بعضاً. كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١)، بالإضافة إلى ما يوحيه لفظ «الأوزار» من كثرتها وثقلها المادي أيضاً.

﴿ قَالَ قَاذِهِبُ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ... ﴾ (٩٧).

س ٥١٢ - ما معنى: ﴿ لَا مِسَاسَ ﴾؟

ج - قيل إن الله تعالى ابتلاه بالتحسس الجسدي - فيثيره أي تماس مع غيره - أو النفسي من الناس مما أدى إلى عزله عنهم حتى هام في البراري وتوحش.

﴿ ... وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (١٠٢).

س ٥١٣ - ما معنى حشرهم زُرْقًا؟

ج - لعلّه بسبب هول العذاب وشدّته تنوتر أعصابهم فينجس الدم في عروقهم فتميل وجوههم أو أجسادهم للزرقة، أو أنّ وجوههم تتحول بسبب هلعهم - شاحبةً بيضاء، ومن معاني الزرقة بياض خاص، قال ابن منظور: «وقيل: الزرقى: بياض لا يُطيف بالعظم كلّ، ولكنّه وضخ في بعضه»^(١).

﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ (١٠٣ - ١٠٤).

س ٥١٤ - كيف يكون من قدر مدّة المكث الطويلة
بيوم أو فرهم عقلاً مع أنّ تقديره أبعد عن الصواب؟
ج - لعلّه باعتبار أن المقدّر هو فترة مكثهم في القبر، وهناك لا يتوارد عليهم الليل والنهار، فهو - من هذه الجهة - أقرب إلى اليوم من حيث الكيفية لا الكمية. ولعلّه إشارة إلى مدى التخبط والارتباك الذي يشمل العامل منهم في ذلك.

﴿... وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (١١٣).

س ٥١٥ - كيف يُحدث لهم ذكراً؟

ج - لأن الوعيد يوجب الخشية والخوف لدى المخاطبين والمستمعين فيدعوهم ذلك للتقوى وذكر الله والتوجه والتضرع اليه، فهو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾^(٢).

(١) لسان العرب: ١٠/١٣٩.

(٢) سورة عبس: ٤.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤).

س ٥١٦ - كيف! وهناك الكثير من المنحرفين والكافرين يعيشون حياة مترفة؟

ج - لعله باعتبار أن هؤلاء - رغم ترفهم المادي - يعيشون حالة الاضطراب والتوجس بالنسبة لما يواجهونه بعد الموت من المصير المجهول، لعدم إيمانهم بالله تعالى والتزامهم بنهجه القويم. فيفقدون سكينه الإيمان واطمئنان وأمل المؤمنين.

﴿فَاضْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (١٣٠).

س ٥١٧ - ماهي خصوصية هذه الأوقات للتسبيح؟

ج - هناك رأيان للمفسرين: الأول أن الآية بصدد الحث على مداومة ذكر الله وتسبيحه، وهذه الأوقات تستوعب وقت يقظة الإنسان في اليوم واللييلة. الثاني: ان الآية تشير إلى أوقات الصلاة، فصلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وصلاتا الظهرين الممتد وقتها إلى ما قبل الغروب، وصلاتا العشاءين في الليل وربما صلاة الليل أيضاً. قيل: واطراف النهار إشارة إلى الصلوات المستحبة التي يؤتى بها نهاراً كما يؤتى بصلاة الليل المستحبة ليلاً^(١).

(١) يراجع التفسير الأمثل: ١٠/١٠٨.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ
الْأُولَى﴾ (١٣٣).

س ٥١٨ - ما هي البيّنة التي وصلتهم؟

ج - هي ما تحدّث به القرآن من مصير الأمم السابقة الذين طلبوا آيات من ربهم، ثم لم يلتزموا بعهدهم، فلم يحفظوها مثل قوم نبي الله صالح الذين طلبوا الناقة لتكون آية لهم ثم لم يحفظوها، فأنزل الله تعالى عليهم العذاب الماحق. فالآية الكريمة تحذّر هؤلاء من اقتراح آيات معينة قد يكفرون بها - كما كفرت الأمم السابقة - فينزل عليهم الغضب الإلهي والمحق في الحياة الدنيا.

سورة الأنبياء

﴿... وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ (٣).

س ٥١٩ - ماذا يقصدون من ذلك؟

ج - كان الظالمون يحذرون الناس من اتباع الرسول ويتهمونه بالسحر، ويقولون لهم: «كيف ينطلي عليكم سحر الساحر وتؤمنون به؟!».

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَوَا الْأُمَّحَدْنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٧).

س ٥٢٠ - ما معنى اتخاذ اللهو من لدنه؟

ج - كأنه بصدد بيان استغناؤه تعالى عن التلهي بما يلهو به البشر، وأنه لو أراد التلهي لاتخذ هواً يناسب شأنه، تعالى الله سبحانه عن ذلك علواً كبيراً.

﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾ (٢٢).

س ٥٢١ - لماذا يوجب تعدد الآلهة الفساد؟

ج - هناك بحوث مفصلة حول الموضوع ذكرت في الفلسفة وعلم الكلام، ونشير هنا إلى جانب منها، وهو أن مقتضى الألوهية الكمال المطلق، ومنه عدم محدودية قدرة الله، وحيثذاً فكل إله سوف يوظف قدرته لتثبيت

سلطانه، إذ لا يعقل إرادة ما لا ينسجم مع بسط سلطانه، ويلزم من ذلك اصطدام الارادات وفساد عالم التكوين.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٠).

س ٥٢٢ - كيف كانت السموات والأرض رتقاً وكيف فتقنا؟

ج - روي أن السموات كانت رتقاً لا تمطر، والأرض كانت رتقاً لا تنبت الزرع، ففتقت الأولى بأن مطرت والثانية بأن أنبت الأشجار واثمرت الثمار وامتلات بالأنهار^(١).

س ٥٢٣ - كيف يكون كل حي من الماء مع ان الملائكة والجن ليسوا من الماء بل من النور والنار- كما قيل -؟

ج - الظاهر أن المنظور الأحياء الظاهرة في الأرض، والتي هي منظورة للإنسان، لأن الآية بصدد دعوة الكافرين للنظر والاعتبار. وليست بصدد بيان حقيقة علمية مجردة من حقائق علم الأحياء.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣٣).

س ٥٢٤ - إن قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يشمل الليل والنهار مع أنها لا يسبحان لأنها مجرد أثر حركة الأرض حول الشمس وإذا كان المقصود

(١) يراجع تفسير القرآن الكريم لأبي حمزة الثمالي: ٢٤٤.

خصوص الشمس والقمر فكان يفترض الإتيان

بضمير التثنية فيقول «يسبحان»؟

ج - حيث كان حدوث الليل والنهار تابعاً لسباحة الجرم، فنسبت إليها السباحة أيضاً من باب التغليب.

ويحتمل رجوع ضمير الجمع إلى الشمس والقمر فقط، وفي ذلك إشارة إلى تعدد أفراد الشمس والقمر، كما أثبتته العلم الحديث. فصح استعمال ضمير الجمع.

س ٥٢٥ - كيف استعمل ضمير الجمع للعقلاء

مع ان هذه الأمور غير عاقلة؟

ج - لعل الذي سوغ ذلك كون هذه السباحة مقتضى الحكمة والتدبير، فيكون السابح بمنزلة العاقل، ورعاية مثل هذه المناسبات شائع في اللغة العربية المبتنية على المناسبات المجازية اللطيفة.

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (٣٧).

س ٥٢٦ - ما معنى: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾؟

ج - باعتبار حب الإنسان ودأبه على الاستعجال نُسب إليه مجازاً واعتُبر كأنه أصله. بينما يفترض بالعاقل تحكيم العقل والحكمة وتجنب الاستعجال عندما لا ينبغي له ذلك.

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ (٥٧).

س ٥٢٧ - كيف هددهم ابراهيم بتدمير أصنامهم

فأوجب شكهم فيه عندما رأوها مدمرة، وكان

يفترض أن لا يهددهم بذلك؟

ج - لم يكن هدف ابراهيم مجرد تدميرها إذ لا أهمية لذلك، لأنهم سرعان ما يعيدونها، بل قصد من ذلك أن يثير الشبهة نحوه، ليكون ذلك منطلقاً مناسباً للحوار معهم، بعد أن يهزم حدوث التدمير، وأبقى الصنم الكبير، ليعطيهم فسحة للتفكير والمقارنة.

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ (٦٣).

س ٥٢٨ - كيف نسب تدمير الأصنام إلى الصنم الكبير، وهو خلاف الحقيقة، والأنبياء منزّهون عن الكذب؟

ج - الكذب هو الإخبار الجاد بهدف تمويه الحقيقة، وابراهيم عليه السلام قال ذلك على سبيل السخرية والتهكم، فلا يكون كذباً، ولذلك لم يقبلوا ذلك منه، لعلمهم بتهكمه وامتناع صدور ذلك من الصنم الكبير، ولذلك قال: ﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون^(١).

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (٧٩).

س ٥٢٩ - كيف يخطأ داوود الحكم الشرعي مع أنه كان نبياً ورسولاً، وقد قال تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ... ﴾^(٢)

ج - ذكر بعض المفسرين أن اختلافها كان في كيفية تطبيق الحكم،

(١) سورة الأنبياء: ٦٤ و ٦٥.

(٢) سورة ص: ٢٦.

لا في أصله، إذ تضمنت النصوص أن داوود حكم باعطاء الغنم لصاحب الكرم، وأن سليمان حكم له باللبن والصوف ذلك العام، وهما تطبيقان مختلفان للحكم الشرعي بضمان قيمة ما أتلفته الأغنام، إلا أن سليمان اختار الصيغة الأرفق لصاحب الغنم بالضمان.

وقد تضمنت بعض النصوص المعتبرة أنها تحاورا قبل إصدار الحكم، ولم يختلفا في الحكم نفسه، فقد روى جميل بن دراج عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ قال: لم يحكما، إنما كانا يتناظران، ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾^(١). ويبدو أن الهدف كان تكريم سليمان عليه السلام وبيان فضله، تمهيداً لنبوته بعد أبيه داود عليه السلام.

﴿وَذَا الثُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ...﴾ (٨٧).

س ٥٣٠ - كيف يظن نبي من الأنبياء بعدم قدرة الله عليه مع أن مقتضى الإيمان الإذعان بعموم قدرة الله تعالى؟

ج - إن ﴿نَقْدِرَ﴾ هنا ليس فعلاً من القدرة، بل يراد منها معنى التقدير أو التضييق: «قال الفراء: المعنى: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ من العقوبة ما قدرنا. وقال أبو الهيثم - بعد أن ذكر معنى التقدير -: ويحتمل أن يكون تفسيره: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَضِيقَ عَلَيْهِ، من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾^(٢) أي ضيق عليه، قال: وكذلك قوله: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣/١٠١.

(٢) سورة الطلاق: ٧.

فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ»^(١) معنى فَقَدَرَ عَلَيْهِ: فضَيَّقَ عليه. وقد ضَيَّقَ الله على يونس عليه السلام أشدَّ التضييق ضيقه على معذب في الدنيا، لأنه سجنه في بطن حوت، فصار مكظوماً أخذ في بطنه يكظمه»^(٢).

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٩٥).

س ٥٣١- ما معنى أن يكون عدم رجوعهم حراماً؟

ج- فسر الكسائي - تبعاً لابن عباس - الحرام بالواجب، كما في قول عبد الرحمن بن جهمان المحاربي:

فإن حراماً لا أرى الدهرَ ياكياً على شجوه إلا بكيتُ على عمرو^(٣)

ويمكن أن تكون (لا) هي التي تسمى في العربية بالزائدة، وأن

المعنى: حرام على القرية التي نزل عليها العذاب رجوعهم.

وهناك وجه ثالث في تفسير الآية، وذلك أن قوله في الآية السابقة:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾

يتضمن الفسحة لكل إنسان لعمل الصالحات وثبوتها وكتابتها في سجل

أعماله، فاستدرك على ذلك بقوله ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا

يَرْجِعُونَ﴾ لتأكيد أن القرية التي ينزل عليها العذاب لا تبقى لأهلها فسحة

لذلك، لأنهم لا يرجعون للدنيا حتى يعتبروا بما حدث لهم، فيؤمنوا ويعملوا

الصالحات. وعلى هذا الوجه يكون قوله: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ علة لما سبق.

ومن الواضح أن الحرمة على الوجهين الثاني والثالث هي الحرمة

التكوينية أي الامتناع لا الحرمة التشريعية.

(١) سورة الفجر: ١٦.

(٢) لسان العرب: ٧٧ / ٥.

(٣) يراجع لسان العرب: ١٢٧ / ١٢.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥).

س ٥٣٢ - ما هي الأرض التي يرثها العباد
الصالحون؟

ج- أشارت بعض النصوص التفسيرية للآية إلى أن الإمام المهدي عليه السلام
وأصحابه حيث ينتصرون على قوى الشر والكفر، فتمتلى هذه الأرض
قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً^(١).

وذكر بعض المفسرين أن المقصود من الأرض أرض الجنة حيث
يرثها الصالحون بعد يوم القيامة^(٢)، حيث تفسى الدنيا وما فيها قبل ذلك،
كما جاء في قوله تعالى - حكاية عن أهل الجنة - : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِيَ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ
مَا تُوعَدُونَ﴾ (١٠٩).

س ٥٣٣ - ما معنى : ﴿آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾؟

ج - الظاهر أن المقصود أن رسالته وإنذاره للجميع ولا يقتصر على
فئة دون أخرى، فالكل سواء في ذلك.

(١) الدر المنثور: ٣٤١ / ٤.

(٢) تراجع مجمع البيان: ١١٩ / ٧.

سورة الحج

﴿يَوْمَ تَرُؤْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ...﴾ (٢).

س ٥٣٤ - لماذا قال: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ ولم يقل
(مرضع) مع أن الرضاعة من مختصات النساء،
فلا حاجة لئاء التأنيث، فهو نظير (حامل)؟

ج - المرضع - كما ذكر علماء اللغة - هي المرأة التي لها صبي في دور
الرضاعة ويرتضع منها عادة، وإن لم تكن مشغولة برضاعته. و(المرضعة)
تطلق على المرأة المشغولة برضاعة الصبي، حيث تتأجج لديها عاطفة
الأمومة أكثر حين رضاعتها. فكأن الآية بصدد بيان أن أهوال يوم القيامة
يحدُّ تذهل المرضعة حين رضاعتها عن طفلها رغم شدة تعلقها به آنذاك.

﴿... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّدَدٍ... وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ
عِلْمِ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
وَأَبْتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٥).

س ٥٣٥ - ما معنى المضغة المخلقة وغير المخلقة؟

ج - قال الزمخشري: المخلّقة: المسواة للمساء من النقصان والعيب، يقال: خلّق السواك والعود، إذا سَوّاه وملسه، من قوله: صخرة خلقاء، وإذا كانت ملساء، كأن الله تعالى يخلق المَصْغ متفاوتة: منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك، فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم، وتمامهم ونقصانهم^(١). ولعلّ المخلّقة وغير المخلقة وصفان للمضغنة من دون أن يعني أن البشر - الذين اكتمل خلقهم - مخلوقون من كليهما، بل هم مخلوقون من المخلّقة، وهي المصوّرة التي ينفخ فيها الروح فيما بعد بينما غير المخلّقة هي التي لا تكتمل وتصير سقطاً. وفي الحديث عن سلام بن المستنير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿مُخَلَّقةً وَغَيْرِ مُخَلَّقةٍ﴾ .. قال: وأما قوله: ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقةٍ﴾ فهم كلّ نسمة لم يخلقهم الله عزّ وجلّ في صلب آدم حين خلق الذر وأخذ عليهم الميثاق، وهم النطف من العزّل، والسقط قبل أن ينفخ فيه الروح والحياة والبقاء^(٢).

س ٥٣٦ - ما هو الهدف من ذكر كبار السنّ
ونسيانهم معلوماً عنهم؟

ج - كأنه تذكير بقدره الله تعالى حيث إنّ كبير السن رغم امتداد عمره ووفرة معلوماته قد يفقدها بسبب النسيان وفقدان الذاكرة الذي يصاب به.

س ٥٣٧ - كيف تهتزّ الأرض وتربو؟

ج - بينما الأرض يابسة صلبة فإذا أصابها الماء والمطر تصير طيناً ليناً منتفخاً صالحاً لنمو النبات. والربو هو الارتفاع.

(١) الكشاف: ٣/ ١٤٤.

(٢) الكافي: ٦/ ١٢.

﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ (٩).

س ٥٣٨ - ما معنى: ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾؟

ج - العطف منكب الإنسان، وهو الموضع الذي يميله الإنسان عندما يُعرض عن الشيء. وكأنه في الآية إشارة إلى إعراضه عن الحق وانحرافه، وقال البعض إنه إشارة إلى تكبره، يقول العرب: ثنى فلان عطفه إذا تكبر وتجبّر^(١).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (١١ - ١٢).

س ٥٣٩ - ما معنى عبادة الله على حرف؟

ج - الحرف هو الطرف، وهو إشارة إلى الذين لا يعتمدون في إيمانهم على برهان وحجة قوية، بل يعلّق إيمانهم على السلامة والرخاء، ومن دون ذلك يتزلزل إيمانهم وتجرفه الفتنة فيكون نظير الواقف على الحافة، إذا هبت العاصفة تطيح به في الهاوية بعكس أصحاب البصائر الذين لا تهزهم ولا تحرفهم الفتن والمصاعب. اللهم ثبّتنا على دينك وزدنا هدىً وبصيرة.

س ٥٤٠ - كيف يقول: ﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ﴾. مع أن الفتنة إنما تؤثر على صمود الشخص وصبره لا على إيمانه وعقيدته؟

ج - كلاً، لأن بعض الفتن تزيح الناس عن عقائدهم فيلتبس عليهم الحق والباطل. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، لأنه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن»^(١) نعوذ بالله تعالى من مضلات الفتن.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (١٨).

س ٥٤١ - كيف يكون سجود من لا يعقل؟

ج - كأنه من خلال الخضوع التكويني والانقياد الذاتي لله تعالى فيما يريد، بينما سجود الطاعة للعقلاء اختياري وإرادي. والآية الكريمة تذكر المؤمنين بخضوع ما في نظام التكوين لقدرة الله تعالى ومشيبته.

س ٥٤٢ - لماذا قال: ﴿كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ مع أنهم داخلون في قوله: ﴿وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾؟

ج - يبدو أن التنصيص عليهم من باب الاهتمام بهم، لأن سجودهم اختياري وعن عقيدة في مقابل الذين حق عليهم العذاب الذين يقتصر خضوعهم على الانقياد التكويني.

س ٥٤٣ - هل الذين حق عليهم العذاب يسجدون لله تعالى أو لا؟

ج - الظاهر أنهم في مقابل: ﴿كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ وأن الواو استئنافية وليست عاطفة، وقد أخبر باستحقاقهم العذاب الذي هو متفرع على عدم إيمانهم وخضوعهم الاختياري الإرادي لله تعالى، رغم خضوعهم الذاتي التكويني لله تعالى وكذلك سجود بعضهم - كالمنافقين - خوفاً وطمعاً، إلا أن ذلك لكة غير كافٍ منهم، لكونهم عقلاء مكلفين بالسجود الاختياري عن إرادة وقناعة.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٦).

س ٥٤٤ - كيف يطهر إبراهيم البيت؟

ج - بأن يجنبه من مظاهر الشرك والرجس.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ...﴾ (٣٠).

س ٥٤٥ - ما هي: ﴿حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾.

ج - قيل: هي حدود الله من أوامره ونواهيه. وقيل: هي ما عظم الله شأنه كالبيت الحرام والشهر الحرام وغيرهما، وقد أخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ ثَلَاثَ، مِنْ حَفْظِهِنَّ حَفِظَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْهُنَّ لَمْ يَحْفَظْ اللَّهَ لَهُ شَيْئًا، حَرَمَةُ الْإِسْلَامِ وَحَرَمَتِي وَحَرَمَةُ رَحْمِي»^(١).

(١) المعجم الكبير: ٣ / ١٢٦.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٣٣).

س ٥٤٦ - ما هو ذلك الأجل الذي تنتهي إليه منافعها؟

ج - هو نحرها أو ذبحها، حيث يجوز الانتفاع منها قبل ذلك، ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال: «إن احتاج إلى ظهرها ركبها من غير أن يعتف عليها. وإن كان لها لبن حلبها حلاباً لا ينهكها»^(١).

﴿... فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ...﴾ (٣٦).

س ٥٤٧ - ما معنى وجوب جنوبها؟

ج - قال ابن منظور: وأصل الوجوب: السقوط والوقوع، ووجب الميت إذا سقط ومات... وفي حديث الضحية: «فلما وجبت جنوبها أي سقطت إلى الأرض، لأن المستحب أن تُنحر الإبل قياماً معقلاً...»^(٢).

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠).

س ٥٤٨ - كيف يكون اختلاف الناس وصراعهم

(١) لسان العرب: ١ / ٧٩٤.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠ / ٣٣.

حافظاً لأماكن العبادة من الخراب مع أن خرابها
إنما هو بسبب اختلافهم؟

ج - الآية تشير إلى ثبات المؤمنين في كل عصر وجهادهم وصمودهم،
وأنه لولاه لم تُحفظ هذه الأماكن من سطوة الطغاة الكافرين، ولذلك قال
تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾. إذن فهي لا تتحدث عن اختلاف
الآراء والقناعات، وإنما عن صمود المؤمنين ودفاعهم في مقابل الكثرة
المنحرفة والكافرة.

هذا «الصوامع جمع صومعة، وهي بناء في أعلاه حدة، كان يُتخذ
في الجبال والبراري، ويسكنه الزهاد والمعتزلون من الناس للعبادة، والبيع
جمع بيعة - بكسر الباء - معبد اليهود والنصارى، والصلوات جمع صلاة،
وهي مصلى اليهود، سمي بها تسميةً للمحلّ باسم الحال... وقيل: هي
معرب «صلواتا» - بالثاء المثلثة والقصر - وهي بالعبرانية المصلى، والمساجد
جمع مسجد، وهو معبد المسلمين»^(١).

﴿وَقَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمٌ لُّوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ
مُوسَى...﴾ (٤٣ - ٤٤).

س ٥٤٩ - لماذا لم يقل: «وقوم موسى» كما ذكر
سائر الأقوام؟

ج - لأن أهم ما واجه موسى عليه السلام تكذيب الأقباط له، لا تكذيب
قومه، وهم بنو إسرائيل.

(١) الميزان: ١٤ / ٣٨٥.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٢-٥٣).

س ٥٥٠ - ما معنى الأمانة وكيف يلقي الشيطان في أمانة النبي والرسول؟

ج - ذكر بعض المفسرين أن المقصود من التمني التقدير، وهو إشارة إلى خطط الأنبياء ومناهجهم في سبيل تبليغ رسالة الله لهداية الأمم، فإن الشيطان يضع المعوقات، ويشير الفتن لإعاقتهم في ذلك، مما يوجب افتتان البعض كما قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾^(١) وصلابة إيمان أهل البصيرة ورفعة مقامهم.

س ٥٥١ - ما هو الفرق بين الرسول والنبي؟

ج - الظاهر أن النبي هو الذي يُنبأ من الله تعالى ويوحى إليه، وإن لم يتحمل رسالة إلهية لإبلاغها، أما الرسول فهو المبعوث من جانب الله تعالى لقوم أو أمة، ويحمل رسالته إليهم. وهناك آراء أخرى للباحثين والمفسرين.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ (٦٧).

س ٥٥٢ - إذا كان الله قد جعل لكل أمة طقوساً وتشريعاً خاصاً بها فكيف يكون الإسلام أمياً وديناً لكل الشعوب في جميع العصور؟

ج - ليس المقصود من الأمة معنى الشعب بالمصطلح المعاصر، بل كل الذين يجمعهم دين أو منهج واحد، فالمؤمنون أمة واحدة وإن كانوا من شعوب متنوعة وفي عصور مختلفة وكذلك أبناء كل عقيدة، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾^(١) ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ...﴾^(٢). وعلى كل حال، فكأن الآية الكريمة ترد على الذين كانوا يخاصمون النبي ﷺ ويسألونه عن سبب الاختلاف بين تشريعات الإسلام وطقوسه وتشريعات وطقوس الأديان السماوية السابقة مع أنها جميعاً من الله تعالى، فأشارت الآية الكريمة إلى أن مشيئة الله اقتضت - رعاية لمصالح الأمم - اختلاف مناسك الأمم وأديانهم وتشريعاتهم، وأن الإسلام يمثل الهدى المستقيم بعدها باعتباره خاتم الأديان وناسخها.

﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَُمُ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَشْسُ الْمَصِيرُ﴾ (٧٢).

س ٥٥٣ - كيف يعتبر النار أكثر شراً من آيات الله

مع أن الآيات خير وليست شراً؟

ج - حيث كانوا يكرهون آيات الله ويُعرضون عنها باعتبار ثقلها على نفوسهم فحذّرهم بأن النار أشدّ وقعاً عليهم من تلك الآيات، فشرّها في حقهم باعتبار ما تسببه لهم من الضيق، والفضيحة أحياناً، وإن لم تكن هي شراً في نفسها، لأنها الخير بل كل الخير.

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

(٢) سورة الزخرف: ٣٣.

سورة المؤمنون

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ

غَافِلِينَ﴾ (١٧).

س ٥٥٤ - ما هي الطرائق السبع؟

ج - إنها السموات السبع، وسميت بالطرائق باعتبارها ممرات وطرقاً
يخترقها أمر الله تعالى وملائكته.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ

لِّلْأَكْلِيِّنَ﴾ (٢٠).

س ٥٥٥ - ما هذه الشجرة، ولماذا خصها

بالذكر؟

ج - إنها شجرة الزيتون التي تتميز بالزيت النقي الذي يستخدم أيضاً
كإدام في الطعام، فإن الصَّبْغ هو الإدام. و«طور سينا» إما المنطقة المحددة
التي ينتشر فيها شجر الزيتون، أو الجبل كثير الشجر.

﴿إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٣٧).

س ٥٥٦ - إذا اعترفوا بالموت والحياة فكيف ينكرون البعث؟

ج - مقصود هؤلاء موت أجيال وحياة أجيال أخرى في هذه الحياة الدنيا، من دون حياة وبعث بعدها.

﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ أَنْ نَكُونَ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (٤٧).

س ٥٥٧ - كيف يقول: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ مع أن بني اسرائيل كانوا يعبدون الله تعالى؟

ج - إما المقصود من العبادة الخضوع والطاعة، أو باعتبار أنهم كانوا يُظهرون عبادة فرعون تقيّةً وخوفاً.

﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٩١).

س ٥٥٨ - ما المانع من اتفاق الآلهة المزعومة فيما بينها على حدود معينة لصلاحيات كل منها بحيث لا يلزم محذور الصراع والفساد الذي أشارت إليه الآية؟

ج - إن الاحتياج للغير في نظم الخلق ينافي الإلهوية التي لازمها الحكمة والقدرة والغناء المطلق. وقد تقدم توضيح ذلك.

﴿إِنَّهُ كَانَ قَرِيبٌ مِّنْ عِبَادِي يُقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي
وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ (١٠٩ - ١١٠).

س ٥٥٩ - كيف يقول: ﴿أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي﴾ مع
أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يذَكَّرُونَ غَيْرَهُمْ بِاللَّهِ؟

ج - حيث إن سخرية الكافرين من المؤمنين أشغلتهم عن التمعن
والتدبر في آيات الله حتى نسوه تعالى، فنسب الإنساء للمؤمنين باعتبارهم
السبب في نسيان الكافرين لربهم. وهكذا صار المؤمنون فتنة للكافرين.

سورة النور

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ * يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٤ - ٢٥﴾.

س ٥٦٠ - ما معنى أن يوفيهم الله دينهم يوم

القيامة مع أنهم كانوا مسلمين في الدنيا؟

ج - من معاني الدين الجزاء، قال ابن منظور: «والدين: الجزاء والمكافأة»^(١)، وهو أحد الوجوه في تفسير قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٢)، فيكون المعنى - على هذا - أن الله يوفيهم جزاءهم العادل يوم القيامة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٧ - ٢٨﴾.

س ٥٦١ - ما معنى الاستئناس الممهّد لدخول

بيوت الآخرين؟

(١) لسان العرب: ١٣/١٦٩.

(٢) سورة الفاتحة: ٤.

ج - من معاني الاستئناس: النظر والاستعلام، قال الفراء: «والاستئناس في كلام العرب النظر. يقال: اذهب فاستأنس هل ترى أحداً؟ فيكون معناه انظر من ترى في الدار» وفي حديث ابن مسعود: كان إذا دخل داره استأنس وتكلم أي استعلم وتبصر قبل الدخول^(١). وعلى هذا فالآية الكريمة تشير أن من آداب دخول بيوت الآخرين عدم المبادرة والتسرع بل يتأكد الداخل من وجود أهل الدار وإذنتهم له ويسلم عليهم، ولذلك قال بعد ذلك: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ...﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (٢٩).

س ٥٦٢ - هل مجرد وجود المتاع يسوغ دخول البيت من دون إذن صاحب البيت؟

ج - لا بد من إحراز إذن صاحب البيت - في غير حالات غضب المتاع ونحوه - ولو بقريضة خارجية، وليست الآية بصدد إسقاط اعتبار إذنه، وإنما يبين أن عدم وجود أهل البيت لا يمنع من دخول صاحب المتاع لطلب متاعه الذي يوضع عادة في بيوت الأقارب أو الأصدقاء.

﴿... وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا...﴾ (٣٣).

س ٥٦٣ - لماذا قيّد النهي عن الإكراه على البغاء بإرادة التحصن؟

ج - لأن من لا تريد التحصن وتندفع للبغاء لا يتصور في حقها

(١) لسان العرب: ٦/١٥ - ١٦.

الإكراه عليه، فلا معنى للنهي عنه. وإنما تُنهي هي عن البغاء نفسه، وهو خارج عن موضوع الآية.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣٥).

س ٥٦٤ - لماذا خصَّ شجرة الزيتون بالذكر واعتبرها مباركة؟

ج - كأنها باعتبار صفاء زيتها، واعتبرها مباركة باعتبار تعدد فوائدها، حيث يسرج بزيتها ويستعمل إداماً في الطعام ويُدهن به، ويوقد بحطبها وثقلها، وغير ذلك من الفوائد.

س ٥٦٥ - لماذا قال: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾؟

ج - كأنه للتعبير عن جودة ثمرها وزيتها حيث تسطع عليها الشمس، ولا تغرب عنها بحال. بخلاف الشجرة التي تشرق الشمس عليها حيناً وتغرب عنها أخرى، فلا تكون ثمرتها بتلك الجودة.

ولعلَّ تشبيه النور الإلهي بالشجرة التي لا يتوارد ولا يغيب عنها النور للإشارة إلى أن نوره تعالى ذاتي وليس مكتسباً من غيره.

﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣).

س ٥٦٦ - لماذا قال: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ مع أن

فعل المخالفة يتعدى من دون حرف الجر؟

ج - كأنه باعتبار أنه متضمن معنى الإعراض الذي يناسب

التعدية بـ «عن».

سورة الفرقان

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (١٧ - ١٨).

س ٥٦٧ - إذا كان المعبودون الأصنام فكيف يقولون: ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ مع أنها لا تعقل ولا تتخذ أولياء؟

ج - يبدو أن الخطاب للعقلاء من المعبودين ونحوهم ممن يتأثر بهم الناس، ولذلك خاطبهم بقوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾، ومن الواضح أن الذين يتصور في حقهم الإضلال هم رؤوس الضلالة من العقلاء دون مثل الأصنام.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (٣٢).

س ٥٦٨ - كيف يكون الترتيل مثباً لفؤاد النبي ﷺ؟

ج - ليس المقصود منه الترتيل في القراءة، وإنما التدرج في تنزيل القرآن ووحيه للنبي ﷺ، ويسمى «الترتيل في المعنى». ومن الواضح أن التدرج في تنزيل القرآن يعني مواصلة الارتباط والوحي السهوي، وهو يقوي عزيمة الرسول ﷺ أكثر مما لو نزل دفعة واحدة.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (٤٣).

س ٥٦٩ - إذا كان المقصود أنه اتبع هواه وجعله إلهاً، فالمفروض أن يقال: (مَنْ اتَّخَذَ هَوَاهُ إِلَهًا).

ج - كلاً، بل المقصود أنه صير الإله هوى، فإن الفعل «اتخذ» متعد إلى مفعولين وهو من أفعال التحويل، بمعنى الصيرورة^(١) فالإله الذي يعبده ويطيعه هذا الكافر هو هواه.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (٦٢).

س ٥٧٠ - ما معنى الخلفة وما ارتباطه بالتذكر والشكر؟

ج - الخلفة إما بمعنى التعاقب حيث يخلف أحدهما الآخر، أو بمعنى الاختلاف، حيث أن النهار مضيء والليل مظلم، وعلى كل حال، فإن اختلاف الليل والنهار وتعاقبها دليل عموم قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته لعباده حيث يسعون ويكتسبون في النهار ويسكنون ليلاً.

(١) قال ابن عقيل: وأما أفعال التحويل... وعدّها بعضهم سبعة: «صير»... و«جعل»... و«اتخذ»... (شرح الفية ابن مالك: ٢ / ٤٢٨).

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٠).

س ٥٧١- إذا كانت السيئات تتبدل حسنات، فمن كثرت سيئاته هل يكون أفضل حالاً من غيره؟

ج- كلاً، ليس المقصود ان كل سيئة تتحول إلى حسنة حتى تزداد الحسنات كلما زادت السيئات، وإنما بالتوبة والإيمان والعمل الصالح تحذف السيئات من سجل أعمالهم وتحل محلها حسنات بسبب التوبة والإيمان والعمل الصالح.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ (٧٥).

س ٥٧٢- ما هي ﴿الغُرْفَةَ﴾؟

ج- الغُرْفَةُ اسم جنس بمعنى العالي، والمقصود أن هؤلاء الصالحين يُعطَوْنَ الأماكن العالية في الجنان.

س ٥٧٣- ما الفرق بين التحية والسلام؟

ج- لعل المقصود من التحية الترحيب، ومن السلام الطمأنينة والأمان.

سورة الشعراء

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (١٤).

س ٥٧٤ - ما هو الذنب الذي كان للأقباط على

موسى عليه السلام؟

ج - هو قتله للقبطي الذي كان يقاتل أحد بني اسرائيل، الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿... فَاسْتَفَانَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ...﴾ (١).

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ * قَالَ
فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩ - ٢٠﴾.

س ٥٧٥ - هل كان موسى ضالاً عند قتل القبطي

قبل تبوته؟

ج - كأن المقصود من الضلال هنا ما يقابل بصيرة التوبة والمعارف التي حصلت لموسى عليه السلام بسبب الارتباط بالوحي، حيث لم يكن نبياً آنذاك، لا الضلال بمعنى الانحراف عن الحق.

وربما يكون المقصود من الضلال مخالفة الحكمة والصواب، حيث

تسرع موسى عليه السلام بقتل ذلك القبطي فقتله أمام ذلك الإسرائيلي الذي كان ضعيف النفس فهدد موسى عليه السلام بالوشاية عليه.

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٤).

س ٥٧٦ - لماذا خص الشعراء بذلك؟

ج- لأن الشعراء- غير المتقين طبعاً- يوظفون موهبتهم لتلبية مصالحهم الشخصية، ولا يردعهم ذلك عن قول الباطل من المديح والهجاء وغيرهما، وبسبب قوة تأثير الشعر على مخيلة الناس يتأثر به المنحرفون والسذج من غير ذوي البصيرة والوعي منهم.

والآيات الكريمة ترد على اتهام بعض المشركين للنبي صلى الله عليه وآله بأنه شاعر يستثمر موهبته لمصلحه الشخصية، وأن له شيطاناً يعلمه الشعر- كما كان يزعمه العرب آنذاك بالنسبة للشعراء- فأشارت الى عدة فوارق بين النبي وهؤلاء الشعراء- بالإضافة الى الفارق المضموني والابداعي بين القرآن والشعر- منها..

١- أن اتباع هؤلاء الشعراء المصلحين هم المنحرفون والسذج الذين لا إيمان ولا بصيرة لهم، بينما اتباع النبي صلى الله عليه وآله هم الثلة المؤمنة ذوو البصائر.

٢- أن النبي صلى الله عليه وآله يتحمل مسؤولية تبليغ رسالته بمعالمها الإلهية المحددة بدون أن يزيغ عنها طرفه عين بينما هؤلاء الشعراء ليس لهم موقف ثابت بل تتغير ولاءاتهم تبعاً لمصالحهم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾.

٣- أن سلوك النبي ينسجم مع مضمون رسالته وأقواله بينما سلوك هؤلاء الشعراء لا ينطبق مع أقوالهم وشعرهم ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

سورة القصص

﴿... فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (١٥).

س ٢٧٧ - ألا يعني ذلك صدور المعصية من

موسى ﷺ بسبب تسرّعه في القتل؟

ج - كلاً، فإن المقتول كان قبطياً لا يهودياً. ومجرّد نسبه للشيطان لا يعني كونه معصية، إذ كما يغري الشيطان الإنسان بالمعصية يغريه بأفعال أخرى تضرّ به من دون أن تكون معاصي، على الذي يبدو عند التمعن في الآية الكريمة أنّ موسى ﷺ لم يأسف لنجدة اليهودي وتخليصه من يد القبطي، بل من كيفية الوكزة وشدّتها - التي قد تكون بسبب انفعاله النفسي - بحيث أودت بحياة القبطي فهي التي كانت من عمل الشيطان وإغرائه فندم عليها موسى ﷺ.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهَا...﴾ (١٩).

س ٥٧٨ - إذا كان قتل القبطي الأول من عمل

الشيطان - كما قال موسى ﷺ - فكيف يقدم على

قتل القبطي الثاني؟

ج - أشرنا قبل قليل أنّ الذي أحزن موسى هو قتل القبطي الأول لا

مجرد نجدة اليهودي، وفي الحادثة الثانية يبدو أن هدف موسى كان المبادرة بتخليص اليهودي - كما يوحي به التعبير بالاستصراخ - من خلال تأديب القبطي من دون قتله، لأنّ البطش ليس بمعنى القتل، بل هو الأخذ القوي الشديد^(١). ومن الطبيعي أنه يكون حذراً من قتله هذه المرة، فلم يقتله، وإنما تخيل الإسرائيلي - الذي كان يخاصم القبطي - أنه بصدد قتله، على خلفية مشاهدته لقتل موسى عليه السلام للقبطي الأول.

﴿... قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ (٤٨).

س ٥٧٩ - ما هما السحران؟

ج - إما أن يكون مقصودهم منها التوراة والأنجيل، أو نفس موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم، كما يقال جاء العدلان أي العادلان، من باب إقامة المصدر مقام اسم الفاعل.

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٧٥).

س ٥٨٠ - لماذا بنزع الشهداء من الأمم؟

ج - يبدو أن الآية تعكس وقائع محاكمة الأمم، حيث يخرج الشهداء من بين الأمم ويؤدي كلّ شهيد شهادته على أمته، وكيف أقام الحجة عليهم وأبلغهم رسالات الله في الدنيا، وحينئذٍ تطالب كلّ أمة بتقديم عذرها في عدم اتباع الحجة، وحيث أنه لا حجة لهم وإنّ الحجة البالغة لله تعالى، فتضح لهم الحقيقة ناصعة ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾^(٢).

(١) تراجع لسان العرب: ٦/ ٢٦٧.

(٢) سورة القصص: ٧٥.

سورة العنكبوت

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ
خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ﴾ (١٢).

س ٥٨١ - كيف لا يحملون شيئاً من خطاياهم
إذا أضلّوهم، وقد قال بعد ذلك: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ
أَثْقَاهُمْ وَاتَّقَالَا مَعَ أَثْقَاهُمْ...﴾ (١)

ج - الكافرون وعدوهم بأن يتحملوا خطيئاتهم بحيث لا يبقى ثقلها
ومسؤوليتها على فاعلها، فردّ الله عليهم بأن صاحب الخطيئة لا يتخلص
من مسؤوليتها رغم أنّ من يُضلّه يزداد ثقله بسبب إضلاله.

سورة الروم

﴿... وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۖ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٤ - ٥).

س ٥٨٢ - ما هو نصر الله الذي يفرح به المؤمنون؟

ج - الظاهر أنه نصر المسلمين على المشركين في بدر، الذي اقترن
بنصر الروم على فارس، فيكون هذا إخباراً غيبياً آخر تضمنته هذه الآيات،
ويلاحظ أنها عبّرت عن نصر المسلمين - الذين يمثلون الحق - بنصر الله، بينما
عبّرت عن النصر في معركة الروم والفرس بغلبة الروم، لأنّ كلاً منهما على
باطل، وإن كان الروم - باعتبارهم نصارى - أقرب للمسلمين وعقيدتهم.

﴿... ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (٢٥).

س ٥٨٣ - كيف تكون الدعوة من الأرض؟

ج - ليست نفس الدعوة من الأرض، بل المدعوون - وهم البشر -
مدفونون في الأرض، فيدعوهم ويخرجهم منها.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ...﴾ (٢٧).

س ٥٨٤ - كيف يقول: ان إعادة الخلق أهون

عليه، مع أننا نعلم أن ابتداء الخلق وإعادةه سواء
بالنسبة إليه تعالى؟

ج - الظاهر أن المنظور في ذلك المقاييس والاعتبارات المألوفة لدى
الإنسان، باعتبار أنه في مقام المحاجة، وإعادة إيجاد شيء أهون - لدى
الإنسان - من إبداع شيء.

س ٥٨٥ - ما معنى أن يكون له المثل الأعلى؟

ج - أي كل ما يكون من صفات الكمال فله تعالى المثل الأعلى، لأن له
الكمال المطلق، وهو واهب كل كمال.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٨).

س ٥٨٦ - ما معنى هذا المثل؟

ج - هذا المثل لبيان أن الله تعالى لا يجعل شريكاً له من مخلوقاته، كما
انكم أيها البشر لا تسمحون أن تجعلوا عبيدكم شركاءكم في أموالكم، ولا
نداً لكم، فتخافوهم كما يخاف أحدكم الآخر، فكيف يجعل الله شريكاً له
من مخلوقاته؟! وهذا دليل على نفي خلق الشريك. وهو غير الأدلة النافية
لوجود الشريك - غير المخلوق - لله تعالى.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠).

س ٥٨٧ - كيف يكون الدين الحق فطرياً مع أن تعاليمه تعبدية لا يدركها الإنسان بفطرته؟

ج - الظاهر أن الملحوظ عقيدة التوحيد وإثبات الكمال لله تعالى التعاليم الداعية إلى التزام المعايير الأخلاقية المنسجمة مع الفطرة السليمة التي يشتمل عليها الدين الحق، دون خصوصيات الأوامر والنواهي التعبدية الأخرى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧).

س ٥٨٨ - إذا كان حقاً على الله نصر المؤمنين فلماذا يُضطهد المؤمنون ولا ينصرهم ربهم في كثير من العصور والبلدان؟

ج - نصر الله للمؤمنين مرهون بالظروف والمصالح العامة، حيث ابتنت الحياة الدنيا على نظام السببية المادية الأعم وجود مصالح معينة تقتضي تدخّل العوامل الغيبية، فينصر الله عباده المؤمنين عند توفّرها. ومنها تحمل المجتمع الإيماني لمسؤوليته التي يتحملها. وليس مقتضى هذا الحق على الله أن ينصر عباده المؤمنين دائماً من دون رعاية المصالح العامة، كما تقول حقاً على الحكومة دعم المواطن، من دون أن يعني ذلك تجاوز القوانين التي يتضرّر منها المجتمع لسبب وآخر.

سورة لقمان

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ
أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ...﴾ (١٠).

س ٥٨٩ - ما هي هذه الرواسي؟

ج - الظاهر أنها الجبال، كما أكد ذلك العلم الحديث، وجاء أيضاً في
بعض التفاسير القديمة.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ
مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧).

س ٥٩٠ - لماذا حذّب ﴿سَبْعَةَ أَبْحُرٍ﴾ مع أن
كلمات الله غير محدودة بأي عدد؟

ج - ليس المقصود هو التحديد بالسبعة، وإنما هو رمز للكثرة، وذلك أن
العرب تبالغ بالسبعة، وتضعها موضع التضعيف والتكثير. قال ابن منظور:
في قولهم «لأعملن بفلان عمل سبعة»: أرادوا المبالغة وبلوغ الغاية^(١)، ولهذا
قيل للأسد: السبع، لأنهم تأولوا فيه لقوته أنه ضوعفت له سبع مرات^(٢).

(١) تراجع لسان العرب: ١٤٦ / ٨.

(٢) تراجع مجمع البيان: ٨٤ / ٥.

﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ﴾ (٢٨).

س ٥٩١ - كيف نوفق بين هذه الآية وقوله تعالى
في سورة الروم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾؟

ج - لا شك أنّ ابتداء الخلق وإعادةه سواء لدى الله تعالى، لأن قدرته
على كل الممكنات على نحو سواء، لكن سياق آية سورة الروم حيث كان
في مقام محاججة الكافرين الذين ينكرون البعث وإعادة الأحياء، فجاءت
وفق ما يعهدونه في أفعالهم وقدراتهم، حيث تكون الاعادة أهون من ابتداء
الصنع. بينما هذه الآية بيّنت الحقيقة كما هي.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤).

س ٥٩٢ - ما الفرق بين علم الله بما في الأرحام
وعلم الأطباء بذلك في العصر الحديث؟

ج - الفرق بينهما أنّ علم الله تعالى ذاتي باعتبار كماله الذاتي، بينما علم
الأطباء مكتسب من خلال ما وفره الله تعالى لهم من موهبة العلم ووسائله،
فهو راجع إلى علمه، كما إذا أخبر الله تعالى نبيه بما في أرحام بعض النساء،
فإن علمه متفرع عن علم الله وليس مستقلاً.

س ٥٩٣ - كيف يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ
أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ مع أن بعض الناس كبعض المرضى
ومن يقدم على الانتحار يعلم بمكان موته؟

ج - كلاً، إنه ليس علماً حقيقياً، وإنما هو مجرد توقع - مهما كان قوياً -
قد يصيب وقد يخطئ، فكم من مسجى ينتظر موته بين لحظة وأخرى يقوم
سالماً ويموت في أرض أخرى!؟

سورة السجدة

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهُ سُلَالَةً مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (٨).

س ٥٩٤ - كيف اعتبره هنا من ماء مهين، بينما قال في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾^(١)؟

ج - الآية في سورة «المؤمنون» تشمل آدم الذي خُلق من الطين، بينما هذه الآية تتحدث عن نسل آدم وذريته، وهم من ماء مهين أي النطفة لا من الطين مباشرة، وسلالة الشيء: ما استُل منه^(٢).

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣).

س ٥٩٥ - ألا ينافي هذا القول منه رحمة تعالى؟

ج - كلاً، لأنه لم يسلب اختيارهم، وإنما وقع بعد علمه بكفر وعصيان هؤلاء بإرادتهم واختيارهم فكانوا مستحقين لجَهَنَّمَ، رغم أن الله تعالى قد حثهم على الطاعة وأرسل رسوله وكتبه لهدايتهم وتقريبهم إلى الطاعة والرشاد.

(١) سورة المؤمنون: ١٢.

(٢) لسان العرب: ٣٣٩/١١.

﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢١).

س ٥٩٦ - ما هو العذاب الأدنى؟

ج - إنه ما قبل العذاب الأكبر في يوم القيامة، وقد اختلفت النصوص في تحديده أو مصاديقه. والظاهر أنه إشارة إلى العقاب الدنيوي، ولذلك قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

هذا وقد روي في سبب نزول هذه الآيات أنه حدث بين الإمام علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن عقبة بن أبي معيط شجار. فقال له الوليد: اسكت فإنك صبي، أنا أشبّ منك شباباً، وأجلد منك جلدأً، وأذرب منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، وأشجع منك جناناً. وأملأ منك حشواً في الكنية. فقال له الإمام علي عليه السلام: اسكت، فانك فاسق، فنزلت الآية.

وروي عن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال للوليد - وكان يشتم علياً عليه السلام - : كيف تشتم علياً، وقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات، وسماك فاسقاً^(١)؟

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٢٣).

س ٥٩٧ - أي لقاء تشير إليه الآية؟

ج - كأنه إشارة إلى الميقات الذي كلم الله تعالى موسى خلاله، وأوحى إليه التوراة، باعتبار أن التوراة نزلت عليه آنذاك.

(١) تراجع الكشاف: ٣/ ٥١٤. وغيره.

سورة الأحزاب

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١).

س ٥٩٨ - هل كان يحتمل في حق النبي ﷺ أن يطيع الكافرين والمنافقين ولا يتقي الله حتى يخاطب بذلك؟

ج - كلاً، وإنما هو أسلوب بليغ لتأكيد الموقف الإلهي من طاعة الكافرين والمنافقين ومداراتهم على حساب العقيدة وتعاليم الرسالة، لأنه مع ورود هذا الخطاب الحاسم للرسول ﷺ لا يبقى مجال لتوهم الكافرين والمنافقين بإمكانية مداراته لهم وزيفه عن طاعة الله. كما يكون تحذيراً لغيره من المسلمين أن لا يفكروا بمدارة هؤلاء على حساب دينهم.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ...﴾ (٤).

س ٥٩٩ - ما هي الفائدة من بيان ذلك مع وضوحه لجميع الناس؟

ج - كأنه إشارة إلى أن لكل إنسان موقفاً وعقيدة واحدة محددة، لأن له عقلاً واحداً، ولا يمكن الجمع بين الاتجاهات والأفكار المتضادة كالإيمان والكفر.

وقيل: إن الآية نزلت في أبي معمر - وهو من أحفظ العرب وأرواهم - وكان يقول: إن لي قلبين، أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد. فرُوي أنه انهزم يوم بدر، فمرّ بأبي سفيان، وهو معلقٌ إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فقال له: ما فعل الناس؟ فقال: هم ما بين مقتول وهارب. فقال له: ما بال إحدى نعليك في رجلك والأخرى في يدك؟ فقال: ما ظننتُ إلا أنها في رجلي. فأكذب الله قوله وقولهم^(١).

﴿... وَأَوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا...﴾ (٦).

س ٦٠٠ - ما معنى هذا الاستثناء؟

ج - ذكر المفسرون أن الآية بصدد بيان حكم إرث الأموال، وأنها نسخت حكم التوارث بالهجرة والمواخاة، وأثبتت أن الميراث بالقرابة، ومن كان أقرب إلى الميت فهو أحق بميراثه - وفق نظام الإرث المعروف - ثم استثنت ما يوصيه الشخص إلى غير قرابته، إذ من حقه الوصية لمن يشاء بثلثه على ما بيّنته النصوص.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٧ - ٨).

س ٦٠١ - ما هو الارتباط بين أخذ الميثاق من

النبين وبين محاسبة غيرهم؟

ج - بعد أخذ الميثاق من النبيين بتبليغ رسالاتهم لأمتهم وقيام الحجة بذلك تحاسب الأمم، فيثاب المطيع ويعاقب العاصي، ومن دون إقامة الحجة لا يحاسبهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١).

﴿إِذْ جَاؤُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ...﴾ (١٠).

س ٦٠٢ - كيف جاؤوا من فوقهم ومن أسفل؟

ج - قال الزمخشري: «مِّنْ فَوْقِكُمْ» من أعلى الوادي من قبل المشرق، بنو غطفان. «وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ» من أسفل الوادي من قبل المغرب، قريش... هـ^(٢).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٩).

س ٦٠٣ - لماذا خصّ الوعد بالأجر العظيم

ببعضهن فقط؟

ج - لأن البعض الآخر منهن لا يستحق ذلك الأجر العظيم رغم إسلامهن، وهذا بخلاف آية التطهير التي تحدثت عن أهل البيت عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣) فانها لم تقتصر على بعضهم، وذلك يؤيد الرأي القائل أن المقصود من أهل البيت أصحاب الكساء دون أزواجه عليه السلام.

(١) سورة الاسراء: ١٥.

(٢) الكشاف: ٥٢٦ / ٣.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤٥).

س ٦٠٤ - ما معنى كون النبي شاهداً؟

ج - يشهد على الأمة بأنه قد أبلغهم الرسالة وأقام الحجة عليهم، لأن الله تعالى لا يعذب الأمم إلا بعد إرسال الرسل وإقامة الحجة عليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا ﴾^(١). فيشهد هؤلاء على أممهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ... ﴾^(٢).

﴿ ... فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا ... ﴾ (٤٩).

س ٦٠٥ - كيف قال: ﴿ تَعْتَدُونَهَا ﴾ والمرأة هي التي تعتد؟

ج - المقصود حساب العدة، وهو يصح نسبه للرجل والمرأة، فالطالقة تحسب وتحصي عدتها، والزوج بحسب عدة مطلقته ان كان لها عدة، وكذلك الأجنبي الذي يريد الزواج منها.

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ (٥٢).

س ٦٠٦ - هل تقتضي الآية تحريم الزواج على النبي ﷺ من حين نزولها؟

(١) سورة الاسراء: ١٥.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

ج - النصوص وآراء المفسرين في تفسير هذه الآية والجمع بينها وبين ما قبلها متفاوتة، والذي يبدو من ملاحظة نفس الآيات أنه بعد ذكر النساء المحللات له ﷺ، بالمساواة بين أزواجه في «القَسَم» أي حق المبيت. جاءت هذه الآية لتحديد زيجاته والنساء المحللات له، ولذلك جاء التعبير عنهن بالضمير «بهن» ليكون مرجعه المحللات اللاتي ورد ذكرهن قبل آيتين. ولعل هذا التحديد للنبي ﷺ لتخليصه من بعض الحرج الاجتماعي وغيره الذي كان يواجهه ﷺ أحياناً لعقد زيجات جديدة، كما أشير إليه في بعض المصادر التاريخية^(١). والله العالم. وقد تضمنت بعض النصوص وجهاً آخر للتفسير^(٢).

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ... ﴾ (٥٥).

س ٦٠٧ - ما هو الأمر الذي لا جناح عليهن مع هؤلاء؟

ج - بعد أن فرضت الآية السابقة أن يكون الحديث مع أزواج النبي ﷺ من وراء الحجاب، استثنت هذه الآية حديثهن مع المحارم، فلا يجب أن يكون من وراء حجاب.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢).

س ٦٠٨ - كيف تعرض الأمانة على هذه الأشياء وكيف تاباها وتشفق منها؟

(١) يراجع الميزان: ٣٤٢ / ٢٣. نقلاً عن الكافي.

(٢) يراجع الكافي: ٣٨٧ / ٥.

ج- الأمانة هي المسؤولية، وتحملُ المسؤولية وحملُها لا يقبلان الرد والرفض، فلا يراد أنه تعالى قد عرض الأمانة عليها، ورفضت هي تحمّلها، بل كأنَّ المقصود بيان ثقل المسؤولية الملقاة على كاهل الإنسان، وأنها تنوء بحملها الجبال والسموات والأرض - رغم عظمتها - من دون أن يكون هناك تحميل للمسؤولية ورفض منها بالفعل، فهو نظير قول العرب: «سألتُ الربيعَ وخاطبتُ الدارَ فامتنعتُ عن الجواب» بينما الإنسان رغم صغر حجم جسمه أعظم من هذه الأشياء وقادر على تحمّل المسؤولية الثقيلة، باعتبار إدراكه وعقله القادر على التمييز بين الحق والباطل والخير والشر، إلا أنه بالرغم من قدرته على تحمّل المسؤولية لم يحسن حملها جهلاً وظلماً لنفسه. ومن خلال ما ذكرناه يتضح أن كونه جهولاً باعتبار ظلمه وعدم التزامه بمقتضى المسؤولية لا يسبب تحمّله الأمانة. والله العالم.

اللهم اجعلنا ممن يتحمل المسؤولية ويحفظ الأمانة.

سورة سبأ

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَاهِرَةً...﴾ (١٨).

س ٦٠٩ - ما الفائدة لهم من جعل هذه القرى؟

ج - قيل: إن تجارة أهالي سبأ - وهم باليمن - مع الشام، فجعل الله تعالى في طريقهم قرى ليسهل عليهم السفر ويأمنوا فيه، لقرب المحطات والمنازل في الطريق.

﴿...حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٢٣).

س ٦١٠ - ما معنى: ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾؟

ج - كشف عنهم الفزع بحيث هدأت نفوسهم وأمكنهم جواب الملائكة الذين يسألونهم.

﴿...وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٤).

س ٦١١ - ما معنى التشكيك في تعيين المهدي والضال؟

ج - إنه ليس تشكيكاً، وإنما هو من باب أدب المحاور، وطرح الاحتمالات المختلفة قبل الحوار، لتقريب الخصم من الموضوعية والوصول للحقيقة، واقناعه بأن هدف المتكلم بلوغ الحقيقة، لا الغلبة والخصام.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ * وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥١ - ٥٣).

س ٦١٢ - ما هو المكان القريب؟

ج - كأنه إشارة إلى قبورهم التي يؤخذون منها للحساب، وأنها قريبة من الله تعالى وتحت سلطانه، ولذلك لا يفوت منهم أحد.

س ٦١٣ - ما معنى: ﴿التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾؟

ج - التناوش: بمعنى التناول. وكأن الآية تشير إلى أن الإيمان النافع أصبح بعيداً عنهم بعد الموت، فهم لا يتناولونه ولا يبلغونه، لأن إيمانهم بعد الموت لا ينفعهم، بعدما كفروا بالله تعالى في الحياة الدنيا وخسروا حظهم وفرصتهم حيث كان الإيمان النافع في متناول أيديهم، لأنهم بدلاً من الإيمان آنذاك اختاروا التشكيك والمكابرة واعتاد الظنون والتخرصات البعيدة عن الواقع.

سورة فاطر

﴿... جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ...﴾ (١).

س ٦١٤ - لماذا لم يقل: «أولي اجنحة اثنين وثلاثة وأربعة» ما دام المقصود جناحين وثلاثة وأربعة؟

ج - قال بعض المفسرين ان مثنى بمعنى «اثنين اثنين»، وثلث بمعنى ثلاثة ثلاثة، ورباع بمعنى أربعة أربعة، أي في كل جانب جناحان أو ثلاثة أو أربعة، حسب أصنافهم.

وهناك وجه آخر وهو ان الآية بصدد بيان أصناف الملائكة - بحسب عدد أجنحتهم - كما تقول: دخل القوم المدينة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة، فإنه تصنيف لمجاميع الداخلين للمدينة، بعكس ما إذا قال: اثنين وثلاثة وأربعة، فإنه يوهم الجمع بين الأعداد بدل التصنيف.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦).

س ٦١٥ - كيف يقول: ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ مع أن الشيطان يغري حزبه وأتباعه

بأنهم المفلحون والرابحون لا من أصحاب
السعير، وإلا لم يتبعه أحد؟

ج - هذه اللام تسمى لام العاقبة، وهي التي تدخل على نتيجة
ومآل العمل من دون أن يكون مقصوداً، فدعوة الشيطان لهم انتجت
كونهم من أصحاب السعير، من دون أن يقصدوا ذلك، نظير قوله تعالى:
﴿... فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا...﴾^(١) حيث كانت
نتيجة التقاط آل فرعون لموسى عليه السلام أن كان لهم عدوًّا وحزنًا، من دون أن
يريدوه كذلك، إذ التقطوه ليكون لهم ولداً وقرّة عين.

﴿... وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (٢٢).

س ٦١٦ - كيف لا يسمعه من في القبور مع أن
المؤرخين ذكروا أن النبي ﷺ خاطب قنلي
المشركين في بدر بعد أن وُضعوا في القليب،
وعندما قال المسلمون: يا رسول الله أتنادي قوماً
قد جئفوا؟ فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم،
ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني^(٢)؟

ج - هذه الواقعة قضية خاصة شاء الله تعالى أن يسمع أولئك المشركون
خطاب رسول الله ﷺ، بينما الآية تتحدث عن الحالة العامة في كلام
رسول الله ﷺ وخطابه ودعوته للناس، فانه موجّه للأحياء ولا يسمعه
الأموات. ولعل المقصود بـ ﴿مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ الكافرون الذين لم يستمعوا

(١) سورة القصص: ٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ١٥٦/٢.

لنداء الإيمان من الرسول ﷺ فهم في ذلك كالأموات. والله العالم.

﴿... وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ

سُودٌ﴾ (٢٧).

س ٦١٧ - ما هي الجُدَد والغرابيب؟

ج - الجُدَد جمع جُدَّة، بمعنى الطُّرُق، والغرابيب جمع غريب بمعنى شديد السواد الذي يشبه لون الغراب. « قال الفراء: هي الطرائق تكون في الجبال كالعروق، بيض وسود وحُمْر »^(١).

﴿... فَلَن نَّجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن نَّجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ

تَحْوِيلًا﴾ (٤٣).

س ٦١٨ - ما الفرق بين تبديل سُنَّةِ اللَّهِ وتحويلها؟

ج - التبديل هو التعويض، والتحويل هو تغيير محلها وموضوعها. وكأن المراد أنه ليس هناك من يعوّض ويستبدل سُنَّةِ اللَّهِ، ولا مَنْ يحوّلها، وأن هؤلاء لا يمكنهم الإفلات منها.

(١) مجمع البيان: ٦٣٥ / ٨.

سورة يس

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ (٥ - ٦).

س ٦١٩ - رجح بعض المفسرين أن تكون «ما» نافية، والمعنى أن النبي ﷺ بُعث ينذر قوماً لم يُنذر آبائهم من قبل. وعلى هذا فيطرح هذا السؤال: كيف تنسجم فرضية ترك آبائهم من دون نذير مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(١) وكيف يحاسب أولئك الآباء على كفرهم ما دام لم يُبعث لهم رسول وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٢)؟

ج - أولاً: ان أولئك الآباء يمثلون أحد أو بعض أجيال الأمة، فعدم ارسال رسول لهم لا يعني عدم وجود رسول للأمة بمجموع أجيالها، ففي الجزيرة العربية كان هناك عدة رسل، وقد انتشرت بينهم الختيفية التي جاء بها إبراهيم الخليل عليه السلام قبل تحريفها فيها بعد، وآية سورة فاطر التي تحدثت عن النذير لكل أمة لم تتضمن الإخبار عن وجود نذير في كل جيل منها،

(١) سورة فاطر: ٢٤.

(٢) سورة الإسراء: ١٥.

فلا ينافيها عدم وجود نذير في بعض الأجيال السابقة على عصر النبي محمد ﷺ، ولعل التعبير في الآية ﴿خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ يؤكد كفاية تقدم النذير على بعض الأجيال.

وثانياً: إن الهدف من بعثة الرسل إقامة الحججة على الأمم، ويكفي في إقامة الحججة على الأجيال المتعاقبة وجود رسول في بعضها، ولا يتوقف إقامة الحججة على وجود رسول في كل أمة، والآية الكريمة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ لم تتضمن بعثة الرسول لكل أمة، بل مجرد بعثة الرسول التي تتم به الحججة، وإن كانت حجته قائمة على عدة أمم.

﴿... وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (١٢).

س ٦٢٠ - ما هو الإمام المبين؟

ج- قيل: إنه الكتاب الظاهر الدال على علمه تعالى، وهو اللوح المحفوظ.

﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ...﴾ (١٩).

س ٦٢١ - ما معنى أن يكون طائرهم معهم؟

ج - الطائر: هو ما ينطرون ويتشائمون منه، وكان المقصود أن سبب الشؤم ملازم لكم، وهو الكفر بالله تعالى.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٣٨).

س ٦٢٢ - ما هو المستقر الذي تجري له الشمس؟

ج- هو ما قدر الله تعالى أن تستقر في جريانها له. ولعله ينطبق على ما يقوله علماء الفلك في العصر الحديث من اتجاه المجموعة الشمسية إلى «النسر الطالع» حيث تكون نهايتها بار نظامها به، وحينها تنتهي الحياة الدنيا. والله العالم.

سورة الصافات

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿(٢٧ - ٢٨).

س ٦٢٣ - كيف يقول هنا إنهم يتساءلون، بينما في سورة المؤمنون يقول تعالى : ﴿فَإِذَا تُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١)؟

ج - الناس عند الحشر لا يتساءلون - كما جاء في سورة المؤمنون - لأن لكل منهم يومئذ شأناً يعنيه ويشغله عن محاوراة الآخرين، بينما بعد الحساب حيث يمتاز أهل اليمين عن أهل الشمال ويدخل كل من الفريقين مقره الدائم، يتساءل أهل الشمال ويعتف بعضهم بعضاً، كما تحدثت آيات سورة الصافات هذه، وكذلك غيرها مثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾^(٢).

﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿(٨٨ - ٨٩).

س ٦٢٤ - كيف يكون ابراهيم عليه السلام سقيماً، والسقم كناية عن الشك؟

(١) سورة المؤمنون: ١٠١.

(٢) سورة ص: ٦٤.

ج - المتأمل في هذه الآية وغيرها من الآيات التي تتحدث عن ذلك يلاحظ أنها ليست بصدد بيان الحالة النفسية أو الموقف الفكري لإبراهيم بقدر ما تبين موقفه الحوارى ومحااجته لقومه، فلم يكن شكه حقيقياً، كيف! وقد حكى القرآن حوارَه معهم في آيات سابقة: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ أَتَيْتُمْكُمْ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٢﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾﴾^(١) وإنما هو الظهور بمظهر الشاك والتزام الشك في مقام الحوار، ليكون أبلغ في إقامة الحجة، وهو منهج مألوف لا يختص بإبراهيم عليه السلام، وقد أشار إليه القرآن الكريم في عدة مواطن، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾. ولعله إلى هذا يشير ما رواه العياشي بإسناده عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنها قالوا: «والله ما كان سقياً وما كذب»^(٢).

﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٢).

س ٦٢٥ - لماذا ذكر البشارة بإسحاق ولم يذكر

إسماعيل؟

ج - لعله باعتبار تقدّم ذكره باعتباره الذبيح: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ... ﴿٢﴾﴾^(١) وهذا مما يرجح أن الذبيح هو إسماعيل. وإن البشارة بإسحاق جاءت بعد ذلك.

ومما يشهد بأن الذبيح إسماعيل أن الآيات المذكورة تدلّ على أن البشارة بالغلام الذبيح كانت بعد طلبه الذرية - حيث كان عقياً - ﴿رَبِّ

(١) سورة الصافات: ٨٥ - ٨٧.

(٢) سورة سبأ: ٢٤.

(٣) مجمع البيان: ٧٠٢ / ٨.

(٤) سورة الصافات: ١٠١ - ١٠٢.

هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَى قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكُمْ...^(١)، وحيث إن إسماعيل أكبر سناً من إسحاق، باعتبار أن سارة أم إسحاق عندما وجدت نفسها لم تنجب من إبراهيم عليه السلام، وهبت له جاريتها هاجر - أم إسماعيل - لتلد له غلاماً، فولدت له هاجر إسماعيل، فيكون هو الغلام الحليم المبشر به والذي رأى في المنام أنه يذبحه.

«وقال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق أم إسماعيل؟ فقال: يا أصمعي أين ذهب عنك عقلك، ومتى كان إسحاق بمكة، وإنما كان بمكة إسماعيل، وهو بنى البيت مع أبيه، والمنحر بمكة، لا شك فيه»^(٢) أقول: فيكون هذا شاهداً ثالثاً على كون الذبيح إسماعيل.

(١) سورة الصافات: ١٠٠-١٠٢.

(٢) مجمع البيان: ٧٠٨/٨.

سورة ص

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (٣٣-٣٢).

س ٦٢٦ - كيف يفضل نبي الله حب الخير -

الخيل - على ذكر الله؟

ج - لم تتضمن الآية ذلك، وإنما تضمنت أن سليمان انشغل بحب الخير، كمن يعرض عليه ما يشغله عما اعتاده من ذكر الله، من دون أن يفضله على ذكر الله، ولذلك تعدى بـ (عن) فقال: ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ باعتباره مضمّن معنى الانشغال ولم يقل: على ذكر ربّي، حتى يدلّ على التفضيل.

كما انه لا دليل على أن المقصود من ذكر ربه الذكر الواجب، فقد يكون ذكراً مستحباً قد اعتاد عليه، ولا وجه لحملة على قوات الوقت الشرعي للصلاة الواجبة، لأن الشرائع مختلفة في أحكامها، فما هو واجب في الإسلام قد لا يكون واجباً في شريعة أخرى.

س ٦٢٧ - لماذا عاقب الخيل بقتلها مسحاً بالسوق

والأعناق مع أنها لا جرم لها؟

ج - هذا ليس من باب العقوبة لها، وإنما هو كبيع لرغبته بإزالة السبب

الذي أشغله عن ذكر الله تعالى . ويدخل ذلك في ضمن وسائل تربية النفس .

﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٤٨) .

س ٦٢٨ - لماذا قرّن ذكر إسحاق ويعقوب

بإبراهيم وأخّر ذكر اسماعيل مكتفياً بوصفه من

الأخيار ، ألا يعني تفضيلها عليه؟

ج - ذكر القرآن الكريم إسماعيل مقروناً بإبراهيم في عدة آيات مثل قوله تعالى: ﴿... وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَأَسْحَقَ وَيَعْقُوبَ...﴾^(١) ومجرد تأخير ذكره في آية واحدة، لمناسبة معيّنة لا يعني تفضيلها عليه.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أنّ خلوّ القرآن من تفضيل واضح لإسماعيل على إسحاق - رغم انتساب النبي محمد ﷺ إلى إسماعيل، والحماسية المفرطة التي يبديها اليهود وإصرارهم على تفضيل أبيهم إسحاق على إسماعيل الذي يتسبب له خصمهم نبي الإسلام وقومه - يشهد بارتباطه بالوحي الإلهي، كما قال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾^(٢). وأنه ليس من إنشاء محمد ﷺ لدعم سلطانه، كما يدعيه أعداء الإسلام.

(١) سورة النساء: ١٦٣ .

(٢) سورة النجم: ٣ - ٥ .

سورة الزمر

﴿... وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ...﴾ (٦).

س ٦٢٩ - ما معنى إنزال الأنعام؟

ج- هو إشارة لخلقها، ولعلّ التعبير عنه بالإنزال باعتبار كونه معلوماً لله تعالى قبل إيجاده وثابتاً في اللوح المحفوظ، كما تقول: «أنزلتُ الفكرة إلى الواقع».

س ٦٣٠ - كيف يقول: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ في إشارة إلى الزوجين من الأبل والبقر والغنم والمعز، بينما هي أربعة أزواج؟

ج- كلاً، لأن الزوج هنا هو أحد الزوجين، قال ابن سيده: الزوج: الفرد الذي له قرين. ولذلك يقال للرجل والمرأة: الزوجان. وقد تقدم الحديث في ذلك مفصلاً حول الآية (١٤٣) في سورة الأنعام. فراجع.

س ٦٣١ - ما هذه الظلمات الثلاث؟

ج- المروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنها ظلمات البطن والرحم والمشيمة^(١).

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ...﴾ (٢٣).

س ٦٣٢ - ما معنى قوله: ﴿مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾.

ج - كأنه إشارة إلى أن القرآن لا تضاد ولا تنافر بين آياته وأجزائه، بل هي متشابهة ومتناسقة يُكْمَل بعضها بعضاً، ويؤكد.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا...﴾ (٢٩).

س ٦٣٣ - ما هو المقصود من ضرب هذا المثل؟

ج - ضرب هذا المثل للتفريق بين العبودية لشركاء متشاكسين والعبودية لواحد، حيث يكون الصلاح في الحالة الثانية والفساد في الحالة الأولى، بسبب تشاكس الموالى وصراعهم. فكذلك عالم التكوين لو كان مخلوقاً لأكثر من إله لفسد واضطرب. فيكون هذا إشارة إلى دليل النظام الدال على التوحيد.

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٤٤).

س ٦٣٤ - كيف ينسجم حصر الشفاعة بالله

تعالى في هذه الآية وفي آية سورة السجدة:

﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾^(١)

مع اثبات الشفاعة لغيره تعالى في سورة

يونس: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾^(٢).

(١) سورة السجدة: ٤.

(٢) سورة يونس: ٣.

ج - ليس هناك مناقضة بين الآية في سورة يونس والآيتين الأولى والثانية، فإن الآية الأولى جاءت ردّاً على الكافرين من عبدة الأصنام الذين يتصورون أن الأصنام تشفع لهم يوم القيامة ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾.

فأولئك كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم من دون الله، فردّ عليهم تعالى بأن الشفاعة لله، وهو لا ينافي أن يُشَفَّعَ لشفاعة بعض عباده المؤمنين فإن شفاعة هؤلاء راجعة إليه تعالى وليست في مقابل شفاعته، ويصح نسبة فعل التابع الى المتبوع كما يقال: «الرئيس قتل فلاناً»، مع أنه لم يباشر القتل وإنما أمر به.

وكذا الآية الثانية - في سورة السجدة - فإنها جاءت ردّاً على الكافرين الذين كانوا يعبدون الأصنام من دون الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١٢﴾.

وهي لا تنافي شفاعة الأنبياء وغيرهم من الأبرار بإذن الله تعالى، وقد حفل القرآن الكريم والسنة بالآيات والنصوص الدالة على قبول الشفاعة بإذن الله تعالى، لأنها ترجع إليه سبحانه (٣).

(١) سورة الزمر: ٤٣ - ٤٤٥.

(٢) سورة السجدة: ٣ - ٤.

(٣) يراجع مسند أحمد: ١/ ٢٨١، و٢: ٢٧٥، و٣/ ٣١٣، و٢/ ٤٠٠، و٣/ ٢٠ ... وأنى أخرت عطيتي شفاعة لأمتي وإن الرجل من أمتي ليشفع للفتام من الناس فيدخلون الجنة، إن الرجل ليشفع للقبيلة ... و٤/ ٤١٦، و٥/ ٢٣٢، والبخاري: ٧/ ١٤٥. وصحيح مسلم: ١/ ١٣٠ و١٣١ و١٣٢. وسنن ابن ماجه: ٢/ ١٤٤. والسنن الكبرى: ٨/ ١٧، وغيرها، وهناك تعليق للفتوي يصرح فيه بتواتر آثار الشفاعة وإجماع السلف والخلف عليها (شرح مسلم: ٣/ ٣٥).

س ٦٣٥ - كيف تنفي هذه الآية الشفاعة لغير
 الله بينما تضمنت آيات أخرى الشفاعة لغيره،
 كما في قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ
 إِذْنِهِ﴾ وكذلك النصوص الكثيرة المتضمنة شفاعة
 النبي ﷺ وغيره؟

ج - لا تنافي بين هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات والنصوص
 المثبتة لشفاعة النبي وآله وغيرهم، لأن هذه الآية جاءت ردّاً على الاستشفاع
 بالأصنام ونحوها من دون الله ومن دون إذنه، بينما النبي وآله (صلوات الله
 عليهم) يشفعهم الله تعالى، فشفاعتهم راجعة إليه وبإذنه تعالى. فليست هي
 الشفاعة من دون الله المنفية في هذه الآية.

سورة خافز

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (١١).

س ٦٣٦ - ما هما الميطان وما هما الحياتان؟

ج - الظاهر أن الموتة الأولى هي حالة الإنسان قبل حياته في الحياة الدنيا، والثانية هي موته ومفارقته للحياة الدنيا، وسمى الأولى إمارة من باب التغليب - باعتبار أن الثانية إمارة - وهو شائع في كلام العرب. والحياتان أولاهما بإحيائه في الحياة الدنيا، والثانية بإحيائه بعد الموت، فتكون هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْواتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾^(١). فسمى حالة العدم قبل الحياة الدنيا موتاً لاشتراكهما في الآثار.

﴿... وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ...﴾ (٢٨).

س ٦٣٧ - لماذا قال: ﴿يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾

مع أنه إذا كان صادقاً يصيبهم كل الذي يعدهم؟

ج - هذا التحذير من تصديهم لقتل موسى عليه السلام، كما هو ظاهر من قول مؤمن آل فرعون: ﴿... أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ...﴾ وليس

(١) سورة البقرة: ٢٨.

مرتبطاً بدعوتهم وحثهم على الإيمان برسالة موسى ﷺ كي يتضمن تأكيد وقوع كل ما وعده موسى ﷺ . فكان مقصود مؤمن آل فرعون: أنكم إذا لم تؤمنوا برسالته وبالمعاد فتجنبوا قتله حذراً من العذاب الدنيوي - الذي هو بعض ما وعده موسى لهم - الماحق الذي يصيب الأمم التي تقتل أنبياءها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ...﴾ (٥٦).

س ٦٣٨ - ما معنى عدم بلوغهم الكبر؟

ج - حيث كان خصامهم وعنادهم نتيجة استكبارهم عن الخضوع للحق - كما أكدته كثير من الآيات - أشار هنا إلى انهم سوف لا يبلغون الشموخ الموهوم، لأن الله تعالى سوف يذلهم.

سورة الشورى

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ...﴾ (٥).

س ٦٣٩ - لماذا كادت السماوات يتفطرن؟

ج - إشارة الى عظمة الله تعالى والخضوع والخشية من جبروته. فهي نظير قوله تعالى: ﴿... وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١).

﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾ (٢٣).

س ٦٤٠ - من هم ذوو القربى الذين نتحدث

عنهم الآية؟

ج - هم عترة النبي ﷺ. وروي أنها لما نزلت قيل: «يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما» (٢). وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إنها نزلت فينا أهل البيت أصحاب الكساء» (٣). ولذلك لم يتحدث التاريخ أنه قد تم تطبيقها على غيرهم، مثل زوجاته.

(١) سورة البقرة: ٧٤.

(٢) الكشاف: ٤ / ٢٣٠.

(٣) مجمع البيان: ٩ / ٤٤.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (٢٦).

س ٦٤١ - كيف قال: ﴿يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مع أن الذي يستجيب هو الله، والمؤمنون يستجاب لهم؟

ج - فاعل الاستجابة هو الله تعالى ومفعوله الذين آمنوا، لأن فعل الاستجابة كما يتعدى للموصول باللام يتعدى بنفسه أيضاً، قال ابن منظور: «... استجابه واستجاب له، قال كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب»^(١)
فقال: يستجبه، ولم يقل يستجب له. وكلاهما صحيح.

﴿... أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا...﴾ (٥٠).

س ٦٤٢ - ما معنى تزويجهم الذكور والإناث؟

ج - معناه أن يجمع لهم في الذرية من الذكور والإناث. وليس المقصود من التزويج هنا الزواج.

﴿... مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ...﴾ (٥٢).

س ٦٤٣ - كيف لا يكون النبي - محمد ﷺ عارفاً بالإيمان قبل رسالته مع أنه كان موثقاً بالله تعالى؟

ج - الإيمان لا يقتصر على الاعتقاد بأصل التوحيد، بل هناك تفاصيل الصفات والمعاد وغيرها مما تجلّى للنبي ﷺ بعد الوحي إليه.

سورة الزخرفة

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ (١٥).

س ٦٤٤ - كيف جعلوا له جزءاً؟

ج- من خلال ادعائهم أن له ولداً، وكل ولد فهو جزء وبضعه من والده.

﴿أَوْ مَنْ يُنشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (١٨).

س ٦٤٥ - من الموصوف بهذه الصفة؟

ج- إنه وصف للنساء - بشكل عام - حيث تنشأ البنت وتحاط بالزينة، وليس لها دور فاعل في ساحات الوغى والخصام عندما تكبر، فانها (ريحانة وليست بقهرمانه) - كما ورد في الحديث - . فمن كانت تلك طبيعته كيف يصطفيه الله تعالى ويستعين به على إدارة الكون - كما يزعمون - . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وهو رد على الكافرين الذين يزعمون أن الملائكة إناث تساهمن في إدارة عالم التكوين ويعن الله تعالى في ذلك.

﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كِتُوبٌ * لَقَدْ

جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٧٧-٧٨).

س ٦٤٦ - هل المخاطبون في كلام (مالك) ﴿قَالَ

إِنَّكُمْ مَا كُتُبُونَ... ﴿١﴾ أهل النار فقط أو البشرية جمعاء؟

فإذا كان المقصود بها البشرية جميعاً، فكيف يوجه كلام إلى البشرية جميعاً وهو يخاطب أهل النار فقط؟

وإذا كان المقصود أهل النار فقط فلماذا استخدم عبارة ﴿أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ ولم يستخدم عبارة: (وكنتم للحق كارهون) حيث إن ن كل أهل النار كارهون للحق؟

ج - في تفسير هذه الآية وجهان ..

الأول: أن يكون الخطاب لأهل النار بما هم بشر وليس بما لهم من خصوصية كونهم عاصين لله، كما تقول لمجموعة من أهل بلدة معينة: «لقد حذرتكم ولكن أكثركم لم يعتن بالتحذير»، وتقصدهم في الخطاب باعتبارهم أهل البلدة، لا بما هم تلك المجموعة الخاصة المذمومة.

الثاني: أن يكون الخطاب لأهل النار، والتعبير بالأكثرية باعتبار أن بعض أهل النار لم يكرهوا الحق ولكن جهلهم وحقهم جرّهم إلى النار كما ورد عن الامام علي (عليه السلام): «لا تقاتلوا الخوارج من بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه».

فهناك أقلية من أهل النار لا يكرهون الحق، لكن جهلهم وتقصيرهم في البحث عن الحق أوردتهم جهنم.

اللهم لا تجعلنا من الأخسرين أعمالاً: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسَبُونَ صُنْعاً﴾ (١).

سورة الدخان

﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٢).

س ٦٤٧ - هل ان بني اسرائيل مفضلون على كل الأمم وفي كل العصور؟

ج - كلاً، فإن الآية تتحدث عن خصوص قوم موسى الذين فضلهم على العالمين المعاصرين لهم كالأقباط والفرس وغيرهم.

ويمكن أن يكون المقصود من التفضيل تمييز بني إسرائيل بوفرة الأنبياء، حيث لا تشاركهم في هذه الفضيلة أمة. وعلى كل حال ليس المراد من التفضيل سمو ورفعة مقامهم، لأن الدين عند الله الإسلام، فمن دان بدين الله أفضل ممن أنكره عناداً وعاداه، ولذلك ذمهم القرآن الكريم والنصوص كثيراً، بسبب كفرهم وكيدهم للإسلام وأهله.

وتما يشهد بعدم إرادة رفعة المقام من التفضيل أن المسلمين لم يشكوا في دينهم ولم يتوهموا ذلك، كما أن اليهود المعاصرين للنبي ﷺ لم يحتجوا على المسلمين بهذه الآيات.

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (٥٦).

س ٦٤٨ - كيف استثنى الموتة الأولى مع أنها لا تكون في الجنة حتى يذوقوها؟

ج - قيل: ان الاستثناء هنا منقطع أي من المفهوم لا المنطوق، وذلك إنه حيث كان بصدد بيان سعادتهم في الجنة فعندما نفى تذوق الموت قد يفهم منه عدم خطوره بالبال أيضاً، فاستثنى الموتة الأولى من هذا المفهوم، باعتبارهم يتذكرونها، فكأنه قال: لا يذوقون فيها الموت ولا يخطر ببالهم إلا الموتة الأولى. ويلوح وجه محتمل آخر: وهو أن يكون ذكر الاستثناء المذكور لغرض تأكيد عدم تذوقهم للموت في الجنة، وهو اسلوب عرفي شائع. كما يقال للمريض - بعد إجراء عملية جراحية له -: سوف لا تحتاج إلى إجراء عملية جراحية أخرى إلا هذه العملية، وذلك بهدف حصر الحاجة بتلك العملية، وتأكيد نفي الحاجة لغيرها في المستقبل، ولعل هذا الوجه أرجح من الوجه الأول.

سورة الجاثية

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤).

س ٦٤٩ - ما معنى أن يغفر المؤمنون للكافرين؟

ج - بأن يتركوا خصامهم ويتحملوا أذاهم في الدنيا - في غير ظروف الصراع بين الحق والباطل - انتظاراً وإيكالاً لعذاب الله لهم في الآخرة.

س ٦٥٠ - لماذا جزم: ﴿يَغْفِرُوا﴾ والمفروض

رفعه بثبوت النون، لأنه مقول القول؟

ج - كلاً ليس هو مقول القول، بل المقول محذوف تقديره (اغفروا) أي «قل للذين آمنوا اغفروا يغفروا» كما دلّت عليه القرينة، وعلى هذا يكون جزم ﴿يَغْفِرُوا﴾ لأنه جواب الطلب المتقدم، وهو ﴿قل﴾ وذلك يستبطن أمرين:

الأول: أن الرسول لا يتوانى عن أمرهم بذلك تنفيذاً للأمر الإلهي

إليه ﴿قل﴾.

الثاني: أن من شأن المؤمنين طاعة الرسول عندما يأمرهم بالمغفرة

والاعراض عن هؤلاء وتحملهم ويترتب على هذين الأمرين أن توجه

الأمر الإلهي للرسول ﴿قل﴾ يترتب عليه امثال المؤمنين ومغفرتهم

وتحملهم هؤلاء المنكرين للبعث.

س ٦٥١ - ما معنى أيام الله؟

ج - هي الأيام المنسوبة له تعالى باعتبار ظهور ملكه وسلطانه مثلاً،
 كيوم القيامة كما قال تعالى: ﴿... لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١).

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا
 الدَّهْرُ...﴾ (٢٤).

س ٦٥٢ - إن قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ اعتراف
 منهم بالحياة بعد الموت، فكيف قالوا: ﴿مَا هِيَ
 إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾؟

ج - كلاً، لأن الواو لا تدلّ على الترتيب، يقصد هؤلاء الكافرون
 أنه لا توجد حياة أخرى غير هذه الحياة التي يولد بعضها ويموت البعض
 الآخر فيها، أي يولد جيل ويموت جيل. فالمقصود من ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾
 هو موت جيل وحياة جيل آخر في الدنيا.

(١) سورة هافر: ١٦.

سورة الفتح

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَبِئْسَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ
اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (١ - ٣).

س ٦٥٣ - ما هو الارتباط بين الفتح على
النبي ﷺ بصلح الحديبية أو فتح مكة - على
اختلاف المفسرين - وبين غفران ذنوبه؟

ج - الظاهر أنه ليس المراد من الذنب المعصية - كيف! وهو ﷺ
معصوم من ذلك - إذ لا يتجه الربط بين الفتح الإلهي - الذي هو نعمة
إضافية على النبي ﷺ - وبين غفران ذنوبه. بل كأن المقصود من الذنب
التبعات والجرائم التي كان في أنفسهم بسبب أوهامهم وتخريصاتهم عن
رسالة النبي ﷺ ودعوته لهم، سواء القديمة منها عندما كان بين
أظهرهم في مكة أم المتأخرة التي حدثت بعد الهجرة من مواقفه وحروبه
معهم. فإن موقفه في صلح الحديبية واستعداده للسلام معهم واحترامه
للبيت الحرام كشف عن زيف التهم والأوهام التي كانوا يحملونها عنه ﷺ
وعن رسالته، فيكون ذلك غفراناً - من المغفرة بمعنى التغطية - وإزالة
لتلك التهم وكشفاً لزيفها. وبهذا الوجه يتسجم ذيل الآية مع مقدمها

ويتضح الارتباط بينهما، ويتضح أنه لا يراد من الذنب المعصية لله تعالى.

﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ...﴾ (٥).

س ٦٥٤ - ما هو الارتباط بين دخول المؤمنين

الجنة وما قبله حتى جاءت لام التعليل؟

ج - بعد أن أنزل الله تعالى السكينة على المؤمنين فثبتوا وازدادوا إيماناً استحقوا رحمة الله وجناته وكفر عنهم سيئاتهم.

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٩).

س ٦٥٥ - هل مرجع الضمائر في قوله:

﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ هو الله

أو رسوله؟

ج - يمكن إرجاع الأولين للرسول، والأخير لله تعالى، ويمكن إرجاع الجميع لله تعالى، لأن التعزيز بمعنى النصرة، فيكون نظير قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾^(١)، والتوقير هو التعظيم، وقد ذم الله تعالى الكافرين بقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾^(٢) أي لا تعظمونه.

(١) سورة محمد: ٧.

(٢) سورة نوح: ١٣.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ...﴾ (١٥).

س ٦٥٦ - كيف يبدلون كلام الله بخروجهم؟

ج - روى المؤرخون أن النبي ﷺ وعده الذين خرجوا معه إلى الحديبية بعد الصلح أن يحصلوا على مغنم خيبر وخصهم بها، فأراد المتخلفون عن الحديبية أن يخرجوا إلى خيبر ليشاركوا في المغنم الموعودة خلافاً لما أَرَادَهُ اللهُ تعالى وشرعه.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (١٨).

س ٦٥٧ - هل تدل هذه الآية على أن أهل

بيعة الشجرة مرضيون عند الله تعالى مهما

فعلوا بعدها؟

ج - الآية تدل على الرضا عنهم في موقفهم هذا، لا عن أشخاصهم وتركبتهم مطلقاً، ولذلك قال: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ ليكون بدل اشتغال - كما يسميه النحاة - نظير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُتِبَ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمُ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾^(١) أي اذكر وقت ابتادها لا اذكر شخص مريم، لأن الهدف التذكير بالحدث وما تضمنته من آية ودلالة. ويؤكد ما ذكرناه تخصيص

(١) سورة مريم: ١٦.

الوعد الإلهي بالأجر والمغفرة ببعضهم في آخر هذه السورة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ... وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١). مما يؤكد أن الرضا الإلهي كان عن بيعتهم، وليس فيه تزكية لأشخاصهم وما يفعلونه في المستقبل.

وعلى كل حال، فكان نتيجة موقفهم المرضي هذا أن أثابهم الفتح القريب والمغانم الكثيرة، بينما عاتبهم يوم حنين - بعد ذلك - حينما أعجبتهم كثرتهم وأخذهم الغرور فانهزموا: ﴿... وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾^(٢).

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) سورة التوبة: ٢٥.

سورة ق

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ (١).

س ٦٥٨ - ما هو جواب القسم المذكور؟

ج - طبق القواعد النحوية يكون جواب القسم محذوفاً مدلولاً عليه بالآيات اللاحقة: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ...﴾.

﴿... فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (٩).

س ٦٥٩ - ما هو حبّ الحصيد؟

ج - الحبّ الذي من شأنه أن يُحصَد كالحنطة والشعير، وهذا من باب إضافة الموصوف للصفة، مثل مسجد الجامع وحقّ اليقين، والمعنى: الحبّ الحصيد والمسجد الجامع والحقّ اليقين.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (١٧).

س ٦٦٠ - من هما المتلقيان وماذا يتلقيان؟

ج - هما الملكان الملازمان للإنسان عن يمينه وشماله يتلقيان أعماله ويسجلانه. والقعيد كناية عن الملازم الذي لا يفارق.

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ
الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٢٢).

س ٦٦١ - ما معنى أن يكون البصر حديداً؟

ج - أي حادّ النظر وثاقباً حيث يرى الكافر الحقيقة يوم القيامة من دون غشاوة.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلِ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ (٣٩ - ٤٠).

س ٦٦٢ - ما هذه التسيّحات وذكر الله في هذه
الأوقات؟

ج - قبل الأولى صلاة الفجر، وقبل الغروب صلاتا الظهرين. وفي
الليل صلاتا العشاءين. وأما أدبار السجود، فهو تعقيب الصلوات، وقيل:
إنه الوتر من آخر الليل، روي ذلك عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ^(١).

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ
مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدِ﴾ (٤٥).

س ٦٦٣ - ما هو الجبار؟

ج - الجبار المتسلط الذي يفرض الأمر فرضاً عليهم. والآية تشير إلى
أن مسؤولية الرسول ﷺ هي التبليغ وإلقاء الحجّة، وليس هو فرض
الإيمان على المجتمع جبراً وقسراً.

سورة الذاريات

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا *
فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا﴾ (١ - ٤).

س ٦٦٤ - ما معنى هذه الأمور التي أقسم بها؟

ج - عن الإمام علي عليه السلام أنه قال وهو على المنبر: سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي. فقام ابن الكواء فقال: ما الذاريات ذرُوءاً؟ قال: الرياح (باعتبارها تذرُو أي تُطير التراب ونحوه) قال: فالحاملات وقرأ؟ قال: السحاب (لأنها موقرة أي مثقلة بالماء التي تحمله). قال: فالجاريات يسراً؟ قال: الفلك (باعتبارها تجري على الماء جرياً سهلاً) قال: فالمقسّمات أمراً؟ قال: الملائكة (لأنهم مكلفون من قبل الله تعالى بتقسيم الأرزاق ونحوها) (١).

﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (٦).

س ٦٦٥ - ما معنى وقوع الدين؟

ج - الدين بمعنى الحساب أو الجزاء، وهو متحقق يوم القيامة.

(١) تراجع الكشاف: ٤ / ٣٩٤ - ٣٩٥.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٤٠).

س ٦٦٦ - ما معنى: ﴿مُلِيمٌ﴾؟

ج - المُلِيم: هو الذي يفعل ما يستحق اللوم عليه.

﴿وَالسَّاءِ بَيِّنَاتٍ بِأَيْدِي وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧).

س ٦٦٧ - ما معنى الأيد؟

ج - الأيد: القوة والإحكام.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٥٩).

س ٦٦٨ - ما هو الذَّنُوبُ الذي للظالمين وَمَنْ

يشاركونهم في الكفر من الأمم السابقة؟

ج - الذَّنُوب: هو النصيب، والمقصود هنا نصيبهم من العذاب.

سورة الطور

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ (١٠).

س ٦٦٩ - كيف يقول إنها تسير آنذاك مع أن آيات أخرى ذكرت أن من أشرط الساعة أن تُنسف الجبال وتكون كثيباً وكالعهن المنفوش، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾^(١) ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾^(٢) ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنُفُوشِ﴾^(٣)؟

ج - إن سيرها كناية عن زوال ثباتها واستحكامها، ويتحقق ذلك عند نسفها ودكها، كما قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سُرَابًا﴾^(٤) حيث جمع بين سيرها وكونها سراياً أي دمارها. فلا تناقض بين الآيات.

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ (٢٣).

س ٦٧٠ - كيف يتنازعون مع أن الجنة لا نزاع

(١) سورة المرسلات: ١٠.

(٢) سورة المزمل: ١٤.

(٣) سورة الفارعة: ٥.

(٤) سورة النبا: ٢٠.

فيها ولا تخاصم؟

ج - التنازع هنا بمعنى التجاذب، كما يفعله المتسامرون، من دون خصومة وعداء. قال ابن منظور: «وأصلُ النزعُ الجذبُ والقلعُ».

وقال أيضاً: «ومنازعة الكأس: معاطاتها. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ أي يتعاطون، والأصل فيه يتجاذبون»^(١).

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥).

س ٦٧١ - كيف يستنكر أن يكونوا مخلوقا من غير

شيء مع أن الله تعالى أبداع الخلق لا من شيء؟

ج - هذارد على ادعائهم بأن وجودهم لم يكن بإيجاد خالق - فالخلق هنا بمعنى الوجود - بينما وراء خلق الإنسان وكل المخلوقات الأخرى الباري تعالى بما له من قدرة وإبداع وكمال. فد(من) في الآية للسببية والمنشأ، لا لبيان أصل المخلوقات وحالتها السابقة حتى يتنافى مع إبداع الخلق لا من شيء.

(١) لسان العرب: ٨ / ٣٥٠ - ٣٥١.

سورة القمر

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١).

س ٦٧٢- لو كان القمر قد انشق في عهد رسول الله لراه باقي الأمم والشعوب، ولم يعرف ذلك في التاريخ؟

ج- لا دليل على عدم رؤية شعوب أخرى^(١) لشق القمر. ومجرد عدم ذكره في التاريخ غير الإسلامي لا يدل على عدمه، لأن التدوين والتوثيق لم يكن مألوفاً آنذاك، على أن جل الكتب والمصادر المدونة قد تلفت ولم تصل إلينا. هذا، وإن ذكر هذه الآية الكية لشق القمر شاهد تاريخي قوي- بالنسبة لغير المسلمين فضلاً عن المسلمين- على حدوثه، لأن المسلمين كانوا أقلية حديثي عهد بالإسلام في مكة، والمشركون يترصدون بهم، ويضيقون بهم ذرعاً حتى استخدموا معهم مختلف أساليب البطش والقسوة.

فكيف تتضمن الآية أمراً من شأنه أن يكون واضحاً للعيان، وهو لا واقع له؟! مما يوجب تشكيك الأقلية المسلمة المضطهدة في دينها ومحااجة المشركين لهم. بل إن الآية اللاحقة: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾^(٢) شاهد على أن المشركين لم يكذبوا ذلك، وإنما فسروه بالسحر.

(١) المقصود خصوص الشعوب التي كان القمر طالعاً عندهم حين حدوث هذه الآية، ولم تكن في الجوّ عندهم علة من مطر ونسيم ونحوهما. وأما غيرهم فلم يظهر لهم شق القمر حتى يروه.

(٢) سورة القمر: ٢.

سورة الرحمن

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ (١٣).

س ٦٧٣ - لماذا تكررت هذه الآية أكثر من مرة؟

ج - كأنه من باب التذكير بالنعم الإلهية الوفيرة، وتأکید الحججة على الخلائق ليشكروها بمعرفة ربهم والخضوع والطاعة له.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ (٣١).

س ٦٧٤ - كيف يقول: ﴿سَنَفْرُغُ﴾ مع أن الله

تعالى لا يشغله شيء عن شيء حتى يتفرغ له؟

ج - جاء الفعل هنا بمعنى القصد، قال ابن الأعرابي - في تفسير هذه

الآية - أي سنعمد، واحتج بقول جرير:

ولما اتقى القينُ العراقيَّ باسته فرَغْتُ إلى العبدِ المقيدِ في الحجِجِ

قال: معنى فرَغْتُ أي عمَدْتُ...^(١).

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (٣٩).

س ٦٧٥ - كيف لا يُسألون عن ذنوبهم مع أن ذلك اليوم يوم الحساب والسؤال؟

ج - الظاهر أن المقصود الإشارة إلى عدم الحاجة للاستفسار منهم عن صدور الذنوب، لأن الأدلة الاثباتية متوفرة بحدّ الكفاية من دون حاجة لاستجوابهم، فأعضاؤهم وجلودهم تشهد عليهم، بالإضافة إلى سيئاتهم، كما قال تعالى لاحقاً: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّئَاتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾^(١).

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ (٤٤).

س ٦٧٦ - هل يخرجون من جهنم إلى الحميم؟

ج - كلاً، لأن الحميم في جهنم، وإنما المقصود الإشارة إلى توارد أصناف العذاب عليهم وتعاقبه، فهم بين نار وحميم. نعوذ بالله تعالى من غضبه وعقابه.

سورة الواقعة

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (٨٢).

س ٦٧٧ - كيف يجعلون رزقهم التكذيب؟

ج - كان حظهم هو تكذيب المعاد وما جاء به الرسول، أو أنهم كانوا يرتزقون بالتكذيب، حيث يحفظون مصالحهم ومقامهم في الدنيا بذلك بدلاً من الخضوع للحق والإيمان بالنبى ﷺ ورسالته.

﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٨٦ - ٨٧).

س ٦٧٨ - ما هو المقصود من هذا التحدي؟

ج - إنه تحدٍ للكافرين الذين لا يؤمنون بالله تعالى، والمعنى: هلاً ترجعون الأرواح إلى أصحابها - أو أرواحكم إليكم - إن لم تكونوا خاضعين لله تعالى وقضائه كما تزعمون. والله العالم.

سورة الحديد

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْحَقِّ...﴾ (١٦).

س ٦٧٩ - أليست قلوب المؤمنين خاشعة لذكر الله؟

ج - ليس كل الصحابة والمؤمنين على درجة سواء، ولذلك اختلف
الموقف منهم، وورد العتاب لبعضهم، والتحذير من الغفلة والقسوة. وعن
أبي بكر أن هذه الآية قرئت بين يديه، وعنده قوم من أهل اليمامة، فبكوا
بكاءً شديداً. فنظر إليهم فقال: هكذا كنا حتى قست القلوب^(١).

﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١٨).

س ٦٨٠ - كيف عطف الفعل ﴿أَقْرَضُوا﴾ على اسم

﴿إِنَّ﴾ والمفروض أن يكون المعطوف اسماً لافِعلاً؟

ج - كلاً، إن الفعل ليس معطوفاً على اسم (إِنَّ)، بل اسم (إِنَّ)
هو (أَل) الموصولة، وصلتها اسم الفاعل (مُصَدِّقِينَ) والفعل (أَقْرَضُوا)

(١) تراجع الكشاف: ٤ / ٤٧٧.

معطوف على صلة الموصول، لا على اسم الموصول نفسه.

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٣).

س ٦٨١ - كيف لا يأسى الإنسان على ما فاته ولا
يفرح بما آتاه الله من النعم؟

ج - إذا علم الإنسان أن كل ما يجري عليه بقضائه تعالى وقدره،
وهو الكريم المحسن، لا تتعلق نفسه بما عنده ولا يكون أسير المادة، بل
يأمل دائماً في كرم ربه وولي نعمته، وهو الذي يعوّضه عما فاته بغيره أو
بشواب الصبر. كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ﴾^(١). حيث لا حزن على ما فات، ولا خوف مما يأتي.

وعن الإمام علي عليه السلام: الزهد كله بين كلمتين من القرآن، قال الله
سبحانه: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ ومن لم يأس
على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه^(٢).

(١) سورة يونس: ٦٢.

(٢) نهج البلاغة: ٥٥٣ - ٥٥٤ الحكمة رقم: ٤٣٩.

سورة المجادلة

﴿... وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٨).

س ٦٨٢ - كيف يتمنون أو يطلبون عذاب الله تعالى؟

ج - إنما قال ذلك اليهود استهزاءً بالنبي ﷺ حيث لم ينزل عليهم العذاب الدنيوي بسبب سوء أفعالهم وعدوانهم تجاهه ﷺ. فردّ عليهم القرآن بقوله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، لأن الله تعالى لم يقدر مع رسالة النبي ﷺ عذاب المحق الدنيوي، كما كان بالنسبة لكثير أو أكثر الأمم السابقة التي كذّبت رسلها.

﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ...﴾ (١٣).

س ٦٨٣ - كيف يتوب الله عليهم ولم يفعلوا

معصية، بل شحّت أنفسهم فتركوا مناجاة الرسول ﷺ؟

ج - التوبة هي العودة والإقبال بعد الإعراض، وليس من الضرورة أن يكون الإعراض بسبب المعصية، بل بسبب الشحّ والجهالة حيث

تركوا مناجاة الرسول ﷺ بسبب ذلك. وهذه الآية من الموارد التي استعملت فيها التوبة في مورد فعل ما لا ينبغي من دون أن يكون هناك ذنب وعصيان لله تعالى.

هذا، وقد ذكر المحدثون والمفسرون أنه لم يعمل بآية النجوى سوى الإمام علي عليه السلام، حيث روي عنه قوله: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي: كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم. وعن ابن عمر: كان لعلي ثلاث، لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم، تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى^(١).

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٨).

س ٦٨٤ - كيف يجردون على الحلف كذباً على الله يوم القيامة؟

ج - هؤلاء هم المنافقون الذين اعتادوا على الكذب في الحياة الدنيا، يكذبون في الآخرة جريماً على تلك الخصلة الذميمة تحبطاً وجهالة، كما يتشبث الغرقى بالخيط الرفيع طمعاً في النجاة، مع علمهم بعدم جدواه.

سورة الممتحنة

﴿... يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ...﴾ (١).

س ٦٨٥ - لماذا لم يقل (يخرجونكم والرسول)
من باب الاختصار ؟

ج - قدم ذكر الرسول تعظيماً لشأنه، حيث إن إخراجه أعظم وزراً
من إخراج المسلمين.

﴿... وَلَا تُنْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ...﴾ (١٠).

س ٦٨٦ - إذا كان إبقاء الزوجة الكافرة محرماً
فكيف يفتي كثير من الفقهاء بجواز الزواج من
الكتابية؟

ج - المنظور في الآية الكافرات المشركات لا الكتابيات.

﴿... وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ...﴾ (١٢).

س ٦٨٧ - لماذا خص المعصية بالمعروف مع أن النبي
لا يأمر بغير المعروف، فلا حاجة للتنصيص عليه؟

ج - لعل التنصيص عليه رعاية لحساسية المجتمع العربي تجاه

النساء - خاصة إن المجتمع المكي جديد عهد بالإسلام - فأكدت الآية على أنّ طاعتهم المفروضة للنبي ﷺ إنما هي في المعروف، باعتبار أنه ﷺ لا يأمر إلاّ به.

ومن فوائد التنصيص على طاعتهم له بالمعروف غلق المنافذ أمام الحملات الإعلامية المضلّة من جانب المشركين - كما هي العادة في كل صراع - كي لا يشيعوا أن الإسلام يفرض طاعة النساء للنبي ﷺ تنفيذاً لهواه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَتَّبِعُوا
مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (١٣).

س ٦٨٨ - لماذا خصّ الكفار بالذكر، مع أنّ المؤمنين

أيضاً لا يطعمون في الأموات - أصحاب القبور - ؟

ج - كلاً، فإنّ المؤمنين يعتقدون يبعث الأموات وإحيائهم، بينما

الكفار ينظرون إليهم كعظام نخرة بالية لا تعاودها الحياة.

سورة الجمعة

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾ (٢).

س ٦٨٩ - إذا كان مبعوثاً في الأميين فكيف تكون رسالته عامة لكل الشعوب؟

ج - إن تعدية البعث بـ (في) لا يعني اختصاص رسالته بهم، ولذلك لم يقل: (إلى الأميين). ومما يؤكد عدم دلالة الآية على حصر الرسالة بالأميين، أن سورة الجمعة نزلت في المدينة، حيث دعا النبي ﷺ اليهود فيها إلى الإيمان برسالته، مع أنهم أهل كتاب وليسوا من الأميين.

ولعلّ الذي دعا إلى التنصيص على (الأميين) كون الآيات هنا يصدد بيان مدى فضل الله تعالى ولذلك جاء التعبير هنا عن عرب الجزيرة بالأميين، باعتبار انتشار الأُمّة والبداءة فيهم، ولذلك عُرف مجتمعهم بالمجتمع الجاهلي.

فبعثُ النبي ﷺ فيهم لتعليمهم وتزكيتهم بعد أن كانوا في ضلال مبين يؤكد الفضل الإلهي بحيث شمل الأميين من عباده وملاحظة هذه المناسبات والنكات كثيرة في الاستعمالات القرآنية من دون دلالة للآية على اختصاص بعثة النبي ﷺ لخصوص أهل مكة أو عرب

الجزيرة، وهي ليست بصدد ذلك.

س ٦٩٠ - لماذا عطف الحكمة على الكتاب مع أن
الكتاب يحتوي على الحكمة؟

ج - الحكمة تشمل مكارم الأخلاق ونحوها مما لا يعرف من الكتاب
العزیز، بل تضمته السنة الشريفة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ
النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦).

س ٦٩١ - كيف يؤنبهم على ذلك مع أن أكثر
المسلمين الصالحين لا يتمنون الموت؟

ج - إنما كان تأنيبهم على ادعائهم أنهم أولياء الله وأحباؤه، فاحتج
عليهم بأن ادعاءهم هذا وما يستتبعه من المكانة والحظوة والنعيم المزعوم
الذين ينتظرهم لا ينسجم مع عدم تمتيهم الموت، بينما المسلمون لا يدعون
أنهم أحبباء الله، وإنما هم عباده ومسؤولون عن أعمالهم يوم القيامة ويعيش
المؤمن حالة الخوف والرجاء.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١١).

س ٦٩٢ - لماذا قدم التجارة على الله في صدر
الآية، وأخرها عنه في آخرها؟

ج - لأن صدر الآية بمثابة الترقى في توييخهم بينما ذيلها بمثابة

الترقي في تفضيل الصلاة.

توضيحه: أنه حيث كان صدر الآية بصدد نقد سلوكهم وبما أن التجارة أهم من اللهو بدأ بها مشيراً إلى أن بعضهم رجح التجارة على الصلاة، ثم ترقى في التوبيخ حيث أشار إلى أن آخرين منهم قدّموا ما هو أدنى من التجارة وهو اللهو على الصلاة، فأنّ منهم من ترك الصلاة خلف النبي ﷺ - عندما سمع طبول القوافل التجارية الداخلة إلى المدينة - بهدف التجارة، ومنهم من ترك الصلاة لمجرد اللهو والمتعة، فكان مقتضى الترقي هنا تقديم التجارة على اللهو.

بينما في ذيل الآية حيث كان بصدد بيان القيمة الواقعية للصلاة، فضلها أولاً على اللهو - الذي هو أدنى - ثم فضلها على التجارة، وذلك هو المناسب للترقي في التفضيل، إذ لو فضل الصلاة على التجارة لم يتوجه تفضيلها بعد ذلك على اللهو الذي هو أدنى من التجارة، بل يكون ذلك زيادة غير مناسبة.

سورة المنافقون

﴿... كَانَهُمْ خُشْبٌ مَّسْنَدَةٌ يُحَسِّبُونَ كُلَّ صَیْحَةٍ عَلَيْهِمْ...﴾ (٤).

س ٦٩٣ - كيف شبههم بالخشب المسندة؟

ج - باعتبار أن من يؤمن بلسانه دون عقله مثل الهياكل والتماثيل التي لا روح فيها.

س ٦٩٤ - لماذا قال: ﴿يُحَسِّبُونَ كُلَّ صَیْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾؟

ج - لأن المنافق يعيش هاجس الفضيحة والخوف دائماً.

سورة التغابن

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ...﴾ (٩).

س ٦٩٥ - لماذا سمي يوم القيامة بيوم التغابن؟

ج - لعله مأخوذ من الغبن بمعنى ضعف الرأي والسفاهة، حيث يستخف المؤمنون بها آل إليه مصير الفاسقين والكافرين.

سورة الطلاق

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ

بِمَعْرُوفٍ...﴾ (٢).

س ٦٩٦ - إذا بلغن أجلهن وتمت العدة فكيف

يمكنه الرجوع بالمرأة وامساكها؟

ج - المقصود من بلوغ الأجل مشاركة نهاية العدة لا انتهاؤها. وكأنه

لناكيد حق الرجوع للمطلق إلى نهاية العدة.

سورة التحريم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

س ٦٩٧ - كيف يغير النبي حكم الله فيحرم
الحلال إرضاءً لأزواجه؟

ج - المقصود من التحريم هنا مجرد الاجتناب لا البناء على حرمة،
كما يقال: حرّم فلان على نفسه الخضاب أي اجتنبه، ومجرد اجتناب الحلال
تجنباً لمشاكل بيتية بسببغيرة زوجته ليس معصية حتى لا ينسجم مع مقام
النبوة. وقد حثّ الله نبيه - من خلال الآية الكريمة - إلى تجاهل ضغوط
زوجاته عليه من دون حق.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا
تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا...﴾ (١٠).

س ٦٩٨ - كيف يمسك النبي زوجة خائنة؟

ج - ليس المقصود بذلك الخيانة الزوجية، وإنما انضمامها إلى الكافرين
ومواطنتهم، حيث قيل: إن امرأة نوح كانت تخبرهم بمن يؤمن به، وامرأة
لوط كانت تخبرهم بضيوفه، فكان ذلك خيانة منهما.

سورة القلم

﴿فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ (٥، ٦).

س ٦٩٩ - ما معنى : أيكم المفتون؟

ج - قال الزمخشري: «المفتون: المجنون، لأنه فُتن أي عَثر بالجنون، أو لأن العرب يزعمون أنه من تخييل الجن، وهم الفُتَّان للفتاك منه، والباء مزيدة، أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود، أي بأيكم الجنون أو بأي الفريقين منكم الجنون...»^(١).

والظاهر أن الإيصار مضمَّن معنى العلم واليقين، والمعنى انكم يوم القيامة تتيقنون بأيكم المفتون أي بجواب هذا السؤال، وهذا يجري في كل مورد يتعلق العلم واليقين بجملة استفهامية - حيث لا ينسجم الاستفهام مع العلم - كما تقول: علمتُ بكم هذه البضاعة؟ أي علمت بجواب هذا السؤال، والمقصود أنك تعرف سعر البضاعة. وعلى هذا الوجه لا تكون الباء زائدة، ولا حاجة لتأويل الزمخشري المتقدم.

﴿سَسِئَةٌ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ (١٦).

س ٧٠٠ - ماذا تعني السمة على الخرطوم؟

ج - إنها تعني الإذلال والهوان، حيث كان الأنف وسط الوجه والموضع المتقدم منه، فوسمه إذلال له، ولذلك كانوا يجدهون الأنف إذلالاً للشخص، ويقولون - للاستهانة بالشخص - برغم أنفه. هذا، وإن في التعبير عن الأنف بالخرطوم مزيداً من الإهانة والاستخفاف.

﴿وَلَا يَسْتَتُونَ﴾ (١٨).

س ٧٠١ - ما معنى: ﴿لَا يَسْتَتُونَ﴾؟

ج - أي لا يعلّقون قطف الثمرة والحصاد على مشيئة الله تعالى.

﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ (٢٥).

س ٧٠٢ - ما معنى غدوهم على حرد قادرين؟

ج - الحرد: المنع، والمعنى: أنهم جاؤوا للحصاد غداة عازمين على منع الفقراء مع قدرتهم - بتخيلهم - على إعطائهم، فوجدوا جنتهم محترقة. ويمكن أن يكون ﴿قَادِرِينَ﴾ من التقدير والتضييق لا بمعنى القدرة، أي عزموا على منع الفقراء مضيقين ومقترين عليهم.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا

يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢).

س ٧٠٣ - ما معنى الكشف عن الساق؟

ج - كناية عن شدة الأمر وفضاعة الموقف. قال عكرمة: سئل ابن

عباس عن قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ فقال: إذا خفي عليكم شيء، في القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر: «وقامت الحرب بنا عن ساق» هو يوم كرب وشدة. وقال القتيبي: أصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجَدِّ فيه يشتمر عن ساقه، فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة..»^(١).

س ٧٠٤ - كيف يُدْعَوْنَ إلى السجود يوم القيامة
ولا تكليف آنذاك؟

ج - ليست هذه الدعوة دعوة تكليف، وقد تكون إشارة لدهشة الفاسقين وتسمّرتهم آنذاك، فبينما يسبح المؤمنون ويخضعون لله تعالى عندما يتجلى الملك الإلهي لأهل المحشر: ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(٢) يتاب الفاسقين الهلع والذلة كما قال تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذِلَّةً وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾^(٣).

«وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنها قالوا في هذه الآية: أفحس القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر لما رهنهم من الندامة والخزي والمذلة، وقد كانوا يُدْعَوْنَ إلى السجود وهم سالمون أي يستطيعون الأخذ بها أمرها والترك لما نُهوا عنه، ولذلك ابتلوا»^(٤).

(١) مجمع البيان: ٥٠٩/٩.

(٢) سورة غافر: ١٦.

(٣) سورة القلم: ٤٣.

(٤) مجمع البيان: ٥١٠/٩.

سورة الحاقة

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْحَاظِئَةِ﴾ (٩).

س ٧٠٥ - ما هي: ﴿الْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ ؟

ج - هي القرى المنقلبة بأهلها، في إشارة إلى قرى قوم لوط السبعة كما قيل -.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ (٣٦).

س ٧٠٦ - ما هو الغسلين؟

ج - هو الصديد الذي يتغسل بسيلانه من أجسام أهل النار^(١). وفي لسان العرب: «الغسلين: كل جرح غسلته فخرج منه شيء فهو غسليين»^(٢).

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٥).

س ٧٠٧ - لماذا خصّ اليمين بالذكر؟

ج - كأن اليد اليمنى رمز لقوة الإنسان باعتباره أداة بطشه - عادةً - فأخذها قضاءً على قوته وتعبير عن السيطرة عليه.

(١) تراجع مجمع البيان: ٥٢١ / ٩.

(٢) لسان العرب: ٤٩٥ / ١١.

سورة المعارج

﴿... فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٤).

س ٧٠٨ - كيف ينسجم تقدير اليوم بخمسين
ألف سنة مع تقديره بألف سنة في سورتي الحج
والسجدة: ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة مما
تعُدون﴾؟

ج : آيتا سورتي الحج والسجدة هما:

١ - قوله تعالى في سورة السجدة: آية ٣ - ٦: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ
دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ
أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ * يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ
مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ * ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

٢ - قوله تعالى في سورة الحج: آية ٤٧: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

وهاتان الآيتان تتحدثان عن الحياة الدنيا وأن اليوم عند الله يعدل
ألف سنة لدى الإنسان على أساس حساب الأيام، وعلى هذا الأساس

جاء الرد الإلهي على الكافرين الذين كانوا يستعجلون بالعذاب لتيّن أن الحساب الإلهي يختلف عن حسابكم، وأن ما هو بعيد عندكم قريب عند الله لأن اليوم عنده كالف سنة مما تعدّون أي أن ألف سنة عندكم التي ترونها بعيدة بمثابة يوم عند الله تعالى.

أما الآية التي نتحدث عن تحديد اليوم بخمسين ألف سنة فهي ضمن آيات سورة المعارج ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَتَرَاهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾.

وواضح من هذه الآيات أنها تتحدث عن يوم القيامة، وقد روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم؟ فقال: والذي نفس محمد بيده إنه ليخفّ على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا^(١). وعلى كل حال، فلا تناقض بين هذه الآية التي تتحدث عن يوم القيامة مع الآيتين السابقتين اللتين تتحدثان عن الحياة الدنيا.

(١) مجمع البيان ٩ / ٥٣١.

سورة نوح

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤).

س ٧٠٩ - لماذا قال: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾؟

ج - كأنه لبيان أن إيمانهم إنما يمنع عنهم عذاب الله لهم في الدنيا وتعجيل موتهم بالغرق، من دون أن يُخَلِّدَهُمْ، لأن المؤمن يموت في أجله المحدد الذي لا يتخلف عنه.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (٢٤).

س ٧١٠ - لماذا دعا عليهم بزيادة الضلال؟

ج - بعد أن تمادوا في ضلالهم وبنس من إيمانهم دعا ربّه أن لا يزيد في أعمارهم ويقطع دابرهم، ولا يمهلهم إلا بمقدار تأكيد الحجة عليهم - حيث يزداد ضلالهم - وهي النتيجة الطبيعية لعنادهم وعدم خضوعهم للحجة فيستحقوا المحق والعذاب.

فروح الله لم يطلب زيادة ضلالهم، وإنما مجرد تأكيد الحجة عليهم الذي يترتب عليه زيادة عنادهم وضلالهم - بمقتضى اختيارهم السيء وطبيعة سلوكهم المنحرف - كي يستحقوا العذاب الإلهي في الدنيا والآخرة.

سورة الجن

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (٣).

س ٧١١ - ما معنى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾؟

ج - الجد: العظمة. قال الطبرسي: «الجد أصله القطع. ومنه الجد العظمة، لانقطاع كل عظمة عنها، لعلوها عليه. ومنه الجد أبو الأب، لانقطاعه بعلو أبوته...»^(١).

سورة المزمل

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (١ - ٤).

س ٧١٢ - إذا كان المطلوب قيام نصف الليل أو قريباً منه، فيكون الباقي من الليل النصف، ونصف الشيء لا يعتبر قليلاً منه، فكيف قال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؟

ج - لعل ذلك باعتبار أن الليل هو وقت الاستقرار والراحة، فمع اقتطاع نصفه للصلاة والعبادة تكون حصة النبي ﷺ منه للراحة قليلاً بملاحظة الوقت الطبيعي للنوم والراحة، خاصة أن ما تبقى منه للراحة هو أقل من النصف، إذ ينقضي شطر من هذا النصف في شؤون أخرى عامة أو خاصة كالطعام وقضاء بعض الحوائج واستقبال الضيوف وغير ذلك، فلا يبقى من هذا النصف للنوم والراحة سوى القليل.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا * إِنْ لَدَيْنَا أَنْكَالٌ وَجَحِيمٌ﴾ (١١ - ١٢).

س ٧١٣ - لماذا خص الوعيد بأولي النعمة منهم مع أن العذاب الإلهي والجحيم لكل كافر؟

ج - باعتبار أنّ دورهم في إفساد المجتمع وتضليله ومنعه من الإيمان أكبر من دور الآخرين، كما أن وطأة عداوتهم وإيذائهم كانت أشدّ على الرسول ﷺ من غيرهم الذين لا يملكون إمكاناتهم وسطوتهم.

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ (١٨).

س ٧١٤ - لماذا لم يقل منفطرة به مع أنّ السماء مؤنث مجازي فيؤنث خبره؟

ج - السماء مما يؤنث ويذكر، ومن ذكره أراد به معنى السقف.

﴿... وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ...﴾ (٢٠).

س ٧١٥ - لماذا لم يقل (تحصوهما) باعتبار عود الضمير لليل والنهار؟

ج - كأن المقصود إحصاء الوقت، لأنهم لم يحددوا الوقت المطلوب فيه القيام بالدقة، فيطيلون القيام احتياطاً. وفي ذلك مشقة لهم، فجعل قيام الليل طوعياً لا زامياً، واكتفى بالحث على صلاة الليل.

سورة المدثر

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُوتَ وَتَكُنَّ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ (٥ - ٦).

س ٧١٦ - كيف يخاطب النبي بترك الرجز
والمنة مع أنه تارك لهما بالفعل؟

ج - مثل هذه الخطابات يراد منها بيان تعاليم الإسلام، ولا تعني نهي النبي ﷺ بشخصه عن فعل أو توجيه أمر له بالخصوص، فإن النبي ﷺ عُرف تاريخياً بنبذ الأصنام ومكارم الأخلاق قبل نبوته فضلاً عن موقفه الحازم تجاهها بعد نبوته.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٣٨ - ٤٠).

س ٧١٧ - لماذا استثنى أصحاب اليمين مع أنهم
مرهونون بأعمالهم أيضاً؟

ج - الرهن: الحبس، وأصحاب اليمين لم تحبسهم أعمالهم بل رفعتهم إلى الجنان، بالإضافة إلى الرحمة الإلهية والشفاعة التي ربما حررتهم من تبعات بعض الأعمال أيضاً، على العكس من أصحاب الشمال المحرومين من الشفاعة والرحمة.

سورة القيامة

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٦ - ١٩).

س ٧١٨ - ما هو الحدث الذي تشير إليه هذه الآية؟

ج - أشار المفسرون إلى أن النبي ﷺ كان يبادر بقراءة ما ينزل عليه من الآيات، وكأنه كان يحذر من فوات بعضها - كما يصنع كل من يهتم بحفظ نص من النصوص - فطمأنته هذه الآيات بعدم سهوه عما ينزل عليه، وأنه تعالى ضامن بتبليغ كل آياته بواسطة نبيه إلى الأمة، وبالتالي فلا داعي لاستعجاله ﷺ وشدة حرصه.

وعن ابن عباس قال: فكان النبي ﷺ بعد هذا إذا نزل عليه جبريل عليه السلام أطرق، فإذا ذهب قرأ^(١).

(١) مجمع البيان: ١٠ / ٦٠٠.

سورة الإنسان

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ
قَوَارِيرًا﴾ (١٥).

س ٧١٩ - لماذا قال: ﴿قَوَارِيرًا﴾ بالتنوين مع أنها لا

تنون لامتناعها عن الصرف لأنها على وزن مصابيح؟

ج - القراءة المعروفة لهذه الآية بعدم التنوين، نعم عند الوقف عليها
تلحقها الألف، لكن هذه ليست الألف التي هي محلّ محلّ التنوين عند
الوقف، وإنما هي ألف الإطلاق كالألف في قول جرير:

يعود الفضل منك على قريش وتفرج عنهم الكرب الشدادا

فما كعب بن مامة وابن سعدي بأكرم منك يا عمر الجوادا

وهذه ليست بدلاً عن التنوين ولذلك لحقت بالمعرّف بـ «أل»
الذي لا ينون.

سورة النازعات

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (٦ - ٧).

س ٧٢٠ - لماذا تتكرر النفخة؟

ج - الأولى تصعق الخلائق وتقوض الكون، والثانية التي يعقبها بعث الخلائق، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(١).

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ (٣٤).

س ٧٢١ - لماذا سميت القيامة بالطامة؟

ج - الطامة: كل ما عظم أو علا حتى غلب، وتسمى الداهية التي تغلب وتطغى على ما سواها^(٢)، وباعتبار أن القيامة هي الداهية التي ليس مثلها داهية، سميت بالطامة الكبرى تأكيداً.

(١) سورة الزمر: ٦٨.

(٢) يراجع لسان العرب: ١٢ / ٣٧٠.

سورة الأعلی

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (١٣).

س ٧٢٢- كيف يخلو الإنسان من الحياة والموت؟

ج- ليس المقصود انعدام حياته، وإنما حيث كانت الحياة نعمة، فمن فقد النعمة في حياته التي تحولت إلى شقاء وعذاب شديد فكأنه فاقد للحياة، كما يوصف المريض الذي يشتد مرضه بأنه لا حي ولا ميت.

ويمكن أيضاً أن يكون ذلك إشارة إلى دوام العذاب والحالة التي يعيشها الشقي في النار، وأنه لا يواجه موتاً ولا حياة أخرى.

سورة البلد

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ
* لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (١ - ٤).

س ٧٢٣ - كيف ينفي القسم بالبلد مع انه أقسم
به في سورة التين: ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ
سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾؟

ج - الظاهر أن «لا» ليست نافية، بل في آية سورة «البلد» هناك قسم
بالبلد بقرينة القسم بالوالد وما ولد، حيث ان «لا أقسم» بمعنى لأقسم
وان الألف في «لا» هي إشباع للفتحة، نظير ما يذكره علماء العربية أنه يجوز
أن تشير إلى الأنثى بقولك: «هذهي فاطمة»، وأصلها هذه لكن الكسرة
أشبعت فصارت ياءً، وعلى هذا الرأي فيكون هناك قسم بالبلد في كلتا
السورتين ولا مناقضة بينهما.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً﴾ (١١ - ١٣).

س ٧٢٤ - كيف يكون عتق الرقبة وإطعام اليتيم
والمسكين عقبة مع أنهما من أسباب رقي الإنسان وخيره؟

ج - لعلّ تسميتها بالعقبة، لصعوبتها على النفس، فيحتاجان إلى
عزم وإرادة تتجاوز شحة النفس.

سورة الضحى

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (٧).

س ٧٢٥ - كيف يصف النبي ﷺ بالضلال

مع أنه كان موخداً ويتعبد لله تعالى في غار حراء؟

ج - ليس المقصود ضلال العقيدة، وإنما هي الحيرة ولهفة العارف بربه - بفطرته وبصيرته - الذي يطمح أن يعرف طبيعة مسؤوليته تجاه ربه أو تجاه عباده الغافلين عنه، خاصة في مثل مجتمع الجزيرة العربية الجاهلي، كما أنه ﷺ لم يتلق بعدُ تعاليم ربه وأحكام شريعته، ولا كيفية هداية الأمة وإرشادهم إلى ربهم. فتكون هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾^(١) فيكون ﷺ بحاجة إلى التوجيه الإلهي وهداه.

سورة التين

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (١-٣).

س ٧٢٦ - ما هو طور سينين؟

ج - كأن المقصود منه الجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام، ويسمى طور سيناء أيضاً. وهناك آراء أخرى لبعض المفسرين. والله العالم.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ

سَافِلِينَ﴾ (٤ - ٥).

س ٧٢٧ - ما معنى أن يرد الله الإنسان أسفل

سافلين وكيف يفعل ذلك بعباده؟

ج - بعد أن خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وزوده بالعقل القادر على الوصول إلى الحقيقة وتمييز الخير من الشر، وجعله حراً في تحديد مصيره، اختار أكثر البشر الانصياع للهوى فانحرفوا عن الطريق المستقيم فاستحقوا بذلك غضب الله تعالى وعقابه، فكان هذا المصير القاتم - الذي أوصلهم إليه سوء اختيارهم - هو ﴿اسفل سافلين﴾ ولم يُستثنَ من ذلك: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(١).

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾.

س ٧٢٨ - ما هو ارتباط هاتين الآيتين بما قبلها؟

ج - «الدين» هنا هو الحساب والجزاء يوم القيامة. وذلك بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن المؤمنين الصالحين الذين استثمروا عقولهم ونعم الله تعالى عليهم لسعادتهم وخيرهم، بينما الكافرون والفاسقون أضاعوا حظهم فكان لا بد من حساب في حياة أخرى ينال كل فريق منهم جزاءه وما يستحقه من الثواب والعقاب، ولا يبقى حيثد مجال للتكذيب بيوم القيامة والمعاد. ولذلك قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ حيث لا تضيع لديه الحقوق والظلمات مهما صغرت.

سورة القدر

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١).

س ٧٢٩ - القرآن نزل متدرّجاً خلال عشرين
أو ثلاثة وعشرين عاماً فكيف يكون مُنزلاً في
ليلة واحدة؟

ج - قد يكون المقصود بداية تنزيله في ليلة القدر. وقيل إنه أنزل إلى
السماء الدنيا دفعة واحدة في ليلة القدر، ونُزل على النبي ﷺ خلال
ثلاثة وعشرين عاماً. وقيل غير ذلك. وقد تقدم تفصيل ذلك عند الحديث
حول الآية (٨٥) من سورة البقرة. فراجع.

سورة القارعة

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (٨ - ٩).

س ٧٣٠ - ما معنى أن تكون أمه هاوية؟

ج - قيل: إنه إشارة إلى أن الهاوية - جهنم - مأواه، كما يأوي الولد إلى أمه، ولذلك يقولون عند الدعاء على شخص: لأمه الهبل، قال قتادة: هي كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قيل هوت أمه.
وقيل: إن المقصود من الأم أم الرأس، لأن العاصي يهوي على أم رأسه في النار^(١).

(١) تراجع مجمع البيان: ١٠/٨٠٨-٨٠٩.

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ (١-٣).

س ٧٣١ - ما الفرق بين الربّ والإله؟

ج - الربّ هو المدبّر، والإله هو المعبود وكأنه باعتباره الخالق لعالم الإمكان وما فيه فيستحقّ الخضوع والعبادة من خلقه. والله العالم.

والحمد لله ربّ العالمين

تم الانتهاء من الإجابة على الشبهات والأسئلة القرآنية في الساعة الثالثة بعد منتصف ليلة الأحد الموافق الرابع عشر من جمادى الثانية عام ١٤٢٣ هجرية، على مهاجرها وآله الصلاة والسلام.

سائلاً البارئ تعالى أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن ويجعله ذخراً لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن ينفع به الباحثين والمتعلمين على سبيل النجاة. إنه أرحم الراحمين.

رياض الحكيم

بإمكان الأخوة الراغبين في الإجابة على الشبهات أو الأسئلة القرآنية
الأخرى إرسال أسئلتهم على العنوان التالي:

info@alhakeem.com

المصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أسئلة القرآن الكريم واجوبتها: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٦٦٠هـ) / مطبعة مهر.
- ٣- بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١). المكتبة الاسلامية - طهران / الطبعة الثالثة: ١٣٧٤ هـ . ش.
- ٤- بداية المجتهد: محمد بن احمد بن رشد القرطبي (ت: ٥٩٥ هـ). مطبعة أمير: ١٤١٢ / الطبعة الأولى.
- ٥- تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. مطبعة الاستقامة بالقاهرة - منشورات مكتبة ارومية.
- ٦- تذكرة الخواص: سبط بن الجوزي.
- ٧- ترتيب كتاب العين: الخليل بن احمد الفراهيدي: اعداد الشيخ محمد حسن يكاني. طبع مؤسسة النشر الإسلامي / الطبعة الأولى.
- ٨- تصحيح اعتقاد الإمامية: الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ). مطبعة أمير منشورات الرضي.
- ٩- تصنيف نهج البلاغة: لبيب بوضون. مكتب الأعلام الإسلامي / الطبعة الثانية.
- ١٠- تفسير العياشي: أبي نصر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي. الطبعة الأولى - مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- ١١- تفسير القرآن الكريم: لأبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي. أعاد جمعه وتأليفه عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين. مطبعة الهادي / الطبعة الأولى.
- ١٢- التفسير الكاشف: الشيخ محمد جواد مغنية. دار الملايين / الطبعة الثالثة تموز ١٩٨٠.
- ١٣- التفسير الكبير: الفخر الرازي. دار إحياء التراث العربي / الطبعة الثالثة / بيروت.
- ١٤- تلخيص التمهيد: الشيخ محمد هادي معرفة. مؤسسة النشر الإسلامي / الطبعة الثانية: ١٤١٦ هـ.
- ١٥- تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) لتحقيق: السيد حسن الخراسان، مطبعة

- خورشيد، الطبعة الرابعة/ ١٣٦٥ ش/ الناشر: دار الكتب الإسلامية.
- ١٦- الجامع الصحيح (سنن الترمذي): أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ - ٢٩٧ هـ). دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
- ١٧- الجامع الصحيح: لابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (١٩٤ - ٢٥٦ هـ). المطبعة الإسلامية طهران/ الطبعة السادسة.
- ١٨- الدر المشور: جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ) المطبعة: الفتح. جدة. الناشر: دار المعرفة/ الطبعة الأولى: ١٣٦٥
- ١٩- شرح ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيل الحمداي (٦٩٨ - ٧٦٩ هـ). انتشارات ناصر خسرو - طهران.
- ٢٠- الطرائف: السيد ابن طاووس الحستي (ت: ٦٦٤ هـ) المطبعة خيام. قم/ الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ.
- ٢١- علل الشرائع: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ).
- ٢٢- علوم القرآن دروس منهجية: السيد رياض الحكيم. المركز الإسلامي المعاصر/ الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ
- ٢٣- فتح القدير: (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير): محمد بن علي بن محمد الشوكاني: (ت: ١٢٥٠ هـ) المطبعة والناشر: عالم الكتيب.
- ٢٤- فرائد السمطين: الحموي.
- ٢٥- في رحاب العقيدة: السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم. دار الهلال الطبعة الأولى.
- ٢٦- القاموس المحيط: - محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: ٨١٦ و ٨١٧). دار الجبل - بيروت.
- ٢٧- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: الدكتور موريس بوكاي/ جمعية الدعوة الإسلامية - طرابلس - ليبيا.
- ٢٨- الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني (ت: ٣٢٨/٣٢٩). دار صعب، دار التعارف - بيروت/ الطبعة الثالثة: ١٤٠١ هـ
- ٢٩- الكتاب المقدس العهد الجديد. اتحاد جمعيات الكتاب المقدس بيروت/ الطبعة الرابعة/ ١٩٩٢ م.
- ٣٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: جاد الحق محمود بن عمر الزمخشري.
- ٣١- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقيسي المصري (٦٣٠ - ٧١١ هـ). دار صادر.
- ٣٢- مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ). انتشارات ناصر خسرو/ الطبعة الثانية.
- ٣٣- مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ) المطبعة والناشر: دار صادر - بيروت.
- ٣٤- المشاركة (جريدة بغدادية)/ العدد التاسع/ ٢٣/ آذار/ ٢٠٠٤ م الموافق ٢ صفر ١٤٢٥ هـ.

- ٣٥- المعجم الكبير: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠هـ).
- ٣٦- مفتي اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ) / انتشارات زاهدي- قم.
- ٣٧- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١). طبع دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٣٨- المرطأ: مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ). مطبعة دار الفكر / الطبعة الأولى.
- ٣٩- نهج البلاغة: الشريف الرضي: تحقيق الدكتور صبحي الصالح. منشورات دار الهجرة - قم.
- ٤٠- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ محمد باقر المحمودي. المطبعة دار التعارف للمطبوعات - بيروت / الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ.
- ٤١- وسائل الشيعة: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ). دار الكتاب العربي-بيروت.

الفهرسة

٥	مقدمة
٧	دور القرآن
١١	سورة الفاتحة
١٥	سورة البقرة
٨٧	سورة آل عمران
١١٣	سورة النساء
١٤٧	سورة المائدة
١٦٩	سورة الأنعام
١٩٩	سورة الأعراف
٢١٧	سورة الأنفال
٢٢٤	سورة التوبة
٢٣٧	سورة يونس
٢٤٧	سورة هود
٢٥٥	سورة يوسف
٢٦٣	سورة الرعد
٢٦٩	سورة إبراهيم
٢٧٣	سورة الحجر
٢٧٧	سورة النحل

٢٨٧.....	سورة الأسراء.....
٢٩٧.....	سورة الكهف.....
٣٠١.....	سورة مريم.....
٣٠٥.....	سورة طه.....
٣١٥.....	سورة الأنبياء.....
٣٢٤.....	سورة الحج.....
٣٣٣.....	سورة المؤمنون.....
٣٣٧.....	سورة النور.....
٣٤١.....	سورة الفرقان.....
٣٤٥.....	سورة الشعراء.....
٣٤٧.....	سورة القصص.....
٣٤٩.....	سورة العنكبوت.....
٣٥١.....	سورة الروم.....
٣٥٥.....	سورة لقمان.....
٣٥٩.....	سورة السجدة.....
٣٦١.....	سورة الأحزاب.....
٣٦٧.....	سورة صبا.....
٣٦٩.....	سورة فاطر.....
٣٧٣.....	سورة يس.....
٣٧٥.....	سورة الصافات.....
٣٨١.....	سورة ص.....
٣٨٢.....	سورة الزمر.....

٤٧١	الفهرست
٣٨٥	سورة غافر
٣٨٧	سورة الشورى
٣٨٩	سورة الزخرف
٣٩١	سورة الدخان
٣٩٣	سورة الجاثية
٣٩٥	سورة الفتح
٣٩٩	سورة ق
٤٠١	سورة الذاريات
٤٠٣	سورة الطور
٤٠٥	سورة القمر
٤٠٧	سورة الرحمن
٤٠٩	سورة الواقعة
٤١١	سورة الحديد
٤١٣	سورة المجادلة
٤١٥	سورة المتحنة
٤١٧	سورة الجمعة
٤٢١	سورة المنافقون
٤٢٣	سورة التغابن
٤٢٥	سورة الطلاق
٤٢٧	سورة التحريم
٤٢٩	سورة القلم
٤٣٣	سورة الحاقة

٤٣٥	سورة المعارج
٤٣٧	سورة نوح
٤٣٩	سورة الجن
٤٤١	سورة المزمل
٤٤٣	سورة المدثر
٤٤٥	سورة القيامة
٤٤٧	سورة الإنسان
٤٤٩	سورة النازعات
٤٥١	سورة الأعلى
٤٥٣	سورة البلد
٤٥٥	سورة الضحى
٤٥٧	سورة التين
٤٥٩	سورة القدر
٤٦١	سورة القارعة
٤٦٣	سورة الناس
٤٦٥	المصادر
٤٦٩	الفهرست

